

هكذا تكلم النوبيون



مواضع نوبية

ماهر أحمد زكي
(سيد دوکی)

منتدی سور الأزبکیة

WWW.BOOKS4ALL.NET

هكذا تكلم النوبيون

موسوعة نوبية

المحامى النوبى

هاجر أحمد زكوى

(سيد بوكى)

مقدمة سياسية : الأستاذ/ خالد محى الدين

مقدمة تاريخية : الدكتور/ جاب الله على جاب الله

مراجعة عامة : الأديب/ يحيى مختار

اسم المؤلف : ماهر أحمد زكى

اسم الكتاب : هكذا تكلم النوبيون (موسوعة نوبية)

الناشر ماهر زكى المحامى

الطبعة الأولى : ٢٠٠١

رقم الايداع : ٢٠٠١.١٥٨٦٩

الترقيم الدولى : 977-17-0350-1

ت: ٧٩٥٠٢٢٢ فاكس: ٧٩٥٥٥٠٢

المراسلات : ٢٧ شارع إسماعيل أباطة - السيدة زينب

هكذا تكلم النوبيون

الإهداء

مقدمة سياسية

مقدمة تاريخية

تمهيد

إهداء

إلى حفيدتى حبيبة أول أحفادى

التي ما زالت تعيش فى وجدانى

إلى حفيدى أحمد حازم ماهر المكلف بتخليد

إسمى على مدى الزمان أطال الله فى عمره ليحمل

على عاتقه قضية النوبة قبل أن يطويها النسيان.

إلى النوبة المفقودة والنوبيين الضحايا الذين أغرقت

أراضيهم أربع مرات على مدى ٦٠ عاماً وهو ما لم

يحدث لأى شعب منذ نشأة التاريخ.

سامحك الله يا نبي بنى فلكا فلولاً أراؤك على السفينة، لما
كنا فيما نحن فيه.^(١)

(أى أسود)

أ نكون...

يا ترى أم لا نكون

أمن الحكمة أن نحيا الحياة

كيفما كانت ونرضى حظنا ..؟

أم نخوض البحر في هول الصراع

أم ترى الحكمة في أن ننتحر.؟

يا دجى... يا صمت

يا.. يا.. جنون

(نجيب سرور)

"لزوم ما يلزم"

(١) قال نوح: "ملعون كنعان- عبد العبيد يكون لأخوته وقال مبارك الرب إنه سام وليكن
كنعان عبداً لهم ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم." (كنعان هو
ابن حام وأبو كوش ومصرائيم)

الإصحاح التاسع من سفر التكوين

تقديم

اخترت هذا العنوان المعاد. مع إعتذاري لنتشا ود / رفعت السعيد. فزادشت لم يقل هذه الآراء التي جاءت في مؤلفه "هكذا تكلم زرا دشت" ولكنها إسقاطات نتشا الإلحادية على لسان زرادشت كما يقول فلاسفة العصر: وما جاء بمؤلف د. رفعت السعيد "هكذا تكلم الشيوعيون" تعرضت بالضرورة إلى استكمالات وإضافات مذهبية لم يقلها الشيوعيون سواءً منهم الأحياء أو الذين رحلوا من زمن مضى... ولكنها مسائل ضرورية للحفاظ على الشكل الإيديولوجي وهو أمرٌ مستحب لا غضاضة فيه.

أما ما جاء بهذا الكتاب "هكذا تكلم النوبيون" فلم يتعرض إلى أى إعادة كتابة. ربما لأن أصحابها يحسون بالمرارة لما حدث لهم وللحالة التي وصلوا إليها والمعاناة التي لم تحدث لأى شعب من شعوب العالم على مر التاريخ. ذلك أن التاريخ ظل الإنسان على الأرض يمثل ما أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان؛ فقد تكلم النوبيون ليعيدوا كتابة تاريخ النوبة قبل طمسه.. فهناك مؤامرة لمحو النوبة من خريطة العالم، حتى لا تبقى بقايا جريمتهم ماثلة أمامهم تذكرهم بما فعلوه مع هذا الشعب المسكين. الذى أغرق أربع مرات خلال ستين عام (١٩٠٢-١٩٦٣) ولم يئن أويشكو، والذين تكلموا ليس النوبيون فحسب بل غيرهم ممن تعاطفوا مع قضيتهم.

إن هدفنا ليس فقط إظهار حجم الكارثة لنبكى على أطلالها أو نقيم حائطاً للمبكى ولا إدانة الذين فعلوها أو شاركوا فيها. ولكن الهدف الأسمى هو تصحيح التاريخ ليعرف أبناؤنا وأحفادنا مدى الظلم الذى حاق بآبائهم وأجدادهم... ببلدهم وتراثهم وتاريخهم... إلى الحقيقة.

ماهر زكى

عندما يتواصل التاريخ

عندما طلب منى الأستاذ ماهر زكي أن أكتب تقديماً لكتابه هذا. لم أتردد للحظة في قبول الطلب لعدة أسباب، لعل أهمها تلك الفترة من الستينيات والتي كنت خلالها قريباً من أهل النوبة بحكم موقعي في مجلس الأمة في ذلك الوقت، وبحكم معاشتي، للظروف التي كانوا يمرون بها في مرحلة بناء السد العالي وما تبعها من تهجيرها وتسكين وإعادة توطين في مناطق أخرى من محافظة أسوان العزيزة، وهي مناطق تتشابه كثيراً مع أرض النوبة القديمة من حيث ظروف المعيشة والطبيعة الجبلية وغير ذلك من الأمور.

وسوف تظل تلك الفترة التي عاشرت فيها أهل النوبة عن قرب تمثل محطة رئيسية من المحطات التي يعتز بها الانسان في حياته ويفخر بها، وما زلت أذكر التقرير الذي أعدته لجنة الخدمات في مجلس الأمة آنذاك والذي وضع النوبيين في المكان الذي يستحقونه والمكانه التي تليق بهم وبدورهم عبر التاريخ.

وغني عن القول إن النوبة جزء عزيز من أرض مصر وإن أهلها من أوفى الناس ويتمتعون بخلق رفيع وشهامة عالية، وكانت لهم تضحياتهم العظيمة من أجل مصر ومن أجل نهضتها ورفيها، وتواصلت هذه التضحيات مع كل توسع أو تعليية لخزان أسوان حتى جاءت التضحية الكبرى مع بناء السد

العالي والتي حظيت باهتمام الدولة آنذاك على كافة المستويات من إسكان وتعليم وخدمات أخرى أساسية. في محاولة لبناء إنسان جديد على أرض جديدة يستوعب التغيرات السياسية والاجتماعية الجديدة ويتواءم معها.

ولكن ذلك لا يمنع من الإشارة إلى معاناة النوبيين مع التعويضات التي حصلوا عليها والتي يذكرها الأستاذ ماهر زكي في هذا الكتاب على نحو مفصل وقد تبدو بعض المرات في كتاباته بحكم معاناة أهله وذويه.

وإذا كان الأستاذ ماهر زكي يتصور أن هناك مؤامرة لمحو النوبة من خريطة العالم كما يقول فإن هذا الكتاب يمثل بحق موسوعة شاملة تجعل الأجيال وراء الأجيال تستعيد أمجاد النوبة وتاريخها معتمداً على شهود عيان من النوبيين أنفسهم أو من المتعاطفين مع قضيتهم.

والذي يعرف الأستاذ ماهر زكي تماماً فإنه سيطالع كتاباً مهماً وبأسلوب شيق وسرد متتابع يحكي ويروي عن النوبة في الماضي والحاضر. في التاريخ والجغرافيا. لقد طالعت الكتاب فوجدته زاخراً بالمعلومات في الأنثروبولوجيا وفي التعليم عند النوبيين وفي عاداتهم وتقاليدهم. كل ذلك مدعم بالوثائق والمستندات والصور الحية.

وليس هذا بغريب على المؤلف الذي عرفه أهله مدافعاً عنهم دائماً في

المحافل والندوات وعلى صفحات الصحف المصرية

إن هذا الكتاب الموسوع يعيد قضية النوبة إلى موقعها الصحيح ويذكر للأجيال كيف ضمت النوبة بين أحضانها رجالاً مخلصين عباقرة وفنانين

ومفكرين ومناضلين نعتز بهم جميعا وكان - وما زال - لهم دورهم البارز في الحركة الوطنية المصرية وسوف نظل نذكر الراحلين منهم بكل الخير والعرفان ولا ننسى الذين يواصلون النضال والعمل من أجل مستقبل أفضل لأهل النوبة ولشعب مصر كله.

ومن الصعب أن أوفي هذا الكتاب حقه . ولكنه يمثل في الأساس رسالة سياسية بالغة الأهمية لكل من يهمله الأمر. فضلاً عما يمثله من رسالة اجتماعية وثقافية وتاريخية تسجل للأجيال رحلة كفاح مستمر ومتواصل. ولذلك كان من حق الأستاذ ماهر زكي علينا أن نحياه على هذا الجهد الخارق واثقاً أن كتابه الموسوعي سيحظى بالاهتمام الذي يستحقه ويلق به. مع شكري للمؤلف الذي أباح لي هذه الفرصة لأحيي من خلالها أهل النوبة الكرام.

خالد محيي الدين

مقدمة تاريخية

تدل كلمة النوبة في الوقت الراهن على المنطقة الممتدة بين أسوان شمالاً حتى مدينة الدبة قرب الجندل الرابع جنوباً. وهي بذلك تعد بمثابة حلقة الوصل بين شمال الوادي. مصر. وجنوبه. السودان. ومن الغريب أن هذا الاسم لم يرد في أي نص مصري قديم. وإنما جاء أول ذكر له في كتاب الجغرافيا Geographica للكاتب اليوناني استرابون الذي يعتقد أنه زار مصر حوالي عام ٢٩ ق.م. ولا يزال العلماء غير واثقين من الاشتقاق الأصلي للكلمة. وإن كانوا يميلون إلى القول بأنها مشتقة من الكلمات المصرية "نبو" بمعنى "ذهب" إشارة إلى مناجم الذهب التي اشتهرت بها المنطقة.

أما النصوص المصرية فكانت تطلق على منطقة النوبة بصفة عامة اسم "تاستي" بمعنى "أرض القوس" إشارة إلى السلاح الرئيس الذي كان يستخدمه أهلها.

وقد ميز المصريون القدماء بين ما نعرفه الآن بالنوبة السفلى (المصرية) الواقعة بين الجندلين الأول والثاني ودعوها "واوات" والنوبة العليا (السودانية) الممتدة إلى الجنوب من الجندل الثاني وحتى قرب الخرطوم ودعوها "كوش".

لم تكن النوبة في يوم من الأيام معزولة عن مصر. فالنيل كان ولا يزال يربطها معاً ربطاً متيناً. وشعبهما ينتمي إلى نفس العناصر العرقية. وحركتهما دائبة صعوداً وهبوطاً عن طريق النيل كلما كان ذلك متيسراً. أو بالطرق البرية ودروب الصحراء إذا ما عاقت الجنادل الملاحية النيلية.

وقد من الله علي النوبة بثروات طبيعية وفيرة. فمن المعادن الذهب والنحاس. ومن الأحجار شبه الكريمة العقيق الأحمر واليشب والجمشت (أميتست). مما كان له أهمية كبرى في اقتصاديات العالم القديم. وبحكم موقعها الفريد كانت النوبة بمثابة المر الذي جاءت من خلاله منتجات أفريقيا الاستوائية من سن الفيل والأبنوس والبخور وبيض وريش النعام. مما زاد من أهمية دور النوبة في التجارة العالمية.

ندر أن حظيت بلد من بلاد العالم بما تحظى به مصر من تاريخ طويل عريق. تاريخ تضرب جذوره في أعماق ماضٍ مجيد. ويمتد إلى حاضر مشرق. ويتطلع إلى مستقبل مفعم بالأمل.

ومنذ فجر تاريخها. ومصر تتألف من خمسة أقاليم حضارية متجانسة هي الدلتا والوادي وشبه جزيرة سنيا والصحراوان الشرقية والغربية والنوبة. وهي أقاليم تتباين ولا تختلف. تتكامل ولا تفترق، تعيش جميعها في كنف دولة واحدة تحمي حدودها وتضمن أمان واستقرار أهلها، لينعموا بخيرات أرضهم الطيبة وليبدعوا واحدة من أعظم الحضارات وأعرقها.

عمل التباين الذي تميزت به أقاليم مصر على تنوع عطاءاتها مما أكسب حضارتها ثراء وخصوبة في آن واحد، حيث صارت مثل روافد متدفقة تصب كلها في نهر الحضارة المصرية العريضة ليفيض بالفكر المبدع والفن الخلاق والقيم المثلى.

والنوبة بامتدائها الضارب في قلب أفريقيا كانت، ولا تزال، تغذي نهر الحضارة المصرية بعطاء دائم، إذ أنها بحكم موقعها تمثل بوابة مصر إلى قلب

القارة السمراء بما حباها به الله من ثروات ثقافية ومادية لا تنضب. نهل المصريون من مواردها العذب لتسرى دماء الحياة في عروقهم وليتجدد شبابهم جيلاً بعد جيل.

وعلى إمتداد الحقب التاريخية والمصريون يدركون. عقلاً وقلباً. أنهم أبناء وطن واحد لا فرق بين شماله وجنوبه. صحرائه وواديه. ومتحدون فكراً ووجداناً تضمهم بين أحضانها أمهم الطيبة. الحانية. مصر. فتبث فيهم الألفة وترد عنهم الغربية.

داخل هذا الإطار الشامل تميزت الأقاليم بخصوصياتها الذاتية. كل حسب ظروفه وملابساته. فتنوعت عطاءاتها في مختلف المجالات. مما زاد في الثراء الحضاري المصري.

ومن واقع إدراكه كل هذا. كان لا بد للمجلس الأعلى للآثار أن يعمل على إبراز التنوع الذي اختص به تراث مصر وحضارتها. كما يظهر بصورة لا تخطئها العين في النوبة. تلك البقعة الغالية من أرض الوطن. وكانت ثمرة ذلك إنشاء متحف خاص بها يضم بين قاعاته وأبهائه شواهد من إبداعاتها وآثاراً من تراثها الذي هو جزء لا يتجزأ من التراث المصري العام. وبذلك يبرز خصوصية النوبة ويؤكد في الوقت عينه بنوتها لأمتها الكبرى. مصر.

أ.د. جاب الله على جاب الله
أمين عام المجلس الأعلى للآثار

تمهيد

النوبة الحالية كانت مملكة مستقلة تمتد من إسنا حتى بلدة سرس (مروى) بالسودان حالياً وقد احتلت مملكة النوبة دولة مصر الفرعونية زهاء خمسة عصور، كان أشهر ملوك الاحتلال : بعنخى وشباكه وشبتاكه وطهراقه. ثم جاء الاستعمار الإنجليزي ليقسم النوبة (١٨٩٩) إلى قسمين : القسم الشمالى من الشلال وحتى بلدة أدندان تابع لدولة مصر والقسم الجنوبى من بلدة فرس وحتى بلدة سرس تابع لحكومة السودان

وهكذا قدر على النوبة بقسميها أن تكون تابعة بعد أن كانت متبوعة.. فقد كان ملوك مصر يفرون إليها طلباً للحماية من غضبة الجماهير وكان ملك النوبة يعيدهم إلى ممالكهم وقد كان القرن العشرين هو الزمن الردىء والقاسى بالنسبة للنوبة والنوبيين.

فمنذ مطلعته ولم تر النوبة يوماً فى حلاوة تمرها.. كانت هى الضحية دائماً وبلا مقابل.. ففى سنة ١٩٠٢ بنى خزان أسوان ليخدم رقعة واسعة من أراضى مصر الزراعية وفى سنة ١٩١٢ تمت التعلية الأولى للخزان لتغمر المياه بعض بلاد الكنوز وتجبرهم على الرحيل إلى غرب أسوان.. أما التعلية الثانية ١٩٣٣ فقد كانت وبالاً وبؤساً على النوبيين. أغرقت النوبة لخدمة الإقطاع المصرى، فلجأ النوبيون إلى الجبال يعتصمون من الطوفان وليحولوا الجبال مرة أخرى إلى جنة خضراء على الأرض.

حتى جاء الطوفان الأكبر مع السد العالى لتغرق النوبة بأكملها - المصرية والسودانية وكان الزمن يخبئ لهم هذه الكارثة التاريخية.. لتتحول بلادهم إلى مخزن للمياه ليذر الخير والبركة على مصر والمصريين.

فماذا بعد إقامة السد العالى؟

والفصل الثانى فيه تتحول الكاميرا فى كادر جديد.. ففى ١٩٦٣ يهجر النوبيون المصريون إلى أرض نائية قفرد فى كوم امبو والنوبة السودانية إلى خشم القربة.

النوبيون الذين عاشوا آلاف السنين فى حوض النيل وبين جنباته.. يحسون برزاز مياه النيل تبلل وجوههم ويسمع النيل تنهداتهم.. يفرح معهم ويحزن معهم.. لا يفترق أحدهما عن الآخر. حتى انتزعوا النوبيين من هذا الحوض الدافئ ليلقى بهم فى هذا المجهول فيموت منهم جيلان.. الشيوخ والأطفال.

هل حصل النوبيون على تعويض مجزى؟

حصل النوبيون المصريون على تعويضات تافهة لا تتناسب وحجم التضحيات ولا الأضرار التى حاقت بهم وبأسرهم ومستقبلهم (نزع الملكية للصالح العام) فقدوا الوطن الأم واستبدلوه بأرض قفرد وبعض القروش التى لا

تغنى ولا تسمن من جوع وطنوا بلا وطن وعوضوا بلا تعويض. البيوت المرصوة التي حصلوا عليها تشققت بعد شهر معدودة وطلبت الحكومة المصرية سنة ١٩٩٣ قيمة هذه البيوت باعتبارها إيواء وليست تمليك والرجال والشباب الذين كانوا يعملون بأرجاء مصر. يساعدون في التنمية الاقتصادية والاجتماعية سموا بالمغتربين - تصوروا مصريون مغتربون في مصر - فحرموا من التعويض العيني. أما التعويض النقدي فأليك مثلان لتقيس عليهما حجم التعويض... قيمة النخلة عشرة قروش ، هذا مثل والآخر : أننى تنازلت عن وطنى.. بلدى.. تاريخى وتاريخ وتراث أجدادى مقابل ١٥٥ قرشا - أى والله - أكرر مائة وخمسة وخمسون قرشا تقبض على دفعتين. وأصبحت بلا بلد ولا بيت بالنوبة الجديدة (قيمة التعويضات بأسعار ١٩٣٣ ويقول البعض أنها أسعار ١٩١٢) وتتحرك كاميرا التاريخ إلى النوبة السودانية فقد عوضوا تعويضا قانونيا فحصل كل فرد على (١٥ فدان) ومنزل على الطراز الإيطالى وتعويض نقدى كبير (النخلة عشرة جنيهات) وخلا قاموسهم من كلمة مغتربين ... وأنا لا أحسدهم فهم أيضا فى موقف لا يحسدون عليه ... حيث يتعرضون لسيول غزيرة لمدة ثلاثة أشهر سنويا تقضى على كل شىء... وتفجع سنويا بالملاريا لتقضى على جزء من أهله فينتظرون الفاجعة كل عام، يحصون فقدم ويتحسرون على ما مضى.

هل قبلنا التهجير بمحض إرادتنا؟

قبلنا ولم نقبل.. لو أن حاكما آخر غير عبد الناصر لما قبلنا ... ولكننا أهدينا وطننا على طبق من ذهب لعبد الناصر ... ولكن للأسف تركنا في يد من لا يرحم. تصوروا القيمة الكلية للتعويضات العينية والنقدية أقل من خمسة ملايين جنيه مصرى وبالطبع سرق نصفهم ... في حين أن مارادونا لاعب الكرة أنفق على حفل عرسه مليونين من الدولارات ... ورجل الأعمال الأمريكي مالكولم فوربس أنفق على عيد ميلاده ثلاثة ملايين دولار أمريكي ...

ويمكنك أن تعي كم تساوى النوبة في أعين المسؤولين.

والحق أقول لكم فنحن لا نهتم بأي مشكلة دولية أو قومية لأننا نحن النوبيين في حاجة إلى من يهتم بنا ولأن مشاكلنا تصفى - في نظرت على الأقل - على كل اهتماماتنا. ثم ينبغي أحد في العانة بمشاكلنا. والمسؤولون في مصر غرقى في مشاكل بريتري وفرنسطين ونيكراجوا والخليج ولا اهتمام بمشاكل النوبيين الذين يعانون كمواطنين من الدرجة الرابعة.

أتحدى لو أن هناك شعبا تماثل معه في التضحية ولمس من الإهمال واللامبالاة مثلما حدث للنوبة والنوبيين.

نعم نحن مسالمون إلى حد الاستسلام. طيبون إلى حد السذاجة ولكن...؟؟؟

إن الكتابة عن النوبة بدقة متناهية تحتاج إلى مجلدات يعجز الباحث عن طبعها مما يؤدي إلى الإيجاز بدقة حتى لا تضيع المعالم في السطور الموجزة المحذوفة. فهذه خلاصة أكثر من ٢٥ كتاباً ومصدراً عن النوبة وما يجول في ذهن العشرات من النوبيين القادرين على التذكر والكتابة. لهذا أخذت منى هذا البحث أكثر من عامين من المعاناة والبحث والتنقيب لعلى أكون قد وفقت فى نقل المعانى المطلوبة لأعرض بأمانة بانوراما النوبة الحقيقية قبل أن تصبح فى طى النسيان.

ففى هذا الكتاب... لكى ألم بالجوانب المستحقة من تاريخ النوبة فسأذكر الوقائع الهامة لهذا المجتمع النوبى من الناحية السياسية والاجتماعية والتاريخية والنفسية متخطياً المادية التاريخية فى السرد.

فعند تسجيل عصر الأسرات فسأقفز مرة واحدة إلى الأسرة الثامنة عشرة وهو عصر الازدهار النوبى. كما أننى سأقفز من الوثنية إلى العصر المسيحى ثم الإسلامى دون المرور على الديانة اليهودية خاصةً وأن المحتلين للنوبة خلال عصورها المختلفة لم تفرض الديانة اليهودية عليها رغم أن المحتل دائماً ما يفرض دينه وثقافته على البلد المحتل. هكذا فعلت الدولة المصرية التى صدرت الثقافة المصرية قبل الجيش المحتل.

ودون إطالة سأذكر النوبة فى عصر الأسرات ثم دخول المسيحية ثم الإسلام وقبلها العرب.

وعناصر النوبة الثلاثة وتاريخهم (الكنوز والعرب والقسم) والتقلبات التي
مرت عليهم ثم لمحات هامة من المجتمع النوبى وحضارته مثل حلم العودة
والتعمير واللغات النوبية . الكشاف - الحلى النوبية - تقييم التعويضات
الأدب النوبى - الفن النوبى - الفنون الشعبية - الرقص النوبى - السياسة
النوبية - والمرأة النوبية - الطفل النوبى - وأهم المعابد النوبية وأقوال
الصحف. ثم نختتم بأقوال النوبيين المعاصرين وهو عنوان الكتاب

والله الموفق

الفخر بأجداد النوبة^(١)

“أنا النوبي حفيد أول أنبياء الله من نسل آدم عليه السلام والذي يذكره الله في كتابه العزيز بقوله واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكان علياً”.

أنا النوبي حفيد كوشى العظيم شقيق مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام .

أنا النوبي حفيد مينا موحد القطرين وصاحب التاجين الذي كانت تتغنى باسمه فتيات النوبة حين يباركن الإعراب بقولهن باللغة النوبية الجميلة : نارمرن تود “ومعناها يا ابن نارمر العظيم”.

أنا النوبي حفيد ملوك النوبة العظام “بعنخى وشباكا وشبتاكا وطهراقا”.

أنا النوبي حفيد الملكة النوبية الجميلة نفرتاري زوجة الفرعوني العظيم رمسيس الثاني.

أنا النوبي حفيد الفرعوني النوبي (أرك آمون) الذي طرد الرومان من أرض مصر.

أنا النوبي حفيد الملكة النوبية العظيمة (كنداي) والتي روضت الرومان قبل أن يحاصروها في قصر أبريم ويعقدوا معها معاهدة صلح.

أنا النوبي حفيد الأميرة المصرية المؤمنة هاجرام إسماعيل عليه السلام
والذي افتدى بها رسولنا الكريم فى سعيها بين الصفاء والمروة وسنظل نفتدى
بها حتى قيام الساعة.

أنا النوبي حفيد الملك النوبي العظيم "هاركاربوس" والذي عبد الله
ووحده فى الوقت الذي كانت فيه الدنيا تعبد الأصنام.

أنا النوبي الذي حمد الله حمداً كثيراً علي إنه لم يكن بين أبنائه يوماً
ما من كفر بالله العلي العظيم ويعبد الأصنام.

أنا النوبي الذي يرجو الله ويتوسل إليه أن يجعله ممن يستمعون القول
فيتبعون أحسنه وممن يفرقون بين أحد من رسله وهم له مسلمون.

الفصل الأول

عصر الأسرات والأديان

- الأُسرة الثامنة عشرة عشرة
- الحصون النوبية في هذا العصر
- الأُسرة التاسعة عشرة
- مملكة كوش وملوكها (بعنخي وشباكه وطهراقه)
- العصر المروي
- البطالمة والنوبية
- الرومان والنوبية
- النوبية في العصر الحديدي
- دخول المسيحية بلاد النوبية
- النوبيون والعرب
- فتح مصر والنوبية
- انتهاء المسيحية من النوبية
- النوبية في العصر الإسلامي
- انتشار الإسلام في النوبية

عصر الأسرات والآديان

عصر الأسرات (٢١٠٠: ٢٧٠٠ ق. م) :

انتشرت شواهد هذا العصر فى أماكن مختلفة بالنوبة مثل السيادة وعكاشة وفرس وامتدت حتى أم دورمان وتدل الصفات التشريحية لأصحابها على أنهم لم يختلفوا عنصرأ عن أقرانهم فى الشمال بل وربما يشير تزايد السكان إلى وفود عناصر مهاجرة من مصر استقر بها المقام فى النوبة.

الأسرة الثامنة عشرة

هى الأسرة التى ازدهر فيها الدور التاريخى والحيوى لحكام النوبة. فقد اعتلى أحمس الأول، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، العرش عام (١٥٧٠) ق.م. وأمضى الجزء الأكبر من حكمه فى حروب لطرده الهكسوس من دلتا مصر حتى وصلوا إلى الجنوب الغربى من فلسطين وعندما انتهى من ذلك فى العام الثانى والعشرين من حكمه، وجه اهتمامه إلى حدوده الجنوبية وبدأ فى غزو النوبة ثانية.

إن أهم مصدر لنا عن هذه الحملة والحملة التى أعقبتها قد عرفناه من سيرة القائد الذى يحمل اسم الملك أحمس، والذى ترك لنا تاريخ حياته منقوشاً على جدران مقبرته فى الكاب. وطوال فترة النضال ضد الهكسوس أظهرت هذه الأسرة ولاءً تاماً لملوك طيبة لذلك تمتعوا بحظوة ملوكها. وأعطى

أحمس - منذ صباه - مركز القائد في حرس الملك الخاص لأنه يقول "تبعث الملك على قدمي عندما ركب عربته".

وعندما بدأ الحملات النوبية كان أحمس قد أصبح متمرساً. له سجل طويل من الأعمال المجيدة التي قام بها ويبدو أنه كان يقود حينئذ أسطولا مصرية لا بد أنه قد مر من قناة سنوسرت الثالث عندما ساعد في غزو النوبة مرة أخرى. ويروى أحمس كيف أن "جلالته أبحر شمالاً مسرور القلب من نشوة الانتصار (لأنه) قبض على الجنوبيين والشماليين". ولا نعرف إلى أي مدى وصل المصريون جنوباً في هذه الحملة ولكن لا شك أن النوبة كلها حتى الجندل الثاني. كانت في أيدي المصريين وأنهم احتلوا أطلال قلعة بوهن الكبرى. ولقد عين رجل يدعى "ثورى" قائداً في بوهن آنذاك ثم أصبح أول "حاكم لكوش" في فترة الحكم التالية. ويبدو أن الحصن قد أعيد بناؤه وتوسيعه تحت إشراف "ثورى" لأننا نعرف أن الفرعون أحمس شيد معبداً إلى الشمال من قلعة الدولة الوسطى خارج الأسوار وهذا يوحي بأنه كان يفكر في توسيع الحصون التي كانت ستضم معبده والقلعة القديمة. وخلف "أمنحتب الأول" أباد "أحمس" في عام ١٤٥٤ ق.م. ومع إنه لم يسجل في حكمه إلا حملة واحدة إلا أنه نجح في تدعيم حدوده جنوباً حتى "سمنه" وندين أيضاً لأحمس القائد بتفاصيل هذه المعركة إذ نجده يقول لنا "أبحرت مع الملك "جسر كارع" (أمنحتب الأول) المبجل عندما توجه جنوباً إلى كوش لتوسيع حدود مصر. وقبض جلالته على الحاكم النوبي وسط جيوشه" وبعد أن يصف

إمكانياته الحربية يواصل أحمرس قائلا "وجئت بجلالته إلى مصر من البئر العلوي فى يومين. فكافأني (الملك) بالذهب". فإذا كانت البئر العلوية وصفا للجنبدل الثانى . كما يبدو. أو مكانا فى هذه المنطقة فان معنى ذلك أن المنطقة الشمالية لحدود "سمنه" كانت تعد مصرية لأنه من الصعب قطع مسافة كبيرة بالركب فى يومين". وبعد هذه الحملة اتفق على تعمير النوبة وظهرت وظيفة "الوالى" تحت لقب "ابن الملك حاكم كوش". وكان أول اسم فى سلسلة طويلة لأسماء كثيرة تعرفنا عليها أخيرا هو ثورى الذى كان حاكما لبوهن ويشغل أهم وظيفة إدارية فى النوبة، وخلف أمنتب الأول على العرش تحتتمس الأول (١٥٠٨-١٥٢٥ ق. م.) الذى بعث أولا برسالة إلى ثورى حاكم النوبة، ليعلمه بالنبأ. ونقش ثورى مرسوم التتويج على لوحة وضعت فى كوبان وبوهن. والنص كما يلي :

"أمر ملكى لابن الملك، حاكم البلاد الجنوبية، ثورى المبجل. انظر، بعث إليك هذا الأمر الملك لينبئك بان جلالته اصبح ملك مصر العليا والسفلى. على عرش حورس ألحي الذى لا مثيل له إلى الأبد. اجعل القابى كما يلي :

اللقب الحورى: "الثور القوى، المحبوب من ماعت"

السيدتان : "المشرق فى تاج الصل، العظيم فى قوته".

حورس الذهبى : "خير السنين محيى القلوب".

ملك مصر العليا والسفلى : "عاخيران رع".

ابن رع : "تحتتمس، فليعيش ابد الآبدى".

فلنقدم قرابين لآلهة اليفنتين في الجنوب كما يلي : "إقامة الاحتفالات السعيدة بالنيابة عن ملك الشمال والجنوب" عاخيران رع "المعطي الحياة".
واجعل القسم باسم جلالتي . المولود من الأم الملكية سن سنسب التي تتمتع بالصحة هذا بلاغ لإخطارك وليعرفك أن البيت الملكي في خير ورخاء.
اكتسب تحتمس الأول بعد سنتين من تتويجه فعلا لقب الحورى " الثور القوى" لأنه أتم غزوكوش. فيدعى على لوحة في "تومبوس" جنوبي الجندل الثالث انه : "توغل في وديان لم يعرفها أجداده الملكيون ولم يرها الذين يلبسون التيجان المزدوجة." والحقيقة أن هناك أدلة قوية على وصول الجيوش المصرية إلى منطقة دنقلة لان تحتمس أقام لوحة حدود في " كورجوس" في المنطقة الجنوبية لطريق "أبو أحمد" وهو الطريق القديم الموصل لكوبان في النوبة السفلى . ويجوز أن تكون هذه اللوحة قد أقامها المغيرون القادمون من كوبان عبر الصحراء وهي لا تثبت أن كل النهر جنوبا كان في أيدي المصريين.

الحصون النوبية في هذا العصر :

هناك أدلة على أن تحتمس الأول بنى سلسلة حصون وعلى جزيرة صاى ولا شك أنه في آخر حكمه كانت النوبة كلها ودنقلة أيضا في يد قوية. ولقد أعاد بناء كثير من حصون الدولة الوسطى ووسع بعضها. ويبدو أن هذا العمل العظيم أنجز تحت إشراف ثورى. واختارت بوهن مرة لتكون مركز الإدارة

وأعيد بناء جدران حصونها وقويت أما السور السفلى والخندق فقد ردم وغطى بطريق معبد من اللبن يلتف حول البناء كله حتى أصبحت على شكل قلعة في وسط حصون جديدة. وهذه الحصون الجديدة بنيت على نطاق واسع وبطريقة أكثر إحكاما. وحفر خندق عرضه ستة أمتار وعمقه مترين على شكل محيط طوله ميل ومن ورائه شيد الجدران التي حوت المدينة الجديدة وكان ارتفاع هذه الجدران اثني عشر مترا وسمكها خمسة أمتار ويتخللها أبراج مستطيل في الواجهة الخارجية. وكان المسقط الأفقي لهذه الحصون على عكس حصن الدولة الوسطى. شكله غير مستقيم وله زاوية واسعة. أكبرها في الوسط تقريبا في الناحية القريبة مواجهها للصحراء.

أما الحصون الأخرى في النوبة السفلى مثل كوبان ووايكور وعنيبه فقويت بينما بقيت الحصون، جنوبي الجندل الثاني، في منطقة بطن الحجر مهجورا، كما لم يهتم ببعضها الآخر، ويمكننا أن نستخلص انه بعد امتداد منطقة الغزو نحو الجنوب أصبحت هذه الحصون غير ذات قيمة وأن المجهود في تشييد أبنية حربية تركز في المناطق المكتسبة حديثا بعد الشلال الثاني. ولقد لوحظت مناطق عدة حول دنقلة بها بقايا لتلك الأبنية وحتى يهتم بها المنقب لا يمكن أن نتأكد من هذه النقطة. أن ضرورة إعادة تشييد بوهن (حلفا) وميعم (عنيبه) وباكي (كوبان) في النوبة السفلى.

الأسرة التاسعة عشرة

وتشييد أهم معابد النوبة أثناء الحكم القصير لرمسيس الأول الذى خلف حور محب . لم تسجل أية حروب فى النوبة . وقد سجل ما عرف من جهوده هناك على لوحة عثر عليها شمبليون فى معبد حتشبسوت فى بوهن . وتسجل اللوحة هباته للمعبد وتتكون من زيادات فى عدد الكهنة وعبيد المعبد إناث وذكرور قد تأكد من ولاء الإدارة المصرية فى النوبة .

أما الملك التالى سبتى الأول . الذى اعتلى العرش فى عام ١٣١٣ ق.م . فلقد وجه عنايته إلى العمل فى مناجم الذهب النوبية . وكان الإنتاج فى وداى علاقى قليلا بسبب عدم وجود الماء ولبزيد هذا الإنتاج حفر بئرا فى المنطقة لم تصل إلى مستوى الماء . ولكن خليفته رمسيس الثانى هو الذى جنى ثمار تلك الجهود . ولقد وصفت هذه اللوحة المشهورة فى كوبان . ولقد شيد سبتى الأول مدينة فى عمره وكبرت هذه المدينة حتى أصبحت مركز الحكومة فى كوش ومقر نائب الحاكم . ليس لدينا دليل مادى عن جهوده الحربية غير انه ربما قام بحملات تأديبية غير ذات قيمة لأنها لم تسجل ضمن مناظر حروبه على الجدار الشمالى الخارجى لصالة أعمدة معبد الكرنك فى طيبة . ويرى البعض انه هو الذى بدأ فى نحت اعظم بناء فى مصر الفرعونية ألا وهو معبد أبوسنبل والدليل على ذلك جزء داخلى لاحد الأبواب نقش عليه نص مؤرخ من السنة الأولى من حكم خليفته رمسيس الثانى ويظهر أن جزءا كبيرا من الداخل كان

قد تم نحته عندما كتب النصر. وهناك مناظر لجهود حربية كثيرة فى النوبة فى عصر رمسيس الثانى ولكن لم تسجل عليها التواريخ أوالمناطق التى نشبت فيها هذه الحروب إلى درجة أن الإحساس العام هوأن هذه الحملات خيالية. إذ يبدوأنه كان من المهم لفرعون أن يكون له انتصارات فى النوبة لتوازن انتصاراته فى آسيا. ولا شك أن حملات تأديبية على الحدود الجنوبية للإمبراطورية كانت مهمة من حين إلى آخر ولكن السكون والسلام قد سادا الأراضى الجنوبية عامة والدليل على ذلك هوالنشاط المعمارى الواسع الذى كان لا يمكن أن يوجد لوأن بلاد النوبة كانت فى حرب مستمرة.

واتجه اهتمام رمسيس فى السنة الثالثة من حكمه إلى تنمية مناجم الذهب وخاصة مناجم (أكيدا) التى تشبه مناجم وادى علاقى. وحسب النص الذى عثر عليه فى كوبان التى تقع على الطريق المؤدى لهذه المناجم كان الملك فى منفى عندما :

”جلس جلالته على عرش كبير من الإلكترولوم مرتديا التاج ذا الريشتين يعد البلاد التى تعطيه الذهب ويتدبر الخطط لحفر الآبار فى الطرق الخالية من الماء بعد أن سمع أن الذهب كثير فى بلاد اكييتا بينما الطريق هناك وعرا لا ماء فيه. وإذا ذهببت بعض القوافل لغسل الذهب فإن نصفهم الذى يصل فحسب، لأنهم يموتون من العطش فى الطريق هم ودوابهم التى توصلهم.

والمياه التى يحملونها فى القرب لا تكفيهم للذهاب والإياب. ومن ثم لم تكن هناك حصيلة ذهب من هذه البلاد، بسبب عدم وجود الماء...

كانت جهود رمسيس الثانى المعمارية فى النوبة واسعة مثل ما كانت فى مصر فقد شيد إلى جانب تحفته فى أبوسمبل معابد فى بيت الوالى وجرف حسين ووادى السبوع وعكاشه والدر فى النوبة السفلى (واوات) وفى عمرة فى النوبة العليا (كوش) ومن الجائز أن تكون هناك عمائر أخرى فى النوبة العليا لم يكشف عنها بعد لأن هناك مناطق واسعة لم ينقب فيها رجال الآثار. إن معبد أبوسمبل . أكبر معبد منحوت فى الصخر فى العالم . ويعتبر آية فى العمارة والهندسة القديمة . فقد نحت فى قطعة صخرية على الضفة الغربية للنيل أمام القرية الحديثة "فارك" فى موضع غاية فى الجمال ولكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد فى اختيار المكان فهناك أدلة على أن التلال كانت لها قدسيته قبل بناء المعبدین. إن فارك على الضفة الشرقية من النهر تقع فى منطقة واسعة من الأراضي المزروعة وليس هناك من سبب يجعلنا نعتقد أن الأرض كانت على حال آخر فى العصور القديمة عندما كان موقع المدينة (مواجهها للمعبد) وبالقرب من المعبدین كانت هناك مدينة صغيرة تعرف " بابشك " لذلك يمكننا أن نستخلص أن المعبدین كانا يقعان فى منطقة سكنية فى عصر رمسيس الثانى . وعلى أية حال فمن الصعب أن نتصور لماذا توجد مثل هذه العمائر الضخمة فى منطقة بعيدة فى البلاد ، ولذلك تعليان: إما أن يكون أبوسمبل له قدسية ما . أو أن الفرعون أراد أن يبهر جيرانه فى منطقة قريبة من الجندل الثانى فيريهم قوته وثراءه. وإذا كان هذا هو السبب فقد نجح فى ذلك. ولقد اختلفت آراء الفنانين والمهندسين والأثريين فى قيمة المعبد ككنز

فني إذ وصفه أحد رجال الآثار المعروفين "بالمارد البغيض ولكن، آخرين، خاصة الذين رأوه عدة مرات، اعجبوا به واعتبر كثيرون واجهته الكبرى إحدى مظاهر قوة وعظمة مصر القديمة.

فهناك أدلة على أن أصل الفكرة في تشييد معبد في أبي سمبل كانت لسيتي الأول ولا شك أن جزءاً كبيراً من الداخل كان قد نحت قبل أن يعتلى رمسيس العرش سنة ١٣٠١ ق.م. ولكن إلى أي مدى كان سيتي مسئولاً عن الشكل الأخير وخاصة الواجهة هذا ما لا نعرفه. وكالعادة لا يرجع لرمسيس أي فضل لمن سبقوه. وعلى أي حال فلا بد أنه عندما تكفل به، كان العمل متقدماً وجرت العادة في العمائر المنحوتة في الصخر أن تنتهي من الواجهة قبل أن ينحت الداخل وعلى ذلك فمن الجائز أن التماثيل الضخمة الأربعة التي تعتبر أهم ميزة في البناء كانت لسلف رمسيس. وعلى أية حال فإن الفخر كله يرجع إليه لإنشائه هذا البناء العظيم وخاصة أنه في منتصف عملية البناء نراه يصدر أوامر لموظف يدعى "رمسيس اساهاب" لبناء المعبد.

مملكة كوش وملوكها بعنخى وشباكه وطهراقه

وهى ما تسمى بالعصر الكوشى (٧٨٠ - ٥٩٣ ق. م.)
كان من بين النتائج التى ترتبت على ضعف الحكومة المصرية خلال
عصر الإنتقال الثالث وقد إنحسر الوجود الإدارى المصرى عن النوبة. إلا أن
الوجود الحضارى والثقافى إستمر على حاله قوياً وفعالاً.
ومع بدايات القرن الثامن ق. م. تأسست فى مدينة نباتا أسرة حاكمة
من أصول محلية برز على رأسها زعيم قومى يدعى (الارا) الذى اعتبره أبناؤه
وأحفاده من بعده سلفهم الأكبر ومن المعتقد أن عهده بدأ حوالى ٧٨٠ ق. م.
واستمر لمدة تناهز العشرين عاماً. وفى عهد أخيه وخليفته كاشت اتبعت
الأسرة سياسة توسعية نشطة ومدت ملكها نحو الشمال بحيث شمل النوبة
السفلى كلها حتى أسوان. وجريا على درب الفراعنة أعطى كاشتا نفسه ألقاباً
ملكية تقليدية كان من بينها لقب " ابن رع ".
وكاشتا هووالد بعنخى أول ملك نوبى عظيم يتولى الحكم فى عهد هذه
الأسرة الخامسة والعشرين والتى تعرف باسم الأسرة الأثيوبية. وقد نقشت
قسته على معبد آمون. وقد قاد بنفسه جيشاً وصل إلى "هرموبوليس" فى مصر
الوسطى واستولى عليها فى غضون ثلاثة أيام. ثم وصل إلى ممفيس واستولى
عليها بعد أن أبحر بسفينة حتى بلغ أسوارها ابان ارتفاع النيل ويسمى

بعنخى نفسه " جانب السلام إلى البلدين. ملك الشمال والجنوب أبين الشمس صاحب التيجان.

أصبحت مملكة كوش ومصر تمتد من نباتا إلى البحر المتوسط. وكانت نباتا هى مقر الحكم. ونقل شباكا - الذى تولى الحكم بعد بعنخى العاصمة إلى طيبة وهوبعينه الملك "سو" الذى ذكر فى التوراة.

وفى عام ٦٨٩ ق. م. توج "طهراقه" وهو الملك الذى يلى بعنخى من الملوك ذوى الشان فى حكم كوش ومصر فى كل من تابيا وطيبة. وقد قام طهراقه بتشيد معبد من الصخر فى جبال "بركال" كما أمر بنحت أربعة تماثيل ضخمة له على وجه هذا الجبل المنعزل الذى كان مقدسا بالنسبة لآمون رع - اله الهواء، فى محاولة للتفوق على معبد أبوسمبل والتماثيل التى أقامها رمسيس الثانى هناك.

وقام طهراقه بتجديد أبنيه معبد آمون بمدينة كاوا بالنوبة وهى مدينة مصرية قديمة، بل شيدت بنفس المدينة معبدا لآمون.

وقد قام ملوك هذه الأسرة الكوشية بمحاولات انتهت بضم مصر إلى كوش وتوحيدهما فى مملكة واحدة عاصمتها طيبة وأسسوا الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر وهى الأسرة التى منعت الآشوريين مدة من دخول البلاد المصرية. وقد انتهى حكم الملوك الكوشيين الذى استمر فى مصر حتى سنة ٦٦٣ ق م وانتهت الأسرة الخامسة والعشرين.

أما فى الجنوب فظلت دولة الكوشيين قائمة وأضفى ملوكها على أنفسهم ألقابا المصرية وتشبهوا بفراعنة مصر. وظلت نباتا عاصمتهم. كما ظلت اللغة المصرية هى اللغة الرسمية للبلاد. وعندما حلت محلها لغة وطنية ظلت تكتب كذلك بالخط الهيروغليفي. وقد دام حكم الملوك والكهنة زهاء ١٢٠ عاما كانت خلالها فى صراع دائم مع الأسرات الحاكمة الليبية التى سيطرت على مصر السفلى وقد شاعت الفوضى فى هذذ العصور وفى نهاية الأمر تركت بلاد كوش مستقلة استقلالاً فعلياً. وأن الكهنة المصريين اللاجئين فى بلاد النوبة وغيرهم بذلوا الكثير فى سبيل تمصير طريقة الحياة فى البلاد. ثم دارت عجلة التاريخ دورة مذهله. ذلك أن كوش هزمت مصر.

وفى سنة ٦٦٠ ق م وضع بسمتك نهاية للحكم الكوشى ولذا سمح لمصر بفترة نهضة وللنوبة بفرصة للحصول على قدر وافر من الثقافة المصرية. وهكذا انتهى حكم ملوك كوش لمصر الذى دام خمسة وسبعون عاما ولم يقيم ملوك كوش بمحاولات أخرى لاستعادة مصر. على الرغم من أنهم استمروا يطلقون على أنفسهم اسم ملوك مصر العليا والسفلى مدة ١٠٠٠ سنة أو نحو ذلك.

العصر المروى (٥٩٣ ق م - ٣٥٠ م)

(أ) مملكة مروى :

تقع مروى على الضفة الشرقية للنيل بين الجندلين الخامس والسادس وفى المنطقة التى تعرف حالياً باسم بوتانا. وهى منطقة تتميز بوفرة مائها. وخصوبة أرضها. فتيسرت لمروى وأهلها سبل الزراعة والرعي. كما أنها بموقعها هذا تحكمت فى طرق القوافل التجارية المتجهة شرقاً نحو البحر الأحمر. وغرباً نحو كردفان ودارفور. وشمالاً نحو مصر. وجنوباً نحو أواسط أفريقيا.

ولا عجب إذا أن تصير مروى مركزاً اقتصادياً حاشداً بالحياة والحركة منذ القرن السابع على الأقل. وتصبح محط أنظار الملوك الكوشيين حتى أنهم نقلوا إليها عاصمة ملكهم فى عهد اسبيلتا. لبدأ العصر المروى الذى استمر تسعة قرون بحيث تزامن مع العصر الفارسي (الأسرة السابعة والعشرين) والأسرات المتأخرة (٢٨-٣١) والعصر البطلمي والعصر الرومانى.

يعى المؤرخون أسماء الملوك اللذين حكموا فى مروى الواحد تلو الآخر. ومدة الحكم التقريبية لكل واحد منهم. ومع هذا فإن تاريخ النوبة فى الحقبة المروية لا يزال مليئاً بالفجوات ويغلفه الكثير من الغموض. وذلك لثلاثة أسباب :

أولاً : البعد النسبي عن المجرى الرئيسي للأحداث في مصر وجنوب غرب آسيا وحوض البحر المتوسط.

ثانياً : إن أعمال الحفر والتنقيب في المواقع المروية يشوبها قصور شديد مما جعل مصادر المعلومات نادرة.

ثالثاً : رغم تمكن العلماء مع بداية القرن الماضي من قراءة النصوص المروية. فإن دراسة اللغة المروية تسير سيراً بطيئاً للغاية.

عندما وقعت مصر في قبضة الجيش الفارسي عام ٥٢٥ ق م عزم قمبيز على غزو النوبة للانتفاع بتجاريتها وبمصادرها الطبيعية. وحسب رواية هيروdotus فإنه أرسل جواسيسه إلى مروى في هيئة رسل. ولكن المرويين كشفوا أمرهم وردوهم إلى سيدهم خائبين. ولما أرسل جيشاً إلى النوبة لغزوها منى بهزيمة منكرة حتى انه لم يحاول أن يعيد الكرة.

امتدت سيطرت مملكة مروى من شمال السودان إلى النوبة العليا. ونعمت بالاستقرار وساعدتها تجارتها وإمكاناتها الذاتية على الازدهار. وابتداء من عهد ملكها إرك أماني (حوالي ٣٠٠ ق م). نقلت مدافن الملوك من توري إلى مروى. وراحت العاصمة القديمة نباتاً تفقد مكانتها تدريجياً. وبالتالي اخذ التأثير الحضاري المصري في الحضارة المروية يمتزج بتأثيرات محلية أفريقية. فضلاً عن تأثيرات أخرى أوروبية هذه المرة. وإن كانت قد وصلت النوبة عن طريق مصر عندما خضعت للحكم البطلمي. تضافرت عوامل كثيرة ضد مملكة مروى ودفعت بها دفعا نحو الانهيار. وفي حوالي ٣٥٠ م تعرضت البلاد لغزوة

كاسحة بقيادة غيرانا ملك أكسوم الذى ادعى لنفسه السيادة على كاس
والتي كان يقصد بها الأرانسى المروية. ومع بدايات القرن الرابع الميلادى
توارت مملكة مروى فى غياهب النسيان.

(ب) البطالة والنوبة ٢٢٢ - ٢٠ ق. م.

فى بداية عهد الملك نستاسن (٣٣٥ - ٣١٠ ق. م.) دخر الاسكندر
الأكبر مصر. وبعد وفاته فى بابل عام ٣٢٣ آل حكم مصر إلى واحد من كبار
قواده وهو بطليموس بن لاجيد لتدخل فيما يعرف باسم العصر البطليمي.
انخرط الملوك البطالة فى منافسات تجارية شرسة مع دول حوض البحر
المتوسط. واشتد الطلب على المنتجات الأفريقية مثل الذهب والعاج والأبنوس
والتوابل والحيوانات الحية. ومنها الفيلة التى انتشر استعمالها فى القتال.
ولذلك تطلع البطالة إلى النوبة. طريقهم إلى تجارة أفريقية وثرواتها.
طبقاً لرواية ديودور الصقلي، قام بطليموس الثانى بحملة على النوبة
(يسمىها إثيوبيا). ولكن يبدو أنها لم تأت بنتيجة مثمرة. ولذلك لا نسمع عن
محاولات أخرى لضم النوبة إلى الحكم البطلمى بالقوة. وبدلاً من نشأت فى
النوبة السفلى منطقة شبه محايدة تابعة لمعبد الآلهة إيزيس فى جزيرة فيلة
عرفت باسم ارض الإثنى عشر فرسخاً (دودى كاسخوينوس
dodekaschoinos). وامتدت من جنوبى أسوان حتى المحرقة حالياً، وبذلك
كانت بمثابة أرض محايدة بين المرويين فى السودان والبطالة فى مصر،

وهوحياد لم ينتهى سوى مرة واحدة فى عهد الملك المروى أرك امانى الثانى
"٢١٨-١٩٥ ق م".

باستثناء ذلك كانت العلاقة بين البطالمة بما فى ذلك مملكة مروى.
ودية للغاية. وقد أقام البطالمة عددا من الموانى التجارية على ساحل البحر
الأحمر مثل برنيس عند مصوع وأرسيفوى بالقرب من باب المنذب. وهى
الموانى التى خدمت تجارة مصر ومروى فى آن واحد. إنعكست هذه الأوضاع
السياسية والإقتصادية المواتية على أحوال المملكة المروية فزاد رخائها
وتتطورت صناعتها وفنونها وتسلت عناصر أوروبية إلى فنونها. ومع هذا ظلت
التأثيرات المصرية التقليدية واضحة لا تخطئها العين. فالإله آمون (باسمه
المروى. امانى) لا يظل هوالب الرئيسى للدولة إلى جانبه احتلت إيزيس
مكانة رفيعه فى مجمع الآلهه المروى وصار معبدها فى فيلة كعبة الحجاج
النوبيين فى كل مكان وكانت طقوس الدفن ومراسيمه لا تزال تجرى على
النمط المصرى. فالجثث تحنط. والقبر ياخذ شكل الهرم. والنقوش المعابد
تأخذ موضوعاتها من المعابد المصرية وبدا من القرن الثانى ق.م. تطورا المرويون
كتابتين خاصتين بهم. أولهما تتألف من ٢٣ علامة وتعرف اسطلاحا باسم
الهيروغليفيه المروية. أما الثانية فإن علاماتها أكثر إختصاراً والظاهر أنها
كانت متطوره عن الكتابة الديموطيقية المصرية.

الرومان والنوبة

تحولت مصر إلى ولاية رومانية بعد هزيمة كيلوباترا السابعة عام ٣٠ ق.م. على يد اوكتافيوس - أغسطس. وكان السادة الجدد على وعى تام بأهمية النوبة لإمبراطوريتهم. فيها منخمة لحدودهم المصرية فى الجنوب وهى المر إلى تجارة أفريقيا وثروتها الغنية. وهى مصدر هام من مصادر الذهب. ولذلك تطلع الرومان إلى فرض سيطرتهم على منطقة الدوديكا سخوينوس التى كانت بمثابة المدخل إلى مناجم الذهب فى وادي العلقى.

فى بداية الأمر. اتفق الرومان والمرويون على بقاء النوبة تحت سيادة مروى على ان تكون خاضعة للحماية الرومانية. غير أن هذه الاتفاقية لم تدم طويلا. إذ زحف جيش مروى تحت قيادة كانداكى (ملكة) تدعى أمانى ريناس وأوقع الهزيمة بثلاثة فيالق رومانية، واحتل جزيرتى فيلة والفنتين كما احتل أسوان، واخذ الكثير من الأسرى والغنائم وحطم تماثيل أغسطس.

لم يسكت الرومان على المهانة التى لحقت بهم فشن بترونيوس، والى مصر (٢٤-٢١ ق.م.) هجوماً مضاداً وهزم المرويين عند الدكة، وتطردهم نحو الجنوب حتى انتهى إلى مدينة نباتا فإستولى عليها واعمل فيها السلب والنهب، ثم إرتد نحو الشمال بعد أن ترك حامية فى إبريم.

هكذا إتسمت العلاقة بين المرويين والرومان فى بدايتها بالعنف، ولكن سرعان ما أدرك الطرفان عدم جدوى العداء فيما بينهما، فعقد صلحا خضعت

بمقتضاها النوبة الشمالية . حتى المحرقة . لحكم الرومانى . بينما تركت النوبة العليا تحت السيادة الاسمية لمملكة مروى . وبذلك ساد الهدوء بين الطرفين . وأقام الرومان حاميات ومعابد فى أماكن متفرقة من منطقة الدويكاسخوينوس مثلا الدكة وقرطاسى ودابود .

أما مروى فقد أتاح لها السلام فرصة المساهمة فى تجارة الإمبراطورية الرومانية حيث وجدت أسواقا لتجارتها من العاج والذهب والأبنوس والحيوانات الحية . فانتعش اقتصادها مما انعكس أثره على رقى المستوى الحضارى لأهلها . ويظهر ذلك واضحا فى صناعات البرونز والحلى والفخار الذى اقتبس فى زخرفته عناصر مصرية ويونانية ورومانية . وظهر التأثير الرومانى كذلك فى ما عثر عليه فى مروى من حمامات وتيجان أعمدة وأوانى فخارية وغيرها .

بلغت مملكة مروى أوج مجدها فى القرن الأول الميلادى . ثم بدأت الأمور تسير ببطيء نحو الانحدار . وقد ساعد على ذلك ظهور شعبيى صحراويين جديدين على مسرح الأحداث هما البنميون والنوباديون .

النوبة فى العصر الحديث

والحادثة فى النوبة لها عصران :

عصر الدولة الحديثة قبل الميلادى (١٥٥٠-١٠٧٠ ق.م.) وهو أبان تحالف دولة كوش مع الهكسوس - عندما فكروا فى ضم جنوب الوداى إلى حظيرة حكمهم. ويعود الفضل إلى أحسن فى عودة النوبة السفلى إلى سابق عهدها جزءا من الدولة يرجع إليه فى القضاء على الكوشية ودخول كرما. حيث غدت التربة بأسرها جزءا لا يتجزأ من الدولة المصرية. والذي يعنينا فى هذا المقام بعد حوالي ثلاثة ألف سنة أن نتكلم عن النوبة فى العصر الحديث.. حيث يبدأ تاريخها مع غزوالعثمانيين لمصر عام ١٥١٧ م بعد الإنتصار الذى أحرزه السلطان سليم الأول على المماليك فى موقعة الريدانية. وبانتهاء حكم المماليك خضعت مصر ومعها النوبة للحكم العثمانى. وقد عين سليم الأول حكاما على النوبة أقاموا الحصون فى أسوان وابريم وجزيرة صاى وغيرها من المواقع ووضع فيها حميات من جنود البوسنة، ومن سلالة هؤلاء لا يزال يوجد بعض النوبيين الذين يتميزون ببشرتهم البيضاء

مع ضعف الحكم العثمانى، خاصة فى القرن الثامن عشر الميلادى، زاد نفوذ المماليك الذين كانوا حكاما للأقاليم (سناجق) فى العصر العثمانى، وكانوا حكاما للبلاد قبل مجيء العثمانيين واعرف الناس بشئونها، فألت إليهم أمور الحكم - ومع تطلع هؤلاء إلى السيطرة عانت النوبة مما عانته مصر من

النوبيون يؤدون للسلطان ضريبة من التمور والرفيق الذي كانوا يشترونهم من قوافل سنار. وكانوا لا يسترقون مطلقا رجال من أبناء بلدتهم. ووصف طبائع النوبيين ومعيشتهم السلمية مع من جاورهم ولطافت معشرهم.

تدل عادات الدفن في بلانه وقسطل على أن المعتقدات الدينية لأصحاب هذه الحضارة لا تختلف كثيرا عن العادات التي كانت متبعة بين سكان وادي النيل. فكان الميت يدفن بملابس من الجلد على نعش خشبي ومع أمتعته الشخصية وأسلحته. فقد عثر على سناديق من الخشب المطعم بالعاج وأوان زجاجية ومصنوعات برونزية مثل المصابيح والمناضد والمباخر. ومن الأسلحة وجدت رؤوس وفؤوس وسيوف وأقواس وسهام ومعظمها مصنوع من الحديد أما الدروع فكانت تصنع من جلود الثيران. وفي المقابر الملكية عثر تاجان من الفضة المطعمة بحبات من العقيق ومزينة بعناصر زخرفية مصرية مثل عين وجات والصقر المتوج بالتاج المزدوج ورأس الكباش وقرني البقر اللذين يحضنان ريشتين وقرص الشمس وثمان الكوبرا وغير ذلك.

كان من عادات الجنائزية كذلك دفن الاتباع. بعد قتلهم ليكونوا في خدمة سيادتهم في الحياة الأخرى ودفن حيوانات مثل الجمال والحمير والكلاب والأغنام. ولكن الأهم من ذلك كان دفن الخيول ومعها سروجها وحليها وأعنيتها التي استخدم في صناعتها الجلد والفضة والبرونز وزين بعضها باللازورد.

دخول المسيحية بلاد النوبة :

يحتاج دخول المسيحية بلاد النوبة إلى كثير من الحذر فى معالجته . ولا سيما عند شرح الطريقة التى دخلت بها المسيحية . وتحديد تاريخ دخولها ومعرفة دعائها الأول ، لأن شيئاً من هذا لم يعرف على وجه التأكيد . مع العلم بأن معظم الروايات التاريخية ترجح دخولها عن طريق مصر .

دخلت المسيحية مصر حوالى منتصف القرن الأول الميلادى على يد القديس مرقس الإنجيلى الذى بنى أول كنيسة مصرية بالإسكندرية . ورسم إينيانوس أسقفا لها . واجتذبت المسيحية عددا من يهود الإسكندرية وغيرهم من سكان البلاد من المصريين واليونانيين . وحوالى نهاية القرن الثانى زاد عدد المسيحيين زيادة تطلبت إنشاء ثلاث أسقفىان فى الإسكندرية والوجهين القبلى والبحرى . وانبرت المدرسة الفلسفية الوثنية بالإسكندرية للوقوف فى وجه الدعوة الجديدة . ونشطت فى جمع الكتب الفلسفية وتأليفها لصرف الناس عن المسيحية . ثم بدأ الأباطرة يحسون بالخطر الذى يهدد الدولة الرومانية من هذا الدين الجديد . فأصدرت الإمبراطور ساويرس مرسوما سنة ٣٠٢ م . يحرم فيه على رعاياه الدخول فى الديانة المسيحية أوالدين اليهودى .

لقيت المسيحية فى مصر بيئة صالحة للنمووالانتشار ، لأنها كانت تعبيرا قويا لنزعة قومية ضد الرومان ، بدليل تمسك المصريين بلغتهم القبطية التى غدت فيما بعد لغة الكنيسة . فضلا عن التنظيم الكنسى الذى انفردت به الكنيسة المرقسية منذ نشأتها وخاصة فى ترتيب الوظائف الكهنوتية وهى

الأسقفية والقسيسية والشماسية . علاوة على انتشار الديرية والرهبنة . وظهور مدرسة اللاهوت بالإسكندرية . التي انبرت للرد على مدارس الفلسفة اليونانية الوثنية . ومن هذه المدرسة اللاهوتية . قاد رواد المسيحية الأول البعثات التبشيرية إلى البلاد المجاورة . يشهد على بدء دخول المسيحية النوبة بعض القطع الأثرية التي وجدت فى بلانه وقسطل نقشت عليها صلبان وزخرفت بزخارف قبطية مثل أغصان العنب المصفورة .

ومع بداية القرن السادس الميلادى طرا على النوبة تحول سياسى جوهرى إذ نشأت فيها ثلاث ممالك مستقلة . أولها مملكة نوباديا التى غطت أراضيها المساحة الممتدة من الجندل الأول إلى الجندل الثالث . وثانيها مملكة مقره التى كانت تمتد من دنقلة العجوز (عاصمتها) حتى المنطقة الواقعة بين الجندلين الرابع والخامس . والى الجنوب منها . فى اراضى مروى القديمة . قامت مملكة "علوة" وعاصمتها "سوبا" على النيل الأزرق . شمال شرق الخرطوم .

وفى نفس الوقت تقريبا نشطت البعثات التبشيرية فى بلاد النوبة . خاصة فى عهد الإمبراطور كان طبيعيا ، انه مع انتشار المسيحية فى النوبة أن تتلاشى المعتقدات الوثنية القديمة ومعها مظاهر حضارة هذه المجموعة لتحل محلها مظاهر عهد جديد يبرز فيه العنصر المسيحى بقوة وجلاء ، وخلال القرنين الثامن والتاسع نعمت النوبة بعصر رخاء وازدهار لم تنعم بمثيله منذ وقت طويل .

انتشرت الكنائس والأديرة بين أرجاء النوبة. وكان بعضها يشيد على النمط التخطيطي للبازيليك البيزنطية. وقد عثر في ابريم على أطلال كنيسة ربما تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. وفيما القرنين الخامس والعاشر الميلاديين. ومن الجدير بالذكر ان ابريم كانت مقر بطريرك النوبة.

وفضلا عن ذلك فقد تم تحويل عدد كبير من المعبد، وإما جزئيا أو كلياً. إلى كنائس، ومن بينها معبد إيزيس في جزيرة فيلة ومعابد دندور وطافا وبيت الوالى وجرف حسين ووادي السبوع وعمدا.

وابتداء من القرن الثامن الميلادي، راحت جدران بعض الكنائس تزين بمناظر مصورة غاية فى الرقى والجمال، وفيها يتجلى المزج المدهش بين التأثيرات القبطية والبيزنطية والسورية، ولعل أروع مثال على ذلك، الرسوم الملونة على جدران كنيسة فرس والتي عددها ١٦٩ منظرا، منها ما يصور السيد المسيح وصلبه، وموضوعات من قصص الكتاب المقدس وصورا للسيد المسيح ومريم العذراء وملائكة وقديسين وبعض الملوك النوبيين.

البحوث فيما يختص بهذه الكنائس العتيقة، ولكن ثمة عددا كبيرا منها لم يزل قائما دون أن يفحصه أحد قط. وينبغى علينا الآن أن ننقذ ما تبقى من بعض هذه المخلفات العتيقة من الديانة المسيحية، وإلا ضاعت إلى الأبد.

وأما النوبة السودانية فتعتبر أغنى البقاع من حيث الكنائس والأديرة وقد عثرت بعثة ميخالوفسكى البولندية فى " فرس غرب " على رسوم مسيحية فى

اللحظة الأخيرة من موسم قصير عام ١٩٦٠-١٩٦١. وقد علمت أنها كانت رسوما بديعة، وتحتاج إلى معاملة خاصة لنقلها. ويرجح أن "فرس" كانت العاصمة في عهد "سيلكو" ولولا الحملة التي تقوم بها منظمة اليونسكو لإنقاذ هذه الآثار لما أمكن قط العثور على مثل هذه الرسوم.

وعلى بعد حوالي ميل من الصخرة التي نقش عليها الملك "جر" نموذج المبرك لمنظر يمثل حملة نوبية. وتوجد كنيسة عبد القادر وعليها الرسم المعروف الذى يمثل حاكم "نوباتيا" وهويمسك بنموذج للكنيسة ويرتدى لباس الرأس ذا القرنين، شعار ملوك النوبة. ويقول اركل فى هذا الصدد: " وقد أخذت القرون بالطبع عن قرون آمون الذى كان يرتدى لباس رأسه ملوك مروى". ولا بد أن تاريخ هذا الرسم يرجع إلى ما بعد سنة ٦٥٠ ميلادية. إذ فى الفترة ما بين هذا التاريخ وما بين سنة ٧١٠ م اتحدت مملكتنا " نوباتيا " و" ماكوريا" لأسباب لا تزال غامضة حتى اليوم. كانت دنقلة القديمة عاصمة هذه المملكة النوبية المسيحية، واحتفظت " نوباتيا " بشخصيتها تحت حكم " إباتش " epach الذى أطلق عليه العرب اسما اكثر جاذبية، هو " سيد الجبل " ويخبرنا " اركل " بان هذا اللقب العربي يستحق المزيد من البحث. ذلك أنه يحمل نفس المعنى الذى تحمله كلمة " توماجيرا " Tumagera. وهواسم شعب قد يكون فرعاً من الأسرة الملكية المروية التى ربما انتقلت غرباً بعد سقوط " مروى "، وأسس ممالك، ممالك مقدسة عبر أفريقية امتدت حتى شمال " نيجيريا "

فان المسيحية أخذت تتسرب تسربا نظميا إلى بلاد النوبة منذ أواخر القرن الثالث الميلادى، ولم ينقطع سيل الوافدين المسيحيين إلى بلاد النوبة. وأخذت هجرة الجماعات المصرية المسيحية إلى الجنوب تزداد تدريجيا لما نالها من اضطهاد بسبب الخلاف الذي نشب بين المسيحيين حول طبيعة المسيح، وحتى الأمر بإنشاء أسقفية فى فيلة فى القرن الرابع الميلادى. هذا فضلا عن إنشاء عدد من الأديرة والكنائس فى منطقة طيبة وأسوان.

وثمة دليل على نشاط الجماعات المسيحية الأولى بمنطقة أسوان وجزيرة فيلة وجهودهم بمنطقة النوبة السفلى. وهوما تذكره وثيقة قبطية عن بعثة تبشيرية إلى تلك البلاد فى القرن الرابع الميلادى، ولهذه القصة أهمية خاصة لأنها توضح العلاقة الطيبة بين رجال الدين المسيحيين وجيرانهم النوبيين. ولا بد ان تكون بهرتهم معجزات الأنبا هاورن، أحد أساقفة فيلة فى القرن الرابع الميلادى.

ثم بدأت المرحلة الحاسمة من مراحل الدعوة للمسيحية فى بلاد النوبة زمن الإمبراطور جستينيان (٥١٧-٥٦٥ م). ذلك أن الإمبراطور لم يقنع بان ينسب إليه القضاء على معاقل الوثنية فحسب - كما فعل فى فيلة عندما أغلق معبدها الوثني، أو كما فعل فى أثينا عندما اغلق المدرسة الفلسفية الوثنية بها - بل رغب كذلك فى أن يدخل القبائل الوثنية على أطراف إمبراطوريته فى حظيرة الدولة البيزنطية. ولهذا سعى إلى اجتذاب البليميين والنوبيين إلى الديانة المسيحية ليتسنى له السيطرة على وادى النيل الأوسط. ووضح هذا

الاتجاه السياسى عندما بدأت عملية التبشير الحقيقى ببلاد النوبة على يد رسل الكنيسة المصرية. على أن التبشير بالمسيحية فى بلاد النوبة فى النصف الثانى من القرن السادس الميلاد كان انعكاسا لصورة النزاع المذهبى بين الكنيستين المصرية والبيزنطية. ثم إلى اى حد تاثر النوبيون بالمسيحية. وهل كان اعتناقهم لها على نطاق واسع، واوشمل بعض طبقات الشعب دون البعض الاخر؟ الواضح مما كتبه يوحنا الافسى ان يوليان واونجينوس بدءا بتعميد الملوك ثم الامراء ثم بعض افراد النوبيين. ومن غير المعقول ان يتم تعميد النوبيين جميعا فى المدة القصيرة التى قضاها كل منهما فى بلاد النوبة. ولا بد ان قرارا صدر من ملوك النوبة باعتبار المسيحية دين الدولة الرسمى. فاعتنقها الناس لا عن فهم واقتناع ولكن الناس على دين ملوكهم فضلا عن هذا فان عملية التبشير بالنوبة لابد انها اخذت ابسط انواع صورها لتلائم ظروف البيئة البدائية وثقافة السكان. واعتمد المبشرون على سرد القصص المحببة إلى نفوس السامعين اكثر من الاعتماد على الحجج المنطقية والمناقشات اللاهوتية. وبهذا يمكن تصور نوع التعاليم التى تلقاها النوبيون على يد مبشريهم الاول ولا بد أن تكون هذه التعاليم خرجت احيانا عن اصولها للحصول على كسب سريع. ثم انه لابد ان النوبيين. لم يعتنقوا المسيحية دفعة واحدة، ولكن على مراحل. بدليل وجود بعض العادات الوثنية بين النوبيين فى الوقت الذى كان يقوم فيه كل من يوليان ولونجينوس بالتبشير بينهم. مثال ذلك عادة تقديم الضحايا البشرية والحيوانية، وكذلك عادة وضع الاوانى الفخارية التى يحفظ فيها

طعام الميت وشرابه فى القبور ثم ازداد انتشار المسيحية ببلاد النوبة حتى اصبحت عامة تقريبا بسبب هجرة الاقباط من مصر إلى بلاد النوبة على اثر الغزوالفارسي لمصر عام ٦١٩ م واضطهاد اللكانيين للأقباط بعد استرداد البيزنطيين مصر. فضلا عن هذا فإن التنظيم الادارى لمملكة النوبية المتحدة. وتقسيمها إلى مديريات تحت سلطة حكام خاضعين للملك مباشرة بدنقلة ادى إلى ازدياد سلطة الحكومة. وبالتالي ساعد على احكام رقابتها على الحياة الدينية وأدى إلى انتشار المسيحية.

أما الكنائس التى بناها النوبيون، وفاولها كنيسة مارى بابریم، وربما يرجع تاريخ بنائها إلى اواخر القرن السادس اواوائل السابع. والكنيسة الثانية هى التى اشار اليها يوحنا الافسى وقال ان لونجينوس بناها للنوبيين اثناء اقامته بينهم فى المرة الاولى من سنة ٥٦٩-٥٧٥ م. والكنيسة الثالثة هى كنيسة دنقلة. اما كنيسة فرس وبوهن فرما يرجع تاريخ بنائهما إلى اواخر القرن السادس اواوائل السابع الميلادى. اما سائر الكنائس المنتشرة على طول النيل من اسوان فى الشمال إلى القطينة على النيل الابيض فى الجنوب. فلم يعرف تاريخ انشائها لعدم وجود نصوص مكتوبة على جدرانها، ولم يبق من هذه الكنائس الا اطلالها، ومعظمها اندثرت معاله لانها كانت مبنية من الطين. ولهذا فان ما تبقى منها معظمه إلى الشمال من ابوحمد حيث تنذر الامطار. ويقول ابوصالح فى الوقت الذى وضع فيه كتابه حوالى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ان مدينة علوة بها اربعمائة كنيسة، ويضيف بتار ان

فرنسسكو الفارز مبعوث ملك البرتغال إلى بلاط ملك الحبشة في القرن السادس عشر الميلادي. ذكر ان شخصا سوريا يدعى يوحنا السورى حدثه ان ببلاد النوبة مائة وخمسين كنيسة مزينة جدرانها بصور السيد المسيح والسيدة العذراء والقديسين. وعثر سومرز كلارك على سبع وأربعين كنيسة في النوبة فى جهات مختلفة على طول النيل من اسوان إلى جنوبى الخرطوم. ووصف هذه الكنائس ووضع لها رسوما فى كتابة عن الاثار المسيحية بوادى النيل. وعثر دى اخيرا على بقايا عشر كنائس اخرى منها اثنتان بقصر إبريم.

النوبيون والعرب

مرحلة انتقال من المسيحية إلى الاسلام :

لقد صحب اتصال العرب بالنوبيين دخول لون جديد من الثقافة إلى بلاد النوبة، فصبغ سكانها بصبغة جديدة، وطبعهم بطابع خاص، مختلف عن الطابع القديم الذى اتصف به المجتمع النوبى فى العهد المسيحى. أما هذه الثقافة الجديدة فهى الثقافة العربية الاسلامية

وثمة ظاهرة اخرى هى نزوح بعض الجماعات النوبية من بلادها وتأثرها بتلك الثقافة خارج الوطن النوبى. وهذا العامل الاخير سنتعرض لذكره بعد.

اما عن صلة النوبيين بالعرب فقديمة وترجع إلى ما قبل ظهور الاسلام، وهذه حقيقة تؤيدها الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية. وذلك ان البحر الاحمر لم يكن فى وقت من الاوقات حاجزا يمنع الاتصال بين شواطئه الاسيوية العربية وشواطئه الافريقية. ولا يزيد اتساع البحر على المائة والعشرين من الاميال عند السودان. وليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة ولعل التجارة كانت اهم وسيلة هذا الاتصال. اذ نشطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب بين الجزيرة العربية من ناحية وبين موانى مصر والسودان والحبشة من ناحية اخرى. واتخذ التجار العرب من بعض نقط على الساحل الافريقية مراكزهم يوغلون منها بسلعهم وبضائعهم فى قلب القارة الافريقية حتى وادى النيل على الاقل.

مضيق باب المندب فاستقر بعضهم فى الحبشة وتحرك بعضهم الآخر
متتبعا النيل الازرق ونهر عطبره ليصلوا عن هذا الطريق إلى بلاد النوبة.

فتح مصر والنوبة :

اتجهت سياسة المسلمين - منذ ان تم لهم فتح مصر - إلى فتح النوبة .
وتلاقت رغبة الخليفة عمر مع رغبة قائده عمرو بن العاص فى مصر لضرورة
غزوالنوبة لضمان المحافظة على اطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق
التجارة القديم بين البلدين . فارسل عمرو وفرقة من الفرسان بقيادة عقبة ابن
نافع لفتح النوبة سنة ٦٤١ م . والراجح ان عدد المسلمين فى هذه الحملة لم
يكن كبيرا بينما كانت خسائرهم كثيرة لشدة المقاومة التى ابداهها النوبيون .
فضلا عن مهارة هؤلاء فى الرمى بالسهام ، حتى اطلق عليهم المؤرخون العرب
اسم رماة الحدق ولذا يستطع المسلمون ان يتوغلوا جنوبا . على ان هذه
المحاولة ان لم تكن ناجحة ، فهى كذلك فاشلة تماما ، وفى الدليل على ذلك
نص معاهدة الصلح بين عمرو وقيرس (المقوقس) ، وذلك النص الذى ورد فيه
ذكر النوبة لأول مرة فى وثيقة عربية ، " أن على النوبيين اللذين يدخلون فى
صلح مع المسلمين دفع كذا وكذا من الرؤوس ، وفتح بلادهم لتجارة الصادر
والوارد " . والواضح من هذا النص أن الطرفين الاسلامى والنوبى إتفقا على عقد
هدنة بينهما فى هذه السنوات على غرار ما كان بين مصر والنوبة قبل الفتح
العربى لمصر .

بيد أن النوبيين لم يحافظوا على العهد بعد أن علموا بعزل عمرو بن العاص . و وفاة الخليفة عمر . فأرسلوا عبيدهم إلى الصعيد فحربوا وأفسدوا . واستعد عبد الله بن أبي السرح الذى خلف عمرو فى ولاية مصر لملاقاتهم . رغبة منه فى تقليد الفتوحات التى قام بها سلفه ومنافسه عمرو . وتمكن جيش ابن ابى السرح من التوغل جنوبا حتى دنقلة عاصمة المملكة المسيحية الشمالية " مقرة " سنة ٦٥٣م وحاصرها حصارا شديدا واستخدم المنجنيق فى ضرب المدينة فخربت كنيسهم . ويقول المقريزى نقلا عن ابن سليم الأسوانى فبهرهم (النوبيين) ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدوروث "قليدور" الصلح وخرج إلى عبد الله وأبدى ضعفا ومسكنه وتواضعا فتلقاه عبد الله ورفع وقربه ... " وقرر القائد العربى عقد صلح عرف باسم البقط . مؤداه أن يدفع ملك النوبة لبيت مال المسلمين ٣٦٠ رأسا من الرقيق . ووعده عبد الله ابن سعد بهدية سنوية من حبوب وملابس . لما شكاه الملك النوبى قلة الطعام فى بلده . وكتب عبد الله بن سعد للنوبيين عهدا يعتبر أساسا للعلاقات بين مصر الإسلامية والنوبة المسيحية . وقد نص فيه على حدود معلومة للمملكة التى عقدت الصلح مع المسلمين . وتمتد من أسوان شمالا إلى حد أرض علوة جنوبا أى إلى منطقة الأبواب (كبوشية الحالية) . وبهذا لايشمل الصلح دولة علوة المسيحية لعدم وصول جيوش المسلمين إليها . فضلا عن أن العقد لم يشر إلى البجة .

وينص هذا العقد كذلك على تأمين أهل النوبة وتأكيد بعدم محاربتهم ما داموا قائمين على تنفيذ الشروط التي بينهم وبين المسلمين . ومنها : إرسال ٣٦٠ رأساً من أفضل رقيق بلدهم وحفظ من نذل بلدهم من مسلم أو معاهد . وحفظ المسجد الذى إبتناة المسلمون بفناء مدينتهم ، ولا يلتزم المسلمون بدفع عدو أو مغير على بلادهم .

ويرى بعض المؤرخين أن هذا الصلح جعل النوبيين والمسلمين على قدم المساواة فلا غالب هناك ولا مغلوب بدليل ما يدفعه المسلمون من أشياء مساوية تقريبا لما يدفعه النوبيون وقد تزيد . وأنها مصلحة متبادلة . وهى أشبه بمعاهدة تجارية . فقد أصبحوا أحرارا غير عبيد شأنهم فى هذا شأن العرب الأحرار الذين إختلطوا بالنوبيين وتأثروا بهم وأخذوا عنهم أفكارهم ونظمهم الإجتماعية .

ويتسم عهد الفاطميين فى مصر (٩٦٩ - ١١٧١) بقيام علاقات دالة على حسن الجوار والمسالمة بين مصر الفاطمية والنوبة المسيحية . غير أن هذا العهد شهد ميلاد إمارة عربية قوية إتخذت مدينة أسوان مركزا لها . وإمتد نفوذها جنوبا فى أرض ماريس . وأنشأ هذه الإمارة زعيم من عرب ربيعة اسمه أبومروان بشر بن إسحاق ، ثم لم يلبث النزاع أن نشب فى العلقى وعيزاب بين بطون ربيعة ذاتها ، وقتل بشر بن إسحاق وخلفه على زعامة القبيلة ابن عمه أبو عبد الله محمد بن على المعروف باسم أبى يزيد بن إسحاق . واختلط عرب ربيعة بالنوبيين وتزوجوا من بنات رؤسائهم ، فأضحت لهم مصالح مادية

فى بلادهم، لإنتفاعهم بنظام الوراثة المعروف عند النوبيين، وهوتوريث ابن البنت أو ابن الأخت.

إنهاء المسيحية من النوبة :

فى عصر الدولة المملوكية البحرية والجركسية (١٢٥٠-١٥١٧ م) صارت حملة لإحتلال ميناء سواكن مما أثار حنق الملك النوبى داود فدفع بجيشه لمحاربة المماليك. ورد على ذلك السلطان بيبرس بأن أرسل حملة لتأديبه فهزمته هو وقواته قرب دنقله عام ١٢٧٦ م فاضطره إلى الفرار إلى "علوة" بالنوبة العليا ونصب مكانه ابن اخته " شكنده " ملكا على النوبة، بعد أن أخذ على نفسه عهدا بالولاء وأداء الجزية للسلطان المملوكى.

كانت هذه المرة الأولى فى العصر الإسلامى التى يعين فيها ملك على النوبة من قبل السلطان فى مصر والتى يؤدى فيها النوبيين الجزية. ومعنى هذا أن النوبيين صاروا رعية لدولة إسلامية. وبذلك شاركوا فى تحمل التبعات والواجبات وتمتعوا بالحقوق التى تمنحها الدولة الإسلامية لرعاياها. وقد أنشأ السلطان بيبرس فى مصر ديوانا أسماه "ديوان النوبة" لرعاية شؤونها.

توالى الحملات التى أرسلها إلى النوبة سلاطين المماليك الواحد بعد الآخر حتى قويت قبضتهم عليها بحيث كانوا يولون ملوكا ويخلعون آخريين. ليس فى النوبة السفلى فحسب وإنما فى النوبة العليا كذلك.

فى عهد السلطان ناصر بن محمد بن قلاوون لجأ إلى مصر عام ١٣٠٥ م أمير نوبى يدعى "نشلى"، وبعد أن إعتنق الإسلام واتخذ لنفسه إسم "عبد الله برشمبو"، أرسله السلطان على رأس حملة إلى النوبة لتأديب ملكها كرئيس، فهزمه فى موقعه فاصله وكافاه السلطان بأن ولاه على النوبة، ولكنه لم يلبث أن لقي مصرعه على يد جماعه من أبناء قبيلة كنز، مما دفع السلطان قلاوون إلى إرسال حملة أخرى لإعادة الأمن إليها. ونجحت الحملة فى إعادة الهدوء إلى أرجاء البلاد بل وإعادة الملك النوبى السابق كرئيس إلى عرشه بعد أن إعتنق هووكل رعيته الإسلام. ولذلك رفعت عنهم الجزية. وكان هذا إيذاناً بانتشار الإسلام فى كل بلاد النوبة، وما أن هل القرن السادس عشر حتى كان الإسلام قد حل نهائياً محل الديانة المسيحية.

النوبة فى العصر الإسلامى :

فى عام ٦٤١م قام عمرو بن العاص، قائد الخليفة عمر، بغزو مصر. وأصبحت بلاد النوبة ولاية من ولايات الإمبراطورية الإسلامية. وبعد ذلك بإحدى عشرة سنة حدث تمرد فى بلاد النوبة فسار إليها القائد المسلم عبد الله بن أبى الصرح حتى وصل إلى " دنقلة القديمة " حيث دمرت قواته المدينة، بما فيها الكنيسة العتيقة بواسطة الصخور التى يقذفها المنجنيق. فوافق الملك " كولىدودو Koleydozo "على أن يدفع جزية سنوية مقدارها ٣٦٥ عبداً لعمرو بن العاص، واربعمون عبداً لحاكم مصر. وعشرون لحاكم

أسوان، وخمسة للقاضي، وإثنى عشر لمراقبي العبيد " على أن يكونوا خالين من العاهات الجسمانية، سواء من الذكور أو الإناث، وألا يكون من بينهم رجال أونساء طاعنين فى السن ولا أطفال صغار ". وكان العرب يلمون بكل شئ عن تجارة العبيد. وأن الإنسان ليتساءل عن الزمن الذى مضى عليهم وهم يقومون بتجارة العبيد على الشاطئ الشرقى لإفريقية عن طريق " زنجبار ".

وتدل المعاهدة التى فرضها عمرو على الملك "كوليدوزو" على العدالة المطلقة والتسامح نحو الديانة المسيحية اللتين كانتا تميزان سياسة الفتح تحت حكم الأمويين: " يا أهل النوبة، سوف تعيشون آمنين فى رعاية الله ورسوله محمد ". وكان فى مقدور المواطنين من كلا الجانبين أن يعبروا الحدود بصفة مسافرين، ولكن ليس بغرض الإقامة، ولهم حق الحماية. وينبغى على النوبيين ألا يأووا عبيدا فارين من المسلمين. كما ينبغى عليهم أن يحترموا ويعتنوا بأمر المسجد القائم فى مدينتهم. ولكن لم تكن ثمة فقرة فى هذه المعاهدة تنص على وجود إعتناق الدين الإسلامى. وفى حالة نقض المعاهدة، سوف يلجأ عمرو إلى العدوان " حتى يقضى الله بيننا وهو خير الحاكمين ". وقد أقسم المسلمون على المحافظة على شروط المعاهدة بالله ورسوله محمد، وطلبوا من النوبيين أن يقسموا " بكل ما هو مقدس فى دينهم، بالمسيح وحواريه ".

وكثيرا ما يصورون العرب فى التاريخ والقصص الخيالية على أنهم غلاظ قساة. حقيقة أن القراصنة من المشاركة الذين كانوا يمتازون بالوحشية والعنف كانوا يقطعون الطريق على السفن المارة عند شاطئ بلاد المغرب، وكان

المسيحيون يقيدون بالسلاسل إلى مجاديف السفن . وكان العبيد يسحلون فى الأدغال تحت وقع لهيب الشياطين . ومع ذلك ، فإن الأجناس الأخرى لم تعد كذلك وجود القراصنة ومحاكم التفتيش وتجار العبيد . أما عن الرق فإن الذى يقدم على شراء طير يرى فى قفص لا يقل وحشية عن ذلك الذى ينصب له الفخ فى الأحراش . والواقع أن الصورة الشائعة للعرب فى التاريخ صورة مشوهة تشويهاً بالغا ، ذلك أن العرب كانوا حماة الحضارة والثقافة خلال مطلع العصور الوسطى فى أوروبا التى كانت معاصرة للمسيحية الأولى فى بلاد النوبة . ولقد أقام الحكم العربى فى أسبانيا حضارة من أعظم الحضارات فى العالم . ويقول " بترى " أن تجاهل هذه الحقيقة يعد تجاهلاً لأنصح صفحة فى العصور الوسطى . وهكذا لم يكن الفاتحون العرب أعداء للمسيحية فى بلاد النوبة إلا عندما كان يقوم تمرد من جانب الأهالى ولما كانت ديانتهم تقوم على البر والتقوى ، فقد كانوا يشعرون بعطف بالغ وتسامح نحوالمسيحي المخلص . أما عنصر التعصب فقد جاء بعد ذلك بمدة طويلة . وينبئنا أبوصالح أن الملك سليمان ، ملك النوبة ، إعتزل العرش فى عهد الخليفة المستنصر بالله . ولما سئل عن سبب ذلك أجاب : " هل هناك ملك يستطيع أن يتقى غضب الله وهويتمسك بالحكم بين الناس ؟ هل فى مقدوره أن يحكم دون أن تتحكم فيه عواطفه . أويريق الدماء بدون وجه حق . أويجبر الناس على أن يفعلوا ما ليس فى صالحهم ؟ " وكذلك الملك يقضى وقته فى الصلاة فى كنيسة الوادى .

وفى إعتقاد المؤرخين أن بلاد النوبة كانت مكانا ترفرف عليه السعادة إبان سنى المسيحية السبعمئة. ومن الممكن أن نمد هذه الحقبة سبعمائة سنة أخرى إلى الوراء حتى قدوم البطالمة، لوأننا إعتبرنا زحف " بترونيوس " على إبريم عام ٢٥ ق م وبعض القلاقل التى أحدثها البليميون بعد ذلك بخمسائة عام مجرد اهتزازات على سطح كيان تميز بالاستقرار والسكينة النسبيه إذا قورن باماكن عديدة اخرى. وفى القرن الخامس عشر الميلادى تم الاختلاط بالنوبيين من أسوان حتى دنقلة. وانتشر الاسلام وزال ما بقى من المسيحية من نفوذ. وفى هذا القرن تكونت كذلك المجموعات النوبية المستعربة والتى لا تختلف فى صفاتها الطبيعية وملامحها عن النوبيين الحاليين، وهم الكنوز والفديجة والسكوت والمحس والداقلة.

انتشار الإسلام فى النوبة :

يقول ابن خلدون " وانتشرت جهينة ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكاثروا هناك سائر الامم وغلّبوا على بلاد النوبة، وفرقوا كلمتهم وأزالوملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد. والمفهوم من هذا أنه بعد سقوط دنقلة فى يد العرب أضحّت المنطقة الممتدة من حلفا الحالية إلى شمال غرب الحبشة مسرحا لاعمال النهب والتخريب مدة لا تقل عن ثلاثمائة عام. وأن العرب فى تقدمهم جنوبا قتلوا كثيرا من النوبيين واسروا بعضهم حتى اضطر كثير من النوبيين إلى الهجرة غربا إلى تلال نوبا فى جنوب كردفان، وجبل حوزا

وكاجا وغيره فى شمال كردفان. غير أنه يبدو أن العرب لم يقابلوا فى تقدمهم جنوبا إلى جهات علوة وغيرها مقاومة عنيفة لعجز ملوكها عن دفعهم. وإذا كانوا اضطروا أحيانا إلى استخدام العنف فإن الطابع العام لهذه الهجرات كان طابعا سليما، ونجحوا فى تحقيق مآربهم لا بحد السيف بل بالاختلاط والتزاوج من بنات النوبيين وملوكهم. ويقول ما كمايكل "إن كل الدلائل تشير إلى أن النصر - باستثناء أقاليم معينة كاقليم جبال النوبا. حيث لا يزال العرب يمتلكون السهول، على حين يسكن السود التلال - قد تم غالبا بالاتفاق والتزاوج أكثر مما اكتسب بقوة السلاح. ويمكن القول بان الظاهرة الاساسية فى التاريخ الجنسى لشمال السودان ووسطه منذ اواخر القرن الثالث عشر الميلادى كانت ظاهرة الاندماج التدريجى بين العرب والسود".

لا شك أن لهذا الرأى وجهته فهويتفق وما ذكره ابن خلدون فى صدد هجرة جهينه إلى بلاد النوبة (علوة). أما عن اضطراب الامن فى بلاد النوبة واطان البجة حتى الحدود الحبشية، فكان بسبب النزاع بين القبائل العربية ذاتها لسبب اولاخر. وتشير بعض الروايات التاريخية إلى وجود مثل هذا النزاع بين قبيلتى جهينه ورفاعة أواخر القرن الثالث عشر الميلادى قرب عيذاب. ولعل اشارة ابن خلدون إلى انقسام العرب على انفسهم، ما يزيد فهمنا لما صار إليه هذا الجزء من حوض النيل اوائل القرن الخامس عشر الميلادى. إذ يقول " واستولى اعراب جهينه على بلادهم (أي النوبيين فى علوة)، وليس فى طريقه شيء من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا

شيئا لهذا العهد". أما ما ذكره بعض المؤرخين عن التجاء بعض العناصر النوبية إلى جبال جنوب ووسط كردفان ودارفور هربا امام مذابح العرب، فليس هنالك ما يؤيده. والراجح كما يقول ماكمايكل. أن أولئك المهاجرين من بلاد النوبة عقب سقوط دنقلة، إلى جهات كردفان ودارفور لم يكونوا نوبيين خلصا، بل كانوا يمثلون خليطا من العرب والنوبيين (النوبيين المستعمرين) ومن هؤلاء، سكان جبل ميدوب في شمال دارفور والتنجور والبرقد.

واشتملت الجماعات العربية التي هاجرت إلى حوض النيل الاوسط على المجموعتين العربيتين، وهما مجموعتا العدنانيين والقحطانيين. ويمثل العدنانيين في الوقت الحاضر الكواهلة والمجموعة الجعلية وبعض القبائل الصغيرة الاخرى كالرشايدة. ويمثل القحطانيين: المجموعة الجهنية.

الفصل الثاني

النوبة قبل التهجير

- النوبيون: هذه الكنوز الإنسانية الخالصة
- تعريفات عن أقسام النوبة
- تاريخ النوبة بأقسامها الثلاثة
- الكشاف والمجرب
- النوبة السودانية
- اللغة النوبية

النوبة الحديثة

النوبة الحديثة :

وفى هذا الكتاب نرجع إلى النوبة الأصلية من موقعها القديم قبل أن يهجر إلى النوبة الجديدة تلك المنطقة التى عاش فيها النوبيون آلاف السنين والتى تعرضت لغزوات وهجرات متنوعة من مختلف الجهات من اقدم العصور وأثرت فى تكوينهم السلالى.

وبلاد النوبة الأصلية كانت مقسمة إلى قسمين . الشمالى وهى جزء من الوطن المصرى ويمتد من شمال وادى حلفا (أندنان) إلى أسوان (الشلال) ويعرف بالنوبة السلفي ، القسم الجنوبى ويمتد من بلدة (فرس) إلى بلدة الدبة قبل الخرطوم كما تقع إلى الغرب من مروى وإلى الجنوب من دنقلة بالسودان. وتنقسم النوبة المصرية إلى ثلاثة أقسام هم بالترتيب من الشمال إلى الجنوب.(عكس جريان النيل).

النوبيون

أ. / محمود أمين العالم

هذه الكنوز الإنسانية الخالصة..

إن صح أن كلمة النوبة تعنى الذهب. لأن أرضها كانت مصدراً غنياً لهذه المادة الرائعة النادرة طوال التاريخ المصرى القديم. فإنى وإن كنت لا أملك القدرة على إختبار هذه الحقيقة إختباراً تاريخياً علمياً، أكاد أرى بخبرتى الحية، أن الذهب النوبى الحقيقى هو الإنسان النوبى نفسه نساءً و رجالاً، وشيوخاً وأطفالاً. حقاً. لم يُتَح لى شرف زيارة المناطق النوبية البعيدة قبل اختفائها تحت مياه النيل بعد مشروعات السدود المختلفة وبخاصةً السد العالى. كما لم يتح لى شرف زيارة النوبيين فى قراهم التى هُجِّروا إليها أو فرضت عليهم الهجرة بعد غرق قراهم الأصلية التاريخية. على أنه كان لى شرف لقاء بعض سبائك هذا الذهب النوبى الخالص فىمن التقيت بهم من نوبيين فى مختلف مجالات حياتنا المصرية المشتركة وبخاصةً فى المجالين السياسى والثقافى. وأذكر أن لقائى الحميم الأول ببعض رموزهم كان لقاء ذا دلالة عميقة. تعبر عن وحدة التاريخ والمصير والمسيرة والمعاناة المصرية النوبية الموحدة كان هذا اللقاء الحميم الأول فى أوائل الستينيات فى قلب الواحات الخارجة فى قرية من قراها البعيدة هى قرية "المحاريق" داخل سجنها المسمى باسمه. فى هذا السجن البعيد. كان مئات من أشرف وألع وأكفأ عمال مصر وفلاحيهها ومثقفيهها وعلمانيها محتجزين اعتقالاً أو سجنًا. بتهمة الانتماء

إلى الحركة الشيوعية المصرية، فكراً ونشاطاً. وكان بينهم عدد من المناضلين الفلسطينيين على رأسهم الشاعر الكبير معين بيسو. ورغم قسوة الحياة فى هذا المكان المعزول فى قلب الصحراء - فإن التواجد مع هذه الكوكبة المتميزة من أصحاب الرأى والموقف، كان يحيل هذا المكان وهذه القسوة إلى بقعة متوهجة من الفكر والحوار والتفاعل الاجتماعى والإنسانى النادر الرفيع بين سجنائه ومعتقله على ما بينهم من اختلافات واجتهادات وتناقضات فكرية جادة من ناحية وبينهم وبين سجانهم من ضباط وعساكر من ناحية أخرى. رغم ما كان كذلك بين الطرفين من صدام شرس أحياناً عندما تأتى أوامر أو يأتى مفتشون رسميون من مركز السلطة فى القاهرة. وكان هذا هو أول درس تعلمته فى التناقض الموضوعى بين المجتمع المدنى بما فيه من مواطنين يعملون فى مؤسسة السلطة نفسها من ضباط وعساكر. وبين مؤسسة السلطة المركزية نفسها حتى داخل مؤسسة السجن!

وفى هذا الإطار الإنسانى الغنى كان لقائى الأول بالنوبى المصرى الإنسان الرائع: زكى مراد.. سياسياً على درجة عالية من الوعى والجسارة وخطيباً فصيحاً بليغ الحجة، محرصاً رائعاً بفكره وابتسامته المضيئة إلى العمل البنائى المشترك، وشاعراً تجتمع فى كلماته وصوره عذوبة التعبير ورقته مع عمق الرؤية الإنسانية الواضحة الحاسمة المسكونة دائماً بإرادة الفعل والتغيير. وكان قائداً منظراً ومنظماً تجده دائماً حاضراً جاهزاً حيث تكون المشاكل والخلافات ومتطلبات القرارات الحازمة السريعة. وكان أبرز رسلنا وأقدرهم على التعامل

مع الإدارة العسكرية فى السجن وأكفأهم فى انتزاع الحلول الإيجابية منهم لمصلحة زملائه ورفاقه عندما تحتمل المواجهة وتكاد تبلغ حد الصدام بينهم وبين تلك الإدارة. كانت شخصيته تحمل سمة القائد المتوج بالكرامة العالية والعقل المستنير والإرادة المتفائلة والكف الممتدة دائماً بالمودة الصافية والحضور الانسانى السخى بالعبء الفكرى والاخلاقى والعملية.

ونخرج من سجن المحاريق، ليواصل زكى مراد بل يضاعف تكريس حياته وطاقاته محامياً علنياً وقائداً ومسئولاً سرياً، مناضلاً عن الحق والعدل والحرية والتقدم والاشتراكية. على أن وجوده الفعال النشاط المهم كان أكبر وأخطر من أن تتحمله - وهو مجرد فرد - سلطة رسمية تمتلك كل أسباب القوة البوليسية والعسكرية والقانونية والإعلامية فتصدر عليه حكماً بالتصفية فتصادم سيارته الصغيرة التى كان يقودها بنفسه مصادفة مدبرة فى شكل سيارة أخرى ضخمة تنحرف إليه من الاتجاه المعاكس لاتجاه طريقه : الطريق الحق و الطريق الصحيح. وتمنعه الى الابد من مواصلته. ولكن هيهات أن يستطيعوا طمس هذا النموذج النبوى المصرى الباهر منذ أن كان سبيكة ذهبية حضارية فى مصر القديمة. وما يزال طاقة درس وإلهام وتفائل ونضال فى حاضر مصر ومستقبلها.

على أن زكى مراد لم يكن السبيكة الذهبية النوبية الوحيدة التى سعدت وشرفت ببقائها فى سجن "المحاريق" كانت هناك أكثر من سبيكة نوبية تثب الى نهنى الآن صورة سبيكة منها ما أشد أختلافها عن سبيكة زكى مراد. وما

أعمق تماثلهما معاً فى الوقت نفسه. إنها صورة الروائى النبوى الرائد المبدع محمد خليل قاسم. لم يكن محمد خليل قاسم بركاناً متفجراً بشظايا الفكر والعمل مثل زكى مراد. كان فى سمته وصحته ووقاره وهدهوته الرزين وصوته الأبوى الحنون الذى يأتى من أعماق بعيدة كأنها رنين على كتف مستمعه بل كاد أن يكون تواجداً معاصراً لواحد من المتصوفة المسلمين القدامى. على أنه فى الحقيقة كان أقرب الى الرماد الدافئ الذى ينطوى صدره وقلبه على عشرات من البراكين التى تنساب إنسياباً دمثاً هادئاً معلماً ملهما مبدعاً فى كتاباته ومحاضراته وندواته وأحاديثه المتناثرة. كما كانت تتجلى فيما تبرزه همته التى لا تمل ولا تهدأ ولا تتوقف عن المسارعة الى تحمل مختلف الأعباء والخدمات والمسئوليات من أدناها الى أرقاها، ومن ابسطها الى أشدها صعوبة وقسوة. ومحمد خليل قاسم رجل المبادرات الى العمل والخدمة والمساندة. دائم المسارعة الى البحث عن حلول للقضايا المختلفة الشخصية والعامه، والفكرية والعملية. كان دائم الحضور إلى جانب الرفاق جميعاً بغير استثناء، ينصت ويقترح ويشارك بالجهد بكل ما يستطيع. ولكنه كان دائماً هناك معهم ولهم، يحمل ويتحمل، يدفع ويرفع ويضع ويصنع ما يحتاجه الرفاق. لا يكاد يتكلم إلا همساً ودوداً. فالعمل هو حديثه دائماً. على أن بركانه النادر الباطنى المتخفى تحت الرماد الدافئ كان ينساب ويتدفق عندما يتفرغ لنفسه ليكتب وينسحب فجأة من أعماله وأعبائه العديدة، ليقبع فى ركنه البسيط المختار أمام مكتبه الأرضى المتواضع الذى صنعه، وصنع مثله لنا جميعاً عم بَرِّق الفنان

النجار المناضل والعامل المصرى النبيل الجميل. أمام هذا المكتب الأرضى يغيب عنا محمد خليل قاسم مع بركانه الباطنى، ليخرج علينا من حين إلى آخر، وبين إنقطاعات عديدة بمسيرته الكتابية. إلى أن استكملت تماماً وخرج بها إلينا. فأضيف إلى سجناء سجن المحاريق سجين جديد وإن يكن تجسيداَ للحرية نفسها، الشمندورة. هذا العمل الأدبى التاريخى المبدع. رواية الشمندورة" لمحمد خليل قاسم" كما كتبتُ عنها بعد خروجنا من السجن هى "رواية ذات خصوصية متميزة فى أدبنا العربى الحديث كله فهى أول رواية عن حياة أهالى النوبة، وخاصة فى مرحلة من أخطر مراحل حياتهم وهى مرحلة التعلية الثانية لخزان أسوان التى اجتاحت مياهها قراهم وفرضت عليهم محنة الهجرة والرواية لا تتحرك فحسب بلسان الراوى (الأنا) الطفل المشارك فى أحداثها والذى يكبر وينمو معها وبها. وإنما تتحرك كذلك بلسان "النحن" الجماعة البشرية القاطنة فى هذه القرى النوبية "قته" بل تتحرك كذلك بلسان عناصرها المكانية والطبيعية. وهى لا تواجه محنة طوفان المياه التى تطلقها التعلية الثانية لخزان أسوان فحسب، بل تواجه كذلك وربما أساساً محنة طغيان سياسى يتعامل مع محنة الطوفان تعاملًا استعلائياً واستبدادياً دون مراعاة لمصالح وحقوق وإنسانية هؤلاء الذى سيجرف الطوفان بيوتهم وخيلهم وقبور موتاهم وتراثهم التاريخى كله"؟!؟

أنها ليست مجرد رواية نوبية مصرية وإنما هى رواية إنسانية شاملة تستبصر بحق محنة الإنسان المعاصر وتطلقه إلى التحرر والتقدم.

ويخرج محمد خليل قاسم من "المحاريق" بعد سنوات عديدة من السجن ليتزوج ويستقر. ولكنه لا يجد عملاً يتناسب مع قدراته ومواهبه. ويمرض وفي صمت وهدوء كصمت المياه التي غمرت قرى بلاد النوبة وغيبتها. يغيب عنا محمد خليل قاسم، ولكن لا تغيب عنا ولا ينبغي أن تغيب الذكرى العطرة الملهمة المتجددة لمحمد خليل قاسم كنزاً أخلاقياً وفكرياً ومواطناً مصرياً نوبياً ملتزماً ونموذجاً إنسانياً رفيعاً وأديباً عربياً روائياً مبدعاً.

وفي سجن "المحاريق" كان هناك شاب نوبى خجول شديد الخجل. يتحدث دائماً فى هدوء كأنما يهمس، ويتعامل مع الناس جميعاً بأدب وتحضر ورقة. اكتشفنا عرضاً نحن نزلنا هذا السجن وربما كان يعرف ذلك بعض رفاقه الآخرين - أنه صاحب صوت جميل. وفى حفل من الحفلات التى كان ينجح الرفاق فى إقامتها داخل العنبر فى غفلة من الإدارة أو فى تواطؤ صامت معها، نظير ما كان يقدمه الرفاق من بعض خدمات جليلة لبعض أفراد من الإدارة العسكرية، كدروس علمية لبعض الضباط الذين يستعدون لامتحانات الترقية، أو فتح السجن فى منتصف الليل ليخرج بعض الرفاق الأطباء من زيارتهم لعلاج أطفال أحد ضباط السجن أصيبوا فجأة بشئ خطير لا أذكر طبيعته الآن، وكان خروجهم إنقاذاً فعلياً لحياتهم. وهكذا. المهم أنه فى هذا الحفل دُفع هذا الشاب النوبى الخجول دفعاً إلى الغناء ولكنه أصر على ألا يبرز فوق المنصة المتواضعة أمام جمهور الرفاق المساجين وأن يغنى على المنصة ولكن وراء ستارة تخفيه. وكان له ما أراد. وما أن بدأ الغناء حتى

انفجر التصفيق الحاد وصيحات الإعجاب، لصوته البالغ العذوبة وأدائه الرائع. والنصوص الشعبية التي اختارها للغناء باللغتين العربية والمصرية والنوبية. وكان هذا الإعجاب الشديد مدخلاً لأن يشارك مشاركة علنية بشخصه بعد ذلك فى الغناء وسط التجمعات المختلفة داخل الزنازين، ثم ليخرج بعد ذلك إلى الحياة. بعد أن تم الإفراج عن السجناء والمعتقلين جميعاً فى منتصف الستينات ليصبح واحداً من أبداع وأغنى الأصوات ذات الخصوصية المنفردة فى الغناء المصرى المعاصر باللغتين النوبية والعربية، وأصبحت له شعبية كبيرة. إنه الشاعر والفنان والمناضل والإنسان الجميل محمد حمام. إنه من أرق وأنبى ما لاقيت من شخصيات فى سجن "المحاريق" ثم فى الحياة العامة، داخل مصر وخارجها وبخاصة فى فرنسا والجزائر حيث أصبحت له أنشطة فنية موضع إعجاب وتقدير عميقين، وأصبح محمد حمام قيمة بارزة مشرفة للإنسان والفنان النوبى المصرى والمناضل التقدمى الملتزم.

(أكتب هذا، لا عن ذكرى لقاء قديم عميق بتنوير كبير لمحمد حمام فى سجن الواحات وخارجه وإنما كذلك لأحبيه اليوم وأحبه عزلته الشريفة التى أرجو أن تكون مؤقتة بسبب مرضه الذى فاجأه وهو فى غمرة وأوج جهوده المبدعة فى خدمة قضايا الناس والفن، الوطنية والاجتماعية والقومية النوبية المصرية والعربية والإنسانية متمنياً له الشفاء والصحة والعافية والسعادة والعمر المديد والعودة الحارة إلى أحضان جماهيره المتشوقة إليه. كما أنتهز هذه

الكلمات لأعتذر له عن تقصيرى الشديد فى الاتصال به برغم متابعتى الدائمة لأخباره، ومحبتى الغامرة لشخصه وفنه.

ما أكثر الأسماء النوبية الأخرى من مناضلين وكتاب وفنانين التقيت بهم وسعدت بهم داخل السجن وخارجه وأحمل لهم أعمق مشاعر المحبة والمودة والتقدير لأشخاصهم ولمساهماتهم المختلفة والمتنوعة التى يثرون بها ويخصبونها واقعنا وثقافتنا، أذكر منهم العامل الأديب والإنسان الفياض بالصدق والخير والعطاء سيد اسحاق، والشاعر البالغ الحكمة والعذوبة محمود شندى والفنان المغنى الرائع المبدع محمد منير الذى يعبر بعمق وأصالة عن الروح النوبية عن جراحها الغائرة، وأحزانها النادرة وأشواقها النبيلة فضلاً عن الرؤية الشعبية والوطنية والإنسانية البالغة الغنى والرفعة التى تتدفق من صوته وألحانه واختيار كلماته وتعابير وجهه النابعة من أعماقه. كما أذكر بالامتنان والتقدير والمحبة الصديق النادر والمحامى القدير الفياض بالموهبة والعطاء والالتزام الوطنى والتقدمى والتفتح الفكرى والإنسانى ماهر زكى، كما أحيى هذا الجيل الجديد الصاعد من الأدباء النوبيين الذين أخذوا يضيفون بقصصهم وروايتهم صفحات جديدة مشرقة حقاً إلى الإبداع الأدبى العربى المعاصر. ما أشد تقصيرى عن الكتابة عنهم رغم متابعتى لهم. أتطلع أن أتفرغ للكتابة عنهم فى دراسة عن الأدب النوبى المعاصر كفصل جديد مهم من فصول الأدب المصرى والعربى والعالمى.

وقد يتساءل قارئ هذه الكلمات.. ولكن أين مكانة المناضل الكبير
والشيخ الرفيق الأب الشيخ مبارك عبده فضل.

لقد حرصت أن أقدم عنه كلمة مستقلة سبق أن ألقيتها في احتفال
مهيب مكرس له بعد وفاته . وأضيفها بعد هذه الكلمات.

هل اكتفي هنا بالإشارة لبعض طلائعهم اللامعة مثل حسن نور وحجاج
أدول وإدريس علي فضلاً عن يحيى مختار والمرحوم إبراهيم فهمي النوبي أدباً
رغم أسوانيته.

تعريفات عن أقسام النوبة

١- الكنوز : من غرب أسوان إلى عمدية المضيق لمسافة ١٥٠ كم وهم يتكلمون

اللغة الكنزية (ماتوكي) قريبة الشبة بلغة الدناقلة فى السودان وبلادها :

بلاد الكنوز :

دابود - دهميت - امبركاب - كلايشة - ابوهور - مرواو - ماريبا -
جرف حسين - قرشه - كشتمنه غرب - كشتمنه شرق الدكة قورته
- العلاقى السيادة - المحرقة (المشرفة)

تقول الوثائق أن بنوا الكنز انبثقوا من قبيلة ربيعه.

وهم قبائل عربية مشهورة من قبائل المحاربين والثوار نسبة إلى كنز الدولة أول ملك عربى يحكم النوبة.

* ففى عهد السلطان المملوكى المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ مات شكندة ملك النوبة وخلفه برك ثم خلفه سيما موف بعد أن قتله وانتزع عرش دنقلة وأعلن عن نيته فى عدم إرسال الجزية إلى سلطان مصر، وشاركت قوات بنى الكنز فى محاربتة وهزيمته واسترداد النوبة مرة أخرى وتناوب على عرش النوبة (دنقلة) اكنى يوديما أماي كرنبس عبد الله سمبوا - عبد الله برشمبوا - وكان ذلك إيذاناً بزوال مملكة النوبة المسيحية.

وعند ظهور بنى الكنز بعد أن رحلوا إلى أسوان واستقروا فى بلاد مقره واستطاعوا مصاهرة بيت الحاكم حتى وصلوا إلى كرسى الحكم فبعد عزل

كربنس استطاع كنز الدولة شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك أن يحل محله فى عرش دنقلة وكان أول مالك عربى يحكم النوبة.

ربيعة وكنز

أصلهم من ربيعة بن نزار معد بن عدنان، من البطون الكبيرة فى الحجاز ومرتفعات نجد وتهامة، هاجرت قبائل منها فى القرن السادس فرحلت تغلب إلى الجزيرة وعبد قيس إلى البحرين، وقد اعتنق فى القرن السابع فريق كبير من ربيعة النصرانية.

وفى سنة ٢٤٠ هـ ٨٥٤ م فى خلافة المتوكل العباسى حدثت هجرة كبيرة من ربيعة إلى مصر وتفرقوا فى جهات كثيرة فى أسوان وشمال النوبة، وفى سنة ٢٥٦ هـ ٨٦٩ م رافقت جهينة إلى البجة شرقا، وكانت البجة تشن الغارة على القرى الشرقية حتى خربت. فقامت ربيعه تصدهم حتى كفوهم، ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب فى العلاقى، فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة. واختطوا قرية لنماس، وحفروا فيها الآبار. ثم استقرت ربيعه فى النوبة يغريهم الذهب ويدفعهم إليها ظلم جباية الضرائب فى وادى النيل. وكان رئيس ربيعه فى ذلك الحين اسحق بن بشر. وقد حارب بنوبشر هؤلاء سكان عيذاب من بنى يونس وهم مثلهم من ربيعه مالكوهم حين قدومهم من اليمامة، فأجلوهم عنها إلى الحجاز، ويحتمل أن تكون البشارية فى السودان من هؤلاء البشريين.

ثم كانت منازعات بين البشريين من ربيعه قتل فيها شيخهم اسحق بن بشر وانتخب بدله أبوزيد ابن عمه وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يوسف، كان مقره بلبيس فلما انتخب شيخا لربيعة اتخذ مركزه المختار فى أسوان، ثم انضم إليهم الكثير من البجة وهاجر القليل منهم إلى الجنوب وأفسحوا المجال لقبائل عربية أخرى أخذت مكانهم فى نفس الصحراء. وفى سنة ٣٣٣ هـ ٩٤٤ م يقول المسعودى : إن بشر بن مروان أمير ربيعه كان تحت إمرته ثلاثة آلاف من ربيعه ومضر، وثلاثون ألف من البجة. وهم ألداء ربة الذين كانوا على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر، وقد اعتنقوا الاسلام وتصاهروا مع العرب.

وقد ظلت ربيعه فى أسوان ولم تتجه شرقا حتى بسطت نفوذها على سكان هذه المنطقة وكونوا هناك شبه أرسقراطية حربية. وفى سنة ٤١٢ هـ ١٠٢ م ظفر شيخهم أبوالمكارم هبة الله ويعرف بالأهوج المطاع. خليفة الحاكم لقب كنز الدولة وأضحى ربيعه بعد ذلك تسمى نفسها بنى كنز. قال ابن خلدون " كان أمير العرب بنواحي أسوان يلقب كنز الدولة ومن سكنوا حولها يعرفون بأولاد كنز، وقد نعتهم بذلك المسعودى وابن سليم - العالم الأسوانى الذى اعتمد عليه المقرئ فى أخباره عن النوبة والبجة - وكلاهما كان يعيش فى القرن العاشر الميلادى. وسموهم أولاد كنز فقط لا كنز الدولة ذلك اللقب الذى منحه إياهم الخليفة الحاكم.

وفى سنة ٧٤٠ هـ ١٢٨٧ م كانت ربيعته فى حملة قلاوون على بلاد النوبة . وكانت لهم السيادة المطلقة من قوص شمالا إلى أسوان على جانبى النهر وقد تصاهروا مع النوبة فيما بعد واصبحوا شبه مستقلين على الحدود بعد أن ثاروا ثورتهم سنة ٥٧١ هـ ١١٧٥ م بقيادة كنز الدولة ودعوا للأمير داود بن العاضد الفاطمى ، فحاربهم صلاح الدين وقتل كنز الدولة عند مدينة الطود قرب قوص بعد حروب شديدة.

وظلوا منذ القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلادى ، متحدين مع فرع من قيس عيلان الذى تنتمى إليه هلال ، وكانت مهمتهم جمعيا حمل المتاجر من الشاطئ إلى الوادى غرب البحر الأحمر.

وقد وقعت بعد ذلك حروب كثيرة بينهم وبين الحكومة المركزية فى القاهرة، ففى سنة ٧٦٨ هـ ١٣٦٦ م أرسل أمير أسوان منهم ١١ رأسا للقاهرة. ثم كانت حرب وبينهم وبين الحكومة سنة ٧٨٠ هـ ١٣٧٨ م وبالرغم من هزيمتهم أحيانا فقد ظلوا قوة كبرى فى أسوان وما والاها من الجنوب. حتى جاءت سنة ٨١٥ هـ ١٤١٢ م فسقطت أسوان فى أيدي الهوارة الذين خربوها وأزاحوا حماتها بنى كنز إلى السودان، وقد عادوا بعد ذلك فى الجزء الممتد ما بين أسوان ووادى حلفا حتى سقطت مصر فى أيدي الاتراك سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٧ م وكانت الحروب بينهم وبين الهوارة سجالا بعد ذلك بكثير.

ومنهم الآن فريق يسكن بين أسوان وكركسو. وكنزى مفرد كنوز وهو غير كنز وكنزه ذلك الاسم الهيروغليفي لجزيرة عند الشلال الأول.

وطا كنز: أي ارض القوس ، الإسم القديم لمصر.

٢- وادي العرب : هم مجموعة عربية تداخلت في وسط النوبة من عمدية

المضيقة إلى عمدية كورسكومسافة ٤٥ كم وبلادها :

بلاد العرب :

المضيقة السبع - وادي العرب - شاترمه - السنفارى - المالكي.

(العليقات) (العقيلات)

حين تغلب العباسيون على الأمويين ، واعملوا فيهم السيف ، وقد فرت
فلول هؤلاء إلى مختلف الأقطار ومنها مصر ، وحدث ذلك رد فعل في قبائل
العرب في مصر ، خصوصا في قيس ، ففي سنة ١٦٦ هـ - ٧٨٢ م ادعى أحد
الأمويين الخلافة في الصعيد . ونجحت دعوته أولا ولكنه قتل . وفي سنة ٢١٣
هـ - ٨٣١ م كثرت قلاقل قيس . وتمكنوا من إثارة القبط معهم . فقامت ثورة
هائلة لم يتمكن الوالي من إخضاعها ، ولذلك جاء المأمون بنفسه في المحرم سنة
٢١٧ هـ فنكل بالثائرين شر تنكيل ، بحيث تعتبر هذه السنة مبدأ تغلب
العرب على مصر إلى الأبد .

يضاف إلى ذلك إذلال عبد الله بن الجهم للبجة وأسرهم ملكهم "على
بابا" وإرساله إلى بغداد ، فكانت معاهدته التي تمكن العرب بعدها من التوغل
في بلاد النوبة وتملك مناجم الذهب في وادي العلاقي ، مما فضلت معه ربيعه
وجهيته أن تسكنه هووالصحراء الشرقية ثم تصاهرتا فيما بعد مع البجة

واستراحت مصر من شر الإثنيين وقد اقترح أحمد النور بن محمد عثمان العمدة تغيير الاسم من العليقات (نسبة إلى جدهم إبراهيم العلق وهى لفظة نابية غير مستحبة) إلى العقيلات وهو الاسم الرسمى لها حتى الآن وهناك من يؤكد انه الاسم الحقيقى نسبة إلى عقيل بن على بن أبى طالب الذى ينتسبون إليه.

٢- النوبيون (الفادجه) : وأوطانهم من كورسكوحتى آخر أدندان وأول فرس نحو ١٦٠ كم ولهم لغة خاصة شبيهه بمجموعة لغات المحس شمال السودان والنوبيون هم اكثر سكان النوبة المصرية عدداً ربما لغنى بلادهم زراعياً وبلادها :

بلاد النوبة (القسم) :

- كروسكو الريقة أبوحنضل الديوان الدر تنقاله سيسوه -
- توماس وعافية قته ابريم - الجنينة والشباك - عنيبه - ممصص -
- توشكى شرق - توشكى غرب - ارمننا - أبوسمبل فريج قسطل -
- بلانه - أدندان.

وبهذا تنقسم منطقة النوبة المصرية بأقسامها الثلاثة . أربعة وأربعون قرية تقع على جانبى النيل.

تاريخ النوبة بأقسامها الثلاث

١- الكنز _____ وز

٢- الع _____ رب العلية _____ ات

٣- القس _____ م (الفاديج _____ ة)

الكنوز

في عهد السلطان المملوكي المنصور قلاوون (٦٧٩ ٦٨٩ هـ) مات شكندة ملك النوبة سنة ٦٧٨ هـ وخلفه شخص يدعي برك الذي ظل يحكم البلاد حتى قتله سنة ٦٨٨ هـ شخص يدعي سيمامون يذكر أن سيمامون انتزع عرش دنقلة وأعلن عن نيته في عدم إرسال الجزية إلي سلطان مصر، فجرد السلطان ضده حملة بقيادة الأمير علم الدين سنجر والي القاهرة. والأمير عز الدين الكوارني وجماعة من أجناد الولايات بالوجه القبلي، كما كتب السلطان إلي الأمير عز الدين السيفي وإلي قوص. بأن يشترك بالحملة بما عنده من الممالك السلطانية وعربان الأقاليم. وهم من أولاد بكر وأولاد عمر وأولاد شيبان وأولاد كنز الدولة وغيرهم. وأسفرت الحملة عن هزيمة ساحقة للنوبيين وفرار سيمامون إلي جنوب بلاده. فأقر علي العرش ابن اخته. تعاونه حامية مملوكية، وما أن غادرت القوات المملوكية حتى ظهر سيمامون في دنقلة ثانية، وتمكن بمن التف حوله من هزيمة الحامية المملوكية واسترداد عرش دنقلة، فهرب ابن اخته إلي مصر، وأمام هذا التحدي السافر. لم يسمع السلطان المملوكي إلا تجريد حملة ثانية بقيادة الأمير عز الدين أيبك الأفرم ومعه ابن أخت سيمامون، ثم انضم إليهم والي قرص وعدد كبير من الأمراء وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلي ونواب الولاة. ومن عربان الوجهين القبلي والبحري عدة أربعين ألف رجل. غير إنها ما أن وصلت إلي أسوان حتى

أدركت الوفاة أمير النوبة ودفن هناك، وولي مكانه الأمير داود الثاني، كما انضمت فرقة من قوات بني الكنز إلى القوات الزاحفة علي النوبة عند وصولها إلى منطقة مريس وكانت هذه الفرقة أقوى فرق الحملة، ويعزي الفضل الأكبر في نجاح هذه الحملة إلى بني الكنز، لذلك أن أمراء بني الكنز كانوا يتقدمون القوات المهاجمة، ويقومون بطمأنة أهل البلاد وتأمينهم كما كانوا يجهزون الإقامات والإمدادات للعسكر.

وبوصول القوات المصرية إلى دنقلة. عاد سيمامون للفرار من منطقة الأبواب. فاعتلي العرش الملك الجديد داود الثاني عادت الحملة علي القاهرة بعد أن تركت طائفة من العسكر بقيادة بيبرس الغزي لحماية الملك.

ومن العجيب أن سيمامون عاد للظهور مرة ثانية سنة ٦٨ هـ. وتمكن هذه المرة من قتل الملك الجديد وإخراج الحامية المصرية إلى قوص واستعادة عرش البلاد. وقد أقروا السلطان هذه المرة بعد أن تعهد إليه بتعهدات كثيرة راجت السلطان. ولما آت قارسل إليه خليل بن قلاوون حملة لتتحيته عن العرش. تنصب شخص آخر يدعي بوديما ونجحت الحملة في صيب بوديما ملكا علي عرش دنقلة. وبعد وفاته أعتلي عرش جزية إلى مصر. فجرد السلطان إليه حملة تمكنت من هزيمته أسر أهله. ونقلهم للقاهرة. ويذكر ابن عبد الظاهر في كتابه الألفاظ الخفية. أن أماي سارع بالاعتذار للسلطان واتحفه ديه مع دفع الجزية. وقد استمرت علاقة أماي طيبة بالسلطات

الملوكية في القاهرة بعد وفاة الأشرف خليل، ففي سنة ٧٠٤ جاء لزيارة الناصر محمد بن قلاوون وقدم له ما حمله معه من هدايا.

وبعد وفاة أماي سنة ٧١٦ هـ، تولى الملك بعد أخوه كرنيس الذي بدأ حكمه بمعاودة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، امتنع عن دفع الجزية. فحاول السلطان تلخيته عن العرش إبداله بأحد الأمراء النوبيين الذي تربوا في البلاط السلطاني دعي عبد الله بن سنبلو وعبد الله برشمبو وكان ذلك إيذانا زوال مملكة النوبة المسيحية.

إنه ينبغي ألا تسقط من حسابنا العوامل المساعدة علي تحقيق النصر لكنز الدولة، ومنها أن برشمبو كان مزهوا بنفسه متكبرا عليهم، لقد عامل النوبيين بغلظة وشدة وغير كثيرا من نظم البلاد المتبعة، فكرهوا لذلك حكمه. والتفوا حول خصمه، وتشجيع كنز الدولة بمن التف حوله من النوبيين ومن العرب الموجودين بمنطقة مريس، وكان لهم من القوة والكثرة العددية ما جعلهم يتحدون رغبة السلطان، وفي المعركة التي دارت بين الطرفين سنة ١٧١٧ هـ قتل برشمبو وتولى كنز الدولة الملك خلفا له، غير إنه لم يضع تاج الملك علي رأسه، رعاية لحق أخواله وتعظيما لهم وحفظا لحرمتهم. إنه امتنع عن وضع التاج لأنه كان يحمل علامة الصليب، وهو رمز لا يتفق وديانة كنز الدولة الإسلامية، إلا أن السلطان في مصر رفض الاعتراف باعتلاء كنز الدولة عرش النوبة بسبب واضح، وهو أن توليه ملك عربي حكم النوبة. من شأنه أن يؤدي إلي زوال نفوذ السلطة المملوكية. ولهذا أطلق السلطان سراج إبرام أخي

كرنبس وخال كنز الدولة . وطلب إليه أن يحتال في القبض علي ابن أخته . ووعد بإطلاق سراح أخيه كرنبس وإعادته إلي عرش النوبة . حتى دخل كنز الدولة في طاعته وتنازل عن الملك ، وغير أن إبرام غدر به وقبض عليه ليُرسله إلي القاهرة ، لولا وفاة إبرام المفاجئة التي أوقفت ذلك الإجراء فالتف النوبيون حوله وبايعوه بالملكة ثانية والبسوه تاج الملك ، فقد أيقنوا أن ما حدث هو انتقام إلهي لكنز الدولة . وأن اختياره لعرش النوبة هو اختيار رباني لأجدال فيه . وبذلك أصبح كنز الدولة منذ عام ٧١٧ هـ ملكا لعرش مقرة ، ومهما يكن الأمر فإن الدور الذي قام به الكنوز ، لم يرق في نظر سلطان مصر . فاستمر التوتر حادا بين الطرفين . ولذلك ما لبث السلطان أن عاود الكرة لأبعاد كنز الدولة . فأطلق سراح خاله الآخر كرنبس وجهزه بجيش لمحاربتة ، وبوصول القوات لدنقلة بادر كنز الدولة إلي الفرار لبلاد علوة . وتقلد كرنبس الحكم للمرة الثانية . غير أنه ما أن عادت القوات المملوكية إلي مصر ، حتى عاد كنز الدولة إلي دنقلة . فاسترد عرش البلاد من خاله . فلم يجد السلطان مفرا من الاعتراف سنة ٧٢٣ هـ بكنز الدولة ملكا علي دنقلة . وذلك لما كان يتمتع به من حب الرعية نوبيين وعربا .

وهكذا انتهى الأمر في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، بقيام كنز الدولة في حكم دنقلة ، ثم أن الأمر لم يقف عند حد أن بلاد النوبة صار يحكمها ملك مسلم . وإنما تعدي ذلك إلي أن تلك البلاد أخذت عندئذ . منذ أوائل القرن الرابع عشر الميلادي . تصطبغ بالصبغة العربية الواضحة . نتيجة

لهجرة بعض القبائل العربية عدا بني الكنز إلى النوبة واستقرارهم فيها. وهكذا لم يعد هناك مبرر واضح، لأن يقوم سلاطين المماليك بالتدخل في شئون دولة مجاورة ذات صبغة عربية ويحكمها ملوك، لاسيما إذا كانت هذه الدولة في عهدها الجديد قد جنحت للسلم، ولم تعد مصدر خطر علي حدود مصر الجنوبية، وإذا كان سلاطين المماليك قد تمسكوا فيما مضى بضرورة قيام ملوك النوبة بإرسال الجزية، فإن هذه الضريبة صار لا مبرر لها أيضا، بعد أن غلب الطابع العربي الإسلامي علي بلاد النوبة، ونستدل علي هذا المعني من عبارة ذكرها القلقشندي في صبح الأعشي نصها : فبعث السلطان إليهم كرنيس فملكهم فانقطعت الجزية عنهم من حين اسلم ملوكهم.

وكيفما كان الأمر، فإن مملكة النوبة المسيحية سقطت في ذلك الوقت. وقامت علي أنقاضها وحدات عديدة صغيرة ذات صبغة عربية إسلامية واستمرت حتى سقوط سلطنة المماليك سنة ١٥١٧هـ.

والذي ننتهي إليه من ذلك كله، أن العلاقة بين النوبة ومصر أصبحت لا تتعدى بعض المبادلات التجارية المحدودة مع الحرص علي إرسال بعض الهدايا للسلطان.

• العلاقة بالمماليك بعد الناصر محمد :

ما نحب أن نشير إليه هنا، إنه ثمه شئ من النفور بين بني الكنز والمماليك، لاعتبار بنى الكنز أنفسهم أرفع مكانه من المماليك وأولي منهم

بالحكم والولاية، ولا عجب في ذلك. فإن استيلاء بني الكنز علي عرش النوبة: زاد من قوتهم في تلك البلاد، خاصة إذا علمنا أن لهم إشياعا كثيرين، يمثلون في القبائل العربية التي تسربت إلى بلاد النوبة من قبل، وأضحوا قوة مناوئة لسلطته المماليك الجراكسة ساعدتهم فترات الضعف والاضطراب التي مرت بها مصر بعد وفاة السلطان الناصر محمد. فاتجهت أنظارهم إلى أسوان، فدأبوا علي مهاجمتها والإغارة عليها بهدف استعادة نفوذهم القديم لها.

وإدارت الدنيا ظهرها لبني الكنز، وضعف مركزهم في جنوب البلاد وتقلص نفوذهم إلى منطقة مريس وصاروا اتباعا لهما أبي يوسف السعدي زعيم هوارة ودانوا له بالولاء. = استغللت النزاع بين أمراء هوارة لاستعادة نفوذها علي جنوب البلاد.

أما جهينة فقد نزحت إلى صعيد مصر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري. وملكت فيه عدة جهات انتشرت فيها. وحاول بنو الكنزان أن يردوهم عن منطقة نفوذهم فعجزوا عن تلك، فاضطروا آخر الأمر إلى مصانعتهم ومصاهرتهم. وأدي ذلك إلى استقرار عرب جهينة بين الكنز والاختلاط بهم ومصاهرتهم. ثم استفادوا من نظام الوراثة عند النوبيين، كما استفاد منه بنو الكنز من قبل. فأصبح لأبنائهم الحق الشرعي في حكم منطقة نفوذ بني الكنز. غير أن عرب جهينة لم يحسنوا سياسة الملك، كما دبت الفرقة بينهم فأصبحوا شيعا وأحزابا. وعادوا إلى ما كانوا عليه من البداوة. ولم يبق لهم أي مظهر من مظاهر الملك، لذلك فضلوا الهجرة إلى السودان تاركين بني الكنز

وبني عكرمة وهوارة عند أسوان وبلاد النوبة، ولهذا عاد نفوذ بني الكنز ثانية علي منطقتهم في منتصف القرن التاسع الهجري. وتقووا علي باقي القبائل الموجودة معهم، وحاولت الدولة المملوكية من جديد القضاء علي نفوذهم. وأدي هذا إلي دخولها معهم في معارك حامية، ففي سنة ٨٤٨ هـ في عهد السلطان جقمق هجم عربان الكنوز علي الصعيد، فأرسل إليهم السلطان حملة عسكرية كبيرة.. كان قد سبق أن أرسل ضدهم حملة عسكرية لم يقدر لها أن تحقق نصرا ويبدو أن الحملة الثانية قد حققت بعض النجاح في مهمتها بدليل أن هذه الحملة عادت بعد ثلاثة اشهر برؤوس جماعة من عرب الكنوز علي الرماح، وبعد أخبار هذه الحملة لا نجد في المصادر التاريخية المعاصرة أية إشارة أخرى عن أخبار بلاد النوبة بصفة عامة، إلا أن هذه المصادر تعود للحديث عن بني الكنز بعد فتح العثمانيين مصر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م. فبعد هذا الفتح أصبحت منطقة جنوب الصعيد وبلاد النوبة منطقة صراع مربر بين البكوات المماليك والأمراء والعثمانيين، كما أصبحت مأوي لكل تأثر هارب من الحكومة، لذلك أراد السلطان سليم أن يدعم سلطة الحكومة في هذه البلاد. فأرسل سنة ٩٢٦ هـ أحد قواده حسن قوسي لفتح النوبة. فأنزل الهزيمة ببقايا قوة بني الكنز هناك، وترك حاميات عثمانية في أبريم والدر. وقد عرف رجال تلك الحاميات باسم الكشاف. واختلط هؤلاء الكشاف وتزوجوا من بناتهم. وباتوا يتمتعون باستقلال شبه تام فيها، ولم يكن للحكومة المركزية أي سلطان عليهم.

وحاول الفرنج بعد وفاة حسن قوسي أن يضموا شمال النوبة إلى مملكتهم وأرسلوا من اجل ذلك جيشا، لكن ابن جانبلان رئيس الحامية العثمانية جمع جيشا كبيرا وتصدي للدفاع عن البلاد، فهزم الفونج هزيمة ساحقة فانسحبوا مدحورين تاركين قتلاهم. وبعد تلك المعركة ساد الأمن البلاد حتى فتح إسماعيل بن محمد علي السودان سنة ١٨٢٠ م. وقد أقر إسماعيل الوضع في النوبة علي ما كان عليه، واستمر هذا الوضع قائما حتى قيام الثورة المهدية بالسودان، تلك الثورة التي قامت بغزو النوبة وأزالت حكم الكشاف عنها. ولكن ما أن عاد النفوذ المصري إلى السودان، عقب زوال حكم المهديين. حتى عاد نفوذهم في المنطقة ما بين كرسكو والشلال. وكف عن أعمال الشغب والعنف بسبب قوة سلطة الدولة المركزية وقتئذ وأصبح منذ ذلك الوقت مواطنين مسالمين ويعملون لخدمة وطن مصر الكبير الذي تمتعوا فيه بكل ما للمواطن من حقوق.

العليقات

عندما أصبح العرب جميعا في حماية مصر من حدود العراق إلى المحيط الهندي، سقطت مصر في أيدي العثمانيين سنة ٩٢٢هـ - ١٥١٧م، وبدأ العرب يهجرون جزيرتهم إلى الأماكن التي كانوا فيها من قبل، وإلى مصر معبودة العرب منذ فجر التاريخ، هنا هبطت العليقات مع قبائل أخرى إلى سيناء.

عثر على عقد بيع لصبيح بن سلمى العليقي في غرة المحرم سنة ١٠٥٨هـ، مما يرجح أن وجود القبيلة في ذلك المكان كان قبل ذلك. لأن الشاهد على هذا العقد عليقي أيضا، وأهم ما أغرى قبائل العرب جميعا باختيار هذا المكان القفر، من أول الفتح العربي لمصر. هو نقل المتاجر بين آسيا وأوروبا وأفريقيا، ثم خفارة دير طور سيناء. ثم تقديم الإبل للمحمل المصري أخيرا.

إنساب جزء من العليقات إلى القليوبية بعد ذلك. وأخذ جزء آخر طريقه إلى السودان في فجر القرن الثاني عشر الهجري تقريبا، حيث حط رحاله بجوار بني عمومتهم الجعافرة في قنا وأسوان وما بعدها. ولا تزال القبيلة ممثلة في سيناء والقليوبية وقنا وأسوان.

وفي عهد أمير الصعيد شيخ العرب همام، ناط بهم خفارة سكة الحجاز من قنا للقصور، كما اشتغل الغالبية في نقل التجارة السودانية بين الشلال

الأول والثاني مع خفارة الدرب الأربعيني الموصل بين دارفور وأسيوط، وكان مقرهم الرئيسي الوادي المسمى باسمهم إلى اليوم " وادي العرب " بين المضيق وكروسكو مركز الدر.

وكان في طريق الحجاز من قوص للقصير قبيلتان من العربان. عليهما خفارة الدرب وتوصيل القوافل، هما الطريفات والشرايقية، وقد أساءوا السيرة وأكثروا من السلب والنهب لقوافل الحجاج، واخيرا اخذوا يصادرون غلال الحرمين الشريفين، فضرب شيخ العرب همام على أيديهم، وأحل العليقات محلهم.

وكانت فروع القبيلة على اتصال محكم بعضا ببعض، لصد غارات العربان المنافسين لهم في خفارة الدرب وسكة السودان وطريق الحجاز. كان شيخ عليقات قوص اسمه : عشري بن أحمد من الروافية، وقد ظل شيخا لعموم العليقات حوالي عشرين عاما، وكان معاصرا لشيخ العرب همام. ولما مات تولى شياخة القبيلة محمد جمعة. وظل حوالي الثماني سنين، ثم تولاه بعده الحاج على محمد جابر من الروافية أيضا، وكان هذا الشيخ معاصرا لمحمد على الكبير. وفي عهده تفاقم النزاع بين العليقات والعبادة في شأن خفارة الدرب وسكة السودان. وقد احتكموا جميعا عند محمد علي، فأحالهم على ابنه إبراهيم في نجد، فذهب ثلاثة من زعماء العليقات له هناك، وتركوا رابعا للمدافعة عنهم أمام حكام مصر. وكان من الروافية. وقد اكرم إبراهيم باشا وفادتهم ومنحهم كل امتيازات العربان. من المعافاة من الجندية

إلى حفر الترع والجسور وخص بهم حفر الدر الأربعيني ، وأباح لهم ما كانوا يجبونه من الضرائب على القوافل السودانية ، على كل جمل ريال ، وعلى كل رأس من الرقيق ريال أيضا .

حتى إذا شرع محمد علي في فتح السودان سنة ١٨٢١ م ، ذهب في حملته فريق كبير من العليقات ، كخبراء في الطريق فضلا عما يحملون على جمالهم من معدات الحملة كما استعملهم على البريد محمد بك الدفتر دار في حروبه مع الملك نمر .

تضاءلت مشيخة قوص بعد فتح السودان الأول ، فتولاها الحاج أحمد عوض الله من الروافية حتى سنة ١٢٦٤هـ ، وحين شرعت الحكومة المصرية في عمل الإحصاء الأول سنة ١٢٦٨هـ ، هرب العرب جميعا ، وأوغلوا في اطراف القطر حتى سنة ١٢٧٦ تقريبا ، ومن هؤلاء عربان العليقات فرع قوص ، نزحوا عنها لداخلية القطر ففقدوا بذلك حوالي الخمسة آلاف فدان في زمام البلدة .

بل لقد ثارت العرب الجوازي سنة ١٢٦٨هـ واعتصموا بالصحراء حصنهم المنيع ، فطاردتهم الحكومة فذهبوا لطرابلس ثم السودان في شبه غزوة ، مارين بالدرب الأربعيني الذي تحفره العليقات " فرع وادي العرب " وقد أبدى شيخهم لسعيد باشا من الولاء والإخلاص ما أكبر القبيلة كلها في عينه . وجعل يحررها من سلطة كشاف الدر ، كما وصل ذرية الشيخ إلى مشيخة القبيلة كلها فيما بعد .

وحين اعتزمت الحكومتان المصرية والإنجليزية استرجاع السودان سنة ١٣١٤هـ ١٨٩٦م ورابط الجيش المصري في كروسكو واتخذها قاعدة حربية

له ، طلبت الحكومة عمدة القبيلة ، أن ينظم قوة من أفرادها لحماية الحدود من غارات المهدية، / وحين تحرك الجيش من حلفا إلى دنقلة ، كان في الحملة ١٧٦ هجانا من العليقات تحت قيادة جيشهم حسن بك عمار، وحين تم الفتح منحتهم الحكومتان المصرية والإنجليزية أوسمة التقدير، ورقى حسن بك إلى مشيخة القبيلة كلها من قوص إلى السودان.

وقد قلت أهمية خفارة طريق الأربعين وآباره لعدم سير القوافل . ولظهور وسائل النقل الحديثة . من بواخر وسكة حديدية وطيارات .

كان شيخ القبيلة من الروافية . ثم كان بعده نجله الأكبر، ثم ابن أخيه حسن بك عمار قائد القبيلة في حملة السودان، وقد اعتزل المشيخة سنة ١٩٠٦م وبدت له الهجرة إلى السودان . بعد أن وحد القبيلة في الصعيد، وكان يؤمل أن يضم إليها فرع القليوبية أيضا . وفعلا زارها في مقرها وتشاور مع زعمائها لتوحيدها، ومقره في المالكي بوادي العرب.

وكان شيخ عربان قوص . من الروافية تارة، ومن الغلياب تارة أخرى والروافية والغلياب، هما رؤوس القبيلة كلها. وكل العليقات في قوص وما بعدها . إما أن يكونوا من فروعها، أو من عربان أخرى دخلت في العليقات بالحلف والموالة والمشيخة كانت تتراوح في هاتين الفخدين دائما : إنما الغالبية كانت في الروافية، ومنهم شيخ مشايخ القبيلة

وكانت العليقات أول القبائل العربية التي ذاقت لذة المدنية فأصبحوا مستديمو الإقامة . بعد البداوة. شأن الزمان في أنبائه.

وهكذا سكنت القبيلة في أقسام مصر الإدارية.

بقيت كلمة صغيرة عن فرع وادي العرب، قال علي باشا مبارك في الخطط من أسوان لحلفا ٣٥٠ ألف متر، وأرضه الزراعية قطع متفرقة بين الصخور على الجانبين، ويرى المسافر بينهما يمنا ويسرة قرى صغيرة أغلبها مركب من خمسة أو ستة بيوت، يظللها قليل من النخل والدوم وبعض الأشجار، وأكثرها في الشط الشرقي، ولوقوع القرى في الأودية يطلق اسم الوادي على القرية.

أهم بلاد وادي العرب على بعد أربعة وتسعين ميلا جنوب أسوان يقع " وادي السبوع " المعروف و " الشهير بطريقه الطويل الذي تصطف على جانبيه تماثيل أبي الهول التي اشتق منها اسم وادي السبوع. وتبعد الأطلال عن النهر بحوالي خمسمائة ياردة وتقوم وسط سها فسيح، يرجع أنه كان خصبا في وقت من الأوقات. ولكن الرمال طغت عليه الآن ". وكانت تقع بعيدة عن النهر فعلا منذ ١٢٥ عاما حين كتب عنها " سانت جون ". ولكن تماثيل أبي الهول الآن غارقة حتى رؤوسها التي على شكل إنسان في المياه معظم أوقات السنة. ولا بد أن السير خلال طريق التماثيل كان بالغ الروعة.

وتعتبر النقوش الموجودة بوادي السبوع تكرارا لما كان يضعه رمسيس الثاني غالبا في معابده بالنوبة، مع إضافة قائمة بأسماء أبنائه وهي تضم ١٧٠ ابنا، منهم ١١١ كانوا من الذكور.

المنطقة الثالثة النوبة (الفادجه)

وأكبر قرى في تلك المنطقة قرية "الدر". وهي رأس القسم الخامس من سرس، وهي عاصمة النوبة ومقر الكشاف. كان بها سبعون ساقية ونخيلها فوق الخمسة عشر آلاف نخلة. وأطيانها العالية ٤٢٢ فداناً والمنخفضة ١٠٠ فدان ويزرع بها كل أنواع البقول والخضر.

ومؤسس بيت الكشاف هو قوسي حسن، رأس حملة السلطان سليم على النوبة سنة ١٥٢٠م. وقد استقلت ذرية هذا الرجل بحكم النوبة العليا. بلدة الدر : العاصمة القديمة للنوبة. وهي على الضفة الشرقية للنيل. يحيط بها النخيل والجميز وشجر السنط بإزهاره الصفراء.

بلدة الدر

وتقع الدر على بعد مائة وعشرون ميلاً جنوب أسوان حيث شيد رمسيس الثاني معبداً صغيراً آخر من الصخر وقد كتب "سانت جون" سنة ١٩٣٨ يقول "أن الدر أطف مكان رأيت حتى الآن" في وادي النيل "ذلك أن شوارعها كانت متسعة ونظيفة للغاية، تحفها حدائق منسقة محاطة بأسوار. وقد ملئت بأشجار البرتقال وأشجار النخيل. والسنط. وترتفع وسط ميدان فسيح شجرتان بديعتان من أشجار الجميز. بني حول جزوعها طوار نظيف حيث يفتش السكان أبسطهم ويدخنون في كنف الظل. وليس ثمة مظهر من مظاهر البؤساء والمتسولين أو النساء المهلهلات الثياب أو الأطفال

العرايا الذين تعلوهم الإنذار " ثم يتحدث " سانت جون " عن طرق جبلية تصطف على جوانبه أشجار النخيل كما يتحدث عن حقول القمح والطباق والقطن وهي تبدو كبستان يانع.

وقد قال جادزبي أن الدر التي كانت عاصمة النوبة السفلي في ذلك الوقت ، كانت تبعد حوالي الميل عن النهر ولكنها تقع الآن على النهر مباشرة بما فيها أشجار جميز وغيرها منذ تمت التعليق الأولى لسد أسوان. بيد أن المعبد الصغير ما زال واضحاً للعيان.

ومن الملاحظ أن الشاطئ الشرقي يتميز بشريط ضيق من الأرض الزراعية الخصبة تتسع عند الدر التي كانت في ذلك الوقت مقرا للحكومة وكان بها مركز للشرطة ومدرسة أما أكبر منزل في النوبة فقد كان هو منزل الكاشف ويقع في الطرف الثاني الشمالي للمدينة وقد كان الكاشف حاكما نصف مستقل للمنطقة كلها حتى وقت قريب.

أن هذه المناظر الجميلة والأشجار الخضرة المورقة ونخيلها المترامية قد اختفت تحت المياه وحتى في الأوقات التي ينخفض فيها منسوب المياه فلا نجد إلا منظرا فاصلا يعطي لمن رآه من سنين نصف مضت رمزاً حياً لمأساة النوبة.

بلدة أبو سنبل

وهي على بعد ٢٨٠ كيلو مترا من التلال " وبها أجمل المعابد المصرية في بلاد النوبة وهو المعبد الذي اهتم العالم بإنقاذه من الغرق حفاظا على التراث

الحضاري الرائع والأرض جنوب أبو سمبل صحراء تغطيها رمال ناعمة. وقد تنمو في بعض جهاتها أدغال من النباتات الشوكية. وشئ من شجر السنط. لقد لاقى أبو سمبل رعاية كبيرة وتملقا بالغا بدرجة أن كثيرا من الناس يعتقدون أنه لا يوجد مكان آخر في بلاد النوبة. ونترك عظمة أبو سمبل عند التحدث عن تمثال أبو سمبل العظيم.

بلدة بلانة

وتقوم قرب بلانة في وسط غابة من النخيل ثم لا يلبث الرمل أن يعود ليمتد على حافة النهر ويستمر كذلك حتى تدخل النوبة العليا. نوبة السودان عند الجندل الثاني. ويعتقد علماء الآثار أن مقابر بلانه وقسطل تمثل مملكة مستقلة من " البليسين " فأقامت في جنوب النوبة السفلى من حوالي ٣٠٠ ميلادية وأن هذه المقابر هي عبارة عن مدافن ملكية. وبلدة بلانه بها من الواحات المزروعة بساتين فواكة متعددة ما يجعلها تصور أصناف مختلفة من الفاكهة. والجدير بالذكر أن معبد أبو سمبل بتركيبته الهندسية الجبارة قد تقل الى ربوة عالية ببلدة بلانة.

بلدة ابريم

”بريميس“ وهي قصر الكاشف وهي مدينة محصنة. بعد أن اجتاز كثنان الرمال التي غلبت جيش متميز حين أطاحت به عاصفة هوجاء وقف العالم جاذبى يطلع على معابد نواب الملك والأسرة الثانية عشرة وذلك فوق صخرة مرتفعة عليها بقايا مدينة بها حصن. ولما كانت هذه البقعة ذات أهمية استراتيجية على الدوام. فلا بد أن الطبقات * ترجع إلى عصور قديمة جدا. سيكون أمرا ذا شأن كبير أن نرى مخلفات هذه الأحداث المثير التي سوف ننقب عنها جمعية الكشف عن الآثار المصرية التي عهد إليها بحفريات ابريم. وفي قصر ابريم أربع مقصورات منحوتة في الصخر ترجع اثنتان منها إلى عصر تحوتمس إلا انهما كانتا أصلا من عهد آخر فالأول كانت للحاكم ”نحي“ والثانية غالبا من أعمال حتشبسوت.

الكشاف والمجرب

في عام ١٥١٧ ميلادية، أصبح (سليم الأول) سلطانا على الإمبراطورية العثمانية، ومنذ ذلك وحتى بداية القرن العشرين، خضع النوبيون شأن بقية المصريين لاستغلال تركي بشع وعين (سليم) حكاما على النوبة أقاموا الحصون في اسوان وابريم وجزيرة صاي ووضع فيها حاميات من جنود المجر والبوسنة المرتزقة وغيرهم. وتقول بعض المصادر أن الحكام أغفلوا أمر حامية ابريم فظلت تقيم هناك في القرن التاسع عشر.

وكانت النوبة تحت إدارة الكشاف دويلة ذاتية عميلة لمصر في مواجهة سلطنة الفرنج التي امتد نفوذها في فترات قوتها إلى ذنقلة. ويعتقد أن نظام (الكشاف) أي مندوب الحاكم وهو في العادة تركي، كان نظاما متمما للحكم في مصر في صورة التزام مقابل استقرار الأوضاع واستمرار التبادل التجاري. ولم تنس الدولة في مصر هذه الحاميات العسكرية التي أطلق عليها اسم (الكشاف) وإنما يعتقد إنها تركتهم يدبرون أمورهم داخل النوبة، وبمواردها المحلية، وربما امدتهم بالسلاح أو سهلت لهم الحصول عليه من السوق المصرية للإبقاء على فاعليتهم العسكرية ضمانا للحدود الجنوبية.

وقد امتد حكم الكشاف من بلاد الكنوز إلى بلاد المحس، لكن مركز الحكم كان هو إقليم النوبة في مصر إلى بلاد السكوت. أي من كورسكو إلى جنوب الشلال الثاني. وهذه هي اخصب مناطق النوبة على الإطلاق. فيما عدا

السهل الغني في إقليم دنقله. وكانت قرى الكنوز الشمالية تقف أحيانا في وجه الكشاف وخاصة إبتداء من فرشه فلا تدفع الخراج المطلوب أو تدفع ما هو أقل منه أو ربما كان ذلك نتيجة قرب هذه المناطق من مركز الحكم المصري في أسوان. وإلى الجنوب من أراضي الكنوز يعيش (الفرنجة) على ضفتي النيل الشرقية والغربية، مراكزهم الكبرى في ابريم وعنيفة. وينتمي إلى هذه المجموعة جماعات من السكوت والمحس ينتشرون من وادي حلفا في الجندل الثالث ويطلق النوبيون على أشكال الصفات الشرقية اسم (ماتوكي) وعلى سكان الجهات الغربية (تينوكي)، وبين أرض الكنوز وبلاد الفرنجة تمتد شقة صغيرة تعرف باسم وادي العرب تنزل فيها قبيلة العليقات وهم عرب حافظوا على لغتهم وقد وفدوا من الحجاز واستقروا زمنا في شبه جزيرة سيناء ثم هاجروا إلى النوبة في أوائل القرن الثامن عشر ونزلوا بقرى وادي العرب والسبوع والمالكي وشاتورته وكورسكو. وقد أفادوا من الموقع الجغرافي لبلادهم فكانت لهم تجارة كبيرة بين مصر والسودان.

وفي عام ١٨١٢ زحفت جيوش محمد علي على بلاد النوبة وأهلكت الزرع والضرع. وكان محمد علي ينتظر أن يجد من الثروة والرجال في السودان. ما يكفيه لتحقيق الاستقلال عن تركيا. غير أنه لم يعثر على ضالته. ولم تنته متاعب النوبيين حتى حين كف الباشوات عن السلب والنهب، إذ كان مقدرا للنوبة أن تصبح ميدانا للمعارك بين الدراويش وتحالف الجيشين المصري والإنجليزي في الأيام الأخيرة من ذلك القرن.

ويحدثنا (بريستييه) عن العثور على بعض المخلفات في (بوهن) من بعض المعارك بين الإنجليز وال دراويش . كما عثر (ايمري) على قطع من زجاجات البيرة التي يرجع تاريخها إلى العصر الفيكتوري خلال تنقيبه أحد الحصون الإنجليزية على الشاطئ الغربي من كورسكو. كما عثر كذلك على رقعة من رقع الذي وجزء من رسالة.

وأغلب الكشاف يعددون في أصولهم كما ذكرنا إلى منطقة البلقان. وكانت التركية العثمانية هي لغتهم الأساسية، ولا تزال بعض الأسماء تشير إلى ذلك الأصل البعيد مثل مجموعة المجراب التي كانت منتشرة في منطقة حلفا. وبعض الأماكن والقرى مثل (الكارانوج) لأن (كارا) أو (قره) كلمة تركية تعني أسود، ونوح مصطلح نوبي بمعنى بيت أو مجتمع نسبي.

وتعتبر كلمة نوح حجر الزاوية في البنية الاجتماعية، ومن الصعب إدراك معناها على وجه الدقة فهي قد تعني البيت بمدلول الأسرة وممتلكاتها من البيت إلى أي شكل عقاري آخر.

ورغم قوة الكشاف إلا أنهم لم يكونوا أندادا للمماليك الفارين من وجه محمد علي . فبالرغم من هزيمة المماليك أمام إبراهيم باشا في كشتمنه الكنزية عام ١٨١١ إلا أنهم زحفوا جنوبا إلى الدر و ابريم واستولوا على قلعتها في العام التالي . وغنموا أعدادا كبيرة من رؤوس الماشية والأموال فدية عن الأوغاد والسكان . كما حاصروا بعض القوات المصرية التي كانت تطاردهم ثم زحفوا جنوبا إلى المحس واستقروا في دنقله مكونين دولة مملوكية لم تقم سوى تسع

سنوات انتهت بدخول السودان في حوزة مصر وقد تغلغل الكشاف لمدة ثلاثة قرون بين النوبيين بكثرة التزاوج من النوبيات ، وبقاء النسل المختلط في قرى ومحلات الأمهات وبين أخوالهم.

وقد ذكر (سانت جون) عام ١٨٣٨ أن بعض سكان الدر يتميزون ببشرة بيضاء ويرجح إنهم من سلالة جنود البوسنة ، وهكذا تكونت في معظم القرى النوبية مجموعات نسب كشافية بحكم النسب الأبوي ونوبية بحكم صلات الرحم.

ولأن نظام التوريث الإسلامي يخصص جانبا من الميراث للنساء . فقد صار النسل المختلط مرتبطا بالأزمنة.

وهكذا تلاحم الكشاف مع النوبيين في نسيج اقتصادي مشترك . ولكنهم ظلوا سياسيا واجتماعيا شبه منفصلين ، وبالتالي لا يستطيعان الانتماء إلى جد واحد كما هو الحال عند الكنوز والعلقات ، ومن ثم تغلب النسيج الاقتصادي على نقص النظام العشائري.

كما أدى التعسف في جمع الضرائب إلى هجرات سكان نجوع بأكملها في بعض الأحيان مما أعطى الفرصة للكاشف لتمليك الأرض التي هجرها أصحابها إلى بعض القادرين على الوفاء بالضريبة المفروضة عليها . أو تمليكها لأبنائه وأقاربه ، خاصة أراضي الجرف أي المحاذية لضفة النهر مباشرة . وهي سهلة الري وأغني الأراضي محصولا . وهذه التصرفات كانت تعني تغيير أشكال الملكية والملاك ، بل وتغيير بعض السكان في القرى والنجوع من حين

لآخر طوال حكم الكشاف للنوبة. غير أن الأمور استقرت بعد أن أصدرت الحكومة المصرية عام ١٩٠٢ قرارا بتثبيت ملكية الأرض لمن يزرعها، وانتهى بالتالي الكثير من ادعاءات ذرية الكشاف على أراضي كثيرة، وانتهت معها سطوة كانت تمثل زاوية باقية من زوايا النفوذ القديم للكشاف. وينبغي أن نلاحظ أن ذلك مس أراضي جنوب النوبة من كورسكو إلى أدندان حيث تركز الكشاف وأتباعهم في الأراضي الغنية، بينما لا يلاحظ ذلك في وسط وشمال النوبة. لأن نفوذهم في تلك المناطق كانت غالبا ما يقتصر على فرض الضرائب.

الماتوكي والفاديحة

حار علماء المصريات والآثار والتاريخ في معرفة معنى الماتوكي والفاديحة.

ماتوكي : مركبة من كلمتين :

ماتو: أي الشرق وتقابلها تنو أي الغرب.

كي : الآتي ويأتي.

والكلمة مركبة معناها : القادمون من الشرق.

حيث هاجروا من دنقله إلى جنوب أسوان والجزيرة والشلال وبعضهم من

الشلال وحتى السبوع.

وهؤلاء هم الكنوز أما الكنز الذين ينتمون إلى كنز الدولة شجاع الدين

نصر بن فخر الدين مالك كان أول ملك عرب يعتلى عرش دنقله (النوبة) قبل

النزوح إلى الشمال وسيأتي ذكرهم فيما بعد.

فاديحة : مركبة من كلمتين :

فا = قسم ديحة = خمسة أي القسم الخامس.

(سرس مروى الدبه) القسم الأول دنقله القسم الثاني المحس

وسكوت ودبيره القسم الثالث منطقة حلفا القسم الرابع المدن المصرية من

أدندان وحتى كروسكو القسم الخامس (فاديحة).

النوبة السودانية^(٢)

• النوبيون في وادي النيل :

الحضارة النوبية مثل غيرها من الحضارات الأولى حضارات الإغريق والرومان وتلك التي ظهرت في آسيا وفارس قد أضحلت حتى صار أحفادها في قاع المجتمعات يعملون حراسا وخداما حتى حق عليهم قول حافظ إبراهيم.

وترى الذين بنوا المسلة جدهم * * * لا يحسنون لا يره تشكيلا

والنوبيين كما يقول التاريخ أحفاد الفراعين الأوائل هم والمصريون فالحضارة النوبية والمصرية هي حضارة واحدة هي الحضارة الفرعونية ننسبها إلينا نحن النوبيون أحيانا وينسب إليهم المصريون دائما.

والملك نارمر (مينا) موحد القطرين شاهدي علي هذا فقد جاء من الجنوب والأهرامات العظيمة التي تراها في الجيزة ما هي إلا مقابر بناها الملوك في أقصى الشمال لينعموا فيها بحياة هادئة بعد الموت ، لا تزعجهم غزوات حجاجل المتمردين والغازين من الجنوب الأقصى.

ولم تكن نفرتارى جميلة الجميلات من المنصورة وإنما كانت من أبو سمبل هي زوجها الأعظم رمسيس الثاني. كما أن الجميلة حتشبسوت اتخذت حاضرة ملكها في بوهين (جنوب أرقين) حيث اكتشفت فرق العلماء الإسكندنافيين مدينة كاملة في حفريات تمت قبل إقامة السد العالي وتعذر

إنقاذها من مياه البحيرة لضيق الوقت. وكانت علي رأس هذه البعثة أميرة الدانمارك التي توجت ملكة بعد وفاة والدها.

• النوبيون حراس العلاقات المصرية السودانية

بلاد النوبة أو وادي الذهب تمتد من شمالي أسوان في مصر الى دنقلا في السودان ويعتقد النوبيون بحق أن حسن العلائق يبن مصر والسودان يعتبر بالنسبة لهم مسألة أمن وأمان ويتوارثون قداسة ضده العلامات خلفا عن سلف. فالعلاقة بين مصر والسودان لا تقف عند القبائل المشتركة بينما بل هنالك نصفها في السودان والنصف الآخر في مصر. وقد شهدت بنفسي زفاف عريس من فرص (في السودان). ابنة عمه في أدندان في مصر ولا يفوتني أن أذكر هنا أن النوبيين هم الشعب الوحيد الذي يزف العريس بالعروس حيث يسعى تكريما لها وهذه العادة لا تجدها عند شعوب الأرض كافة.

السد العالي والنوبيون السودانيون

في أوائل الستينات عندما شرع في بناء السد العالي في عهد عبد الناصر العظيم كان لابد من التفكير في إعادة إسكان النوبيين لأن مياه البحيرة كانت ستغمر المنطقة من الشلال الأول في مصر. منطقة دال في السودان. بدأت كل حكومة دراساتها، فاستقرت حكومة السودان علي ترحيل النوبيين

السودانيين، منطقة خشم القربة بولاية كسلا في شرق السودان واستقرت
الحكومة المصرية علي منطقة

كوم امبو وهكذا تفرق شملهم الى الأبد مضحين بأرض الأجداد التي
أصبحت بعد ذلك قاعا صعصفا بل تذروها الرياح. وتمرد قليل من أهالي وادي
حلفا (من قرى أرقين واشكيت وحلفا دغيم) علي الرحيل بمقوله أنهم لن
يتركوا وطنهم أحياء.

أما النوبيون في مصر فكانت مأساتهم أخف قليلا كما يعتقد أهلهم في
السودان لأنهم نزحوا قليلا بالشمل ولم يفارقوا ضفاف النيل أما النوبيون في
السودان فقد أجبروا علي الرحيل الى منطقة لا ترى منها النيل بل لا تصل
إليه إلا بعد سفر طونه يوم كاس وبعض يوم. وهي أيضا منطقة لا تنقطع عنها
الأمطار في الخريف. والنوبيون لم يعتنوا علي الأمطار ولا يعرفونها إلا في
أحبيبه. وتحضرتي واقعة تقشيل علي هذا. فقد سأل أحده عن تاريخ
ميلاد قتال إته مولود في عام المطر التي اتضح أنه عام ١٩٣٠.

وقد كانت قسوة المناخ واختلاف البيئة من أصعب ما واجهه أهالي حلفا
في المنطقة الجديد إضافة إلى أنهم شتوا في قري متباعدة تفصل فيها الأراضي
الزراعية الشاسعة التي لم يعرفوها في الوطن الأول مما أثر كثيرا في تواصلهم
وتراحمهم وجعلهم يكرهون الوطن الجديد ويشعرون من الآن أنه مهجر كربه
فلا عجب أن يغادرها كل من استطاع ذلك سبيلا.

• العلماء والأثريون في بلاد النوبة

في مستهل بناء السد العالي هرع العلماء والأثريون بالمنطقة النوبية (المصرية والسودانية). فالبعثة الاسكندافية التي كانت ترأسها الأميرة مرجريت (التي أصبحت فيما بعد ملكة الدانمارك) كانت من البعثات الكبيرة وأكثرها عددا سبقتها بعثات من بريطانيا وفرنسا وسويسرا وغيرها.

واذكر أن معتمد وادي حلفا أمر بتجهيز جناح خاص للأميرة الدانمارك في فندق النيل وهو من أجمل وأفخم فنادق الأرض وعندما وصلت مكثت فيه ليلة واحدة وتركته ورحلت إلي أحد بأحد المنازل النوبية في دبيره وصارت تلبس الجرجار (لبس النوبيات) وتنام علي سرر الجريد وتصادق نساء القرية محاولة أن تتعلم اللغة النوبية التي قطعت فيها مرحلة لا بأس بها وفي تلك الأيام صدر كتاب "سد عالي علي النوبة" للكاتب البريطاني Leesle Greener تحدث عن حضارة النوبيين وأصالتهم وعاداتهم واستشهد بمراجع كتبها عنهم السواح الأوائل والذين كانوا ينتمون الى أرقى المجتمعات الأوربية ومنهم أميرات من الأسر المالكة كتبن عن المرأة النوبية.

كما ألف الإداري المتميز الأستاذ حسن دفع الله الذي كان مسئولاً عن تهجير وادي حلفا كتابا باللغة الإنجليزية اسمه The Exodus of Wadi Halfa كتب فيه عن عمليات التهجير التي نفذها هو بكفاءة واقتدار ويشعر القارئ بإحساس الكاتب بحجم المأساة كما يتضح من الواقعة التي يسرها في كتابه.

السودانيين. منطقة خشم القربة بولاية كسلا في شرق السودان واستقرت
الحكومة المصرية علي منطقة

كوم امبو وهكذا تفرق شملهم الى الأبد مضحين بأرض الأجداد التي
أصبحت بعد ذلك قاعا صعصفا بل تذروها الرياح. وتمرد قليل من أهالي وادي
حلفا (من قرى أرقين واشكيت وحلفا دغيم) علي الرحيل بمقوله أنهم لن
يتركوا وطنهم أحياء.

أما النوبيون في مصر فكانت مأساتهم أخف قليلا كما يعتقد أهلهم في
السودان لأنهم نزحوا قليلا بالشمل ولم يفارقوا ضفاف النيل أما النوبيون في
السودان فقد أجبروا علي الرحيل الى منطقة لا ترى منها النيل بل لا تصل
إليه إلا بعد سفر طوله يوم كامل وبعض يوم. وهي أيضا منطقة لا تنقطع عنها
الأمطار في الخريف. والنوبيون لم يعتادوا علي الأمطار ولا يعرفونها إلا في
أحاجيهم. وتحضرنى واقعة للتدليل علي هذا. فقد سألت أحدهم عن تاريخ
ميلاده فقال إنه مولود في عام المطر الذي اتضح أنه عام ١٩٣٠.

وقد كانت قسوة المناخ واختلاف البيئة من أصعب ما واجهه أهالي حلفا
في المنطقة الجديد إضافة إلى أنهم شتتوا في قري متباعدة تفصل فيها الأراضي
الزراعية الشاسعة التي لم يعرفوها في الوطن الأول مما أثار كثيرا في تواصلهم
وتراحمهم وجعلهم يكرهون الموطن الجديد ويشعرون من الآن أنه مهجر كربه
فلا عجب أن يغادرها كل من استطاع ذلك سبيلا.

٥. العلماء والأثريون في بلاد النوبة

في مستهل بناء السد العالي هرع العلماء والأثريون بالمنطقة النوبية (المصرية والسودانية). فالبعثة الاسكندافية التي كانت ترأسها الأميرة مرجريت (التي أصبحت فيما بعد ملكة الدانمارك) كانت من البعثات الكبيرة وأكثرها عددا سبقتها بعثات من بريطانيا وفرنسا وسويسرا وغيرها.

واذكر أن معتمد وادي حلفا أمر بتجهيز جناح خاص للأميرة الدانمارك في فندق النيل وهو من أجمل وأفخم فنادق الأرض وعندما وصلت مكثت فيه ليلة واحدة وتركته ورحلت إلي أحد بأحد المنازل النوبية في دبيره وصارت تلبس الجرجار (لبس النوبيات) وتنام علي سرر الجريد وتصادق نساء القرية محاولة أن تتعلم اللغة النوبية التي قطعت فيها مرحلة لا بأس بها وفي تلك الأيام صدر كتاب "سد عالي علي النوبة" للكاتب البريطاني Leesle Greener تحدث عن حضارة النوبيين وأصالتهم وعاداتهم واستشهد بمراجع كتبها عنهم السواح الأوائل والذين كانوا ينتمون الى أرقى المجتمعات الأوربية ومنهم أميرات من الأسر المالكة كتبن عن المرأة النوبية.

كما ألف الإداري المتميز الأستاذ حسن دفع الله الذي كان مسئولاً عن

تهجير وادي حلفا كتابا باللغة الإنجليزية اسمه The Exodus of Wadi Halfa كتب فيه عن عمليات التهجير التي نفذها هو بكفاءة واقتدار ويشعر القارئ بإحساس الكاتب بحجم المأساة كما يتضح من الواقعة التي يسرها في كتابه.

ففي يوم من الأيام كنت معه في سبحة رادي حذو وانا مواعد عودني
و ارفين قول ان ناهب و نداد ارفين ارفين عسي سعادات روحين
بذهب معه في بيرة فرحب بنا شيخ فتوح شيخ نداد ارفيني وكان رجلا
يبس فانه معتد عن بني سعادات وانا تردد شيخ في الإجابة ترى
معتد حسن وفور انه في بحر أسيرة لايد ان يرحو ومن يتكأ فأرحف
ياكراج فود عبه شيخ انا انت نعد من من شين يعتمونهم بالكراج
وانت تريد ان ترحل في سبعة ايام من بعد مكث فيه سبعة آلاف سنة: ما
فان يا جنابوا فأرتد معتد بسيرة باختف ودر عاتدا قفحت دموعا
عسي مننيه وفتت به قثلا تصور هذا رأي شيخ فتوح هذا الرجل البسيط
فقد يكون رأيكم في انه متفقون من انويين وكان الرجل في غاية التأثر
وإحباط ففتت يا عزيزي نحن نعرف شعورنا ونعلم اننا مأمور تنفيذ الأوامر
عسي منخي فود عسي قثلا وانه لو كان الأمر بيدي لبعيت معكم بقية عمري
هذا في ارفيني.

ء من انويين عباقرة

في أوائل الستينات دعت المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة
ليونسكو علماء ولاثريني لدراسة الأسلوب الذي يصلح لإنقاذ معبد أبو سمبل
فكتب الأستاذ أحمد محمد عثمان وكان عميدا لكلية النحت والفنون الجميلة
بالإسكندرية الى مجلة المنظمة طارحا طريقة النشر والتقطيع لرفع المعبد الى بعد

خطوات بنفس الاتجاهات وأعلي قليلا من مستوي سيكون عليه مستوي البحيرة. وكان من العلماء من اقترح أن يحاط المعبد في مكانه بسياج من الزجاج السميك.

علمت من الأستاذ أحمد أن الوزير الدكتور ثروت عكاشة قد استدعاه وناقش معه الفكرة وذكر له أن الرئيس جمال عبد الناصر قد قرأ مقاله في مجلة اليونسكو وأعجب بالفكرة وأمر أن تهيأ له زيارة بالموقع ووضع طائرة خاصة تحت تصرفه لدراسة الموقع علي الطبيعة. فرد علي الوزير أنه لا يحتاج الموقع لأنه نشأ فيه بل تعلم السباحة في صغره بجوار المعبد. أما طريقة النشر والقطع فقد طبقها عندما نقل تمثال رمسيس الثاني من ميث رهينة بالمكان الذي نصب فيه بجوار محطة مصر. وقد تبنت الشركة الفرنسية التي نفذت الفكرة ونسبتها إليها وكان الأستاذ قد رحل بجوار ربه قبل التنفيذ اثر حادثة اصطدام قطارين في الإسكندرية.

وهكذا يرد الفضل في إنقاذ معبد أبو سمبل بالشركة المنفذه دون ذكر لصاحبها الأصلي الأستاذ العميد أحمد محمد عثمان عميد كلية النحت والفنون الجميلة بالإسكندرية ولأنني سمعت القصة منه شخصيا فقد تأملت كثيرا ومعني كل الذين يعرفون هذه الحقيقة لأننا نعتقد أن هذا العميد العبقري هو من بقايا الحضارة النوبية.

أما ما بدأت به حديثي عن الحضارة الفرعونية هل هي نوبية أو مصرية
أو الاثنيين معا فلا خلاف إنها الحضارة الفرعونية التي حسمها شوفى في
قوله :

وهذه الأرض من سهل.. قبل القياصر رناها فراعينا ولم يصنع حجرا بأن
علي حجر في الأرض إلا علي أثار بانينا

ه الأغانى النوبية بعد الهجرة

انتشرت أغان من نوع خاص حين الرحيل والهجرة وكم هو عسير أن
اترجمها لغير الناطقين باللغة النوبية بل المدركين بمشاعر مغيتها علي كثرتهم
وعلي بلاغة معانيها.

فمنهم بعد تذكر أيام البواخر النيلية التي كانت تصل حلفا بأسوان
وتقف في أمهات القرى النوبية تمخر بأنوارها الزاهية وتحمل البريد بين مصر
والسودان وتربط الحبيب بالحبيب ومنهم من تذكر وغني لأيام كان الأهل في
مصر علي مرمي حجر ومنهم من بكى علي الباستات من النخيل من أشجار
الجنة.

وطائفة أخرى ألفت جام غضبها علي السد العالي وتمنت أن ينهار طوبه
طوبه ليبنى بها أهلهم في كوم امبو زرائب البهائم ومنهم من فعى حكام مصر
والسودان الذين اجمعوا علي رفض قيام السد واتهموهم بأنهم هدموا الأمجاد
النوبية ليبنوا لأنفسهم مجدا زائفا ومنهم من غني علي لسان جبل الصحابة

(جبل شامخ في اشكيت لم تغمره مياه البحيرة) يتفغ السد العالي وأي شيء غالي
ومنهم من حفذ الأعوام التي سيعيشونها بعد الشباب وإنها لا ينبغي أن تعد أو
تحسب من أعمارهم. هذه الأغاني والملاحم شديدة التأثير وتبكي من يسمعها
بلغتها.

سرا

(من النوبة السودانية)^(٢)

من عهد هيرونوتس والبلاندي إلي عهد كروان ونجم الدين أثارت النوبة اهتمام علماء ورحالة وشعراء. ولم تتوقف أبدا عن إغرائهم. ولكنها لم تشبع قط فضولهم. وليس الاهتمام بها الآن أعظم مما كان. ولكنه لا يزال شديدا كما كان دائما. بل إنه أعظم في بعض الوجود مما كان من قبل. والنوبة مصممة علي أن تكتم أسرارها المثيرة في شغاف قلبها. تحرسها عن كذب الرمال والنخور. وقد ساعد التاريخ والجغرافيا علي الحفاظ علي أن تتحاشى النوبة الكشف عن أسرارها وكذلك علي قصور الأدوات التي تحت تصرف الإنسان حتى وقت قريب. وكان يمكن أن يكون هناك قصور يهيج عن " الأحياء " أكثر من ذلك لو أن الصحاري والوديان التي يتعدى طرقها سمحت لهيرونوتس أن يلفظ إلي " أثيوبيا " التي كانت يانسية له تبدأ في أسوان. وليس من شك في أن كيرون كان سيعطي يضع قصور أخرى في عمله الذي يتعشقه في قبرس وبلاسه يومه تعجر معركة بين أنصاره ونسب ييلاق وثاق ميبلا القيس إلي ائوية جنوب. واستمر اسكون حليم يرعي النوبة أن صدم العلم بالعلم يهد. وقد كانت حني وقتال تحجيب عظمة مصر التي استنقت كثر طلاقات الناس ويوهيبه وهوليه. التي كانت تارفة عبي آية حال.

ومن ثم فإن العالم أقبل إلي النوبة إقبالا يتسم بالشهامة والحماس
وبمعدات ومعرفة جديدة. وكان لسره شرق نصيبها من كل هذا. علي الرغم من
إنها كانت مجرد بقعة صغيرة في خريطة النوبة غير الكبيرة.
واقبل علماء آثار جيلق جيون وجغرافيون وفنانون ومحبون للفن.
ومؤرخون إلي المنطقة زرافات. وسافر مصورون فوتوغرافيون وصانعون للأقلام
ودارسون يتوقون لمعرفة الحقيقة من الجامعات الأوربية والأمريكية بالسفن في
النيل من الشلال أو قاموا برحلة بالقطار من الخرطوم إلي وادي حلفا ثم في
النيل إلي سرا. وكانت سرا تنبض بالحياة خلال الخمسينيات والستينيات.
والحق إنها في خلال تاريخها الطويل لم تعرف قط مثل هذا السيل المتدفق من
الناس والآلات.

” لقد تبدد سكون وحركة ما تنطوي عليه من سحر “ وكان أول سحر
تبدد هو سحر الشيخ نور.

والشيخ نور ولي يسبح حمايته علي المنطقة. وكان كل شئ عذرا وجيها
كافيا لسرا لكي تنطلق إلي الشيخ بجوار النهر وعلي الربوة والاحتفال به. وكان
ضريحة في اعلي ربوة. ويقع في موضع تم اختياره بالعدل والإنصاف بين سرا
والقرية الواقعة ورائها، إلي الشمال أرتينوج : ” قلب الجزيرة “. وكانت
تحيط به ربي وتلال صغري. لكها تعتبر مقدسة. وذات صباح جميل نسفت
كلها وسويت بالأرض تماما. كان يوما غريبا بالنسبة لسرا. ولم ينتقم الوالي
لهذا العمل الذي لم يراع حرمة، وكان يوما أحس فيه بالإذلال من اعتقدوا

انه من أصحاب الكرامات لدرجة تكفي لأن يتشفع لهم عند الله. ولم يشعر أيضا مجرد حيل من الشيوخ الماكرين الذين كانوا يعيشون بخداع السذج والسليمي الطوية. فموضوع حجوهم لم يعد قائما. ذلك أن الجحود لا يعني شيئا بدون موضوع للإيمان. وكان هناك حزن يرين علي كل جانب ورائحة تنذر بالمصير المحتوم. وأدت الحقول الخالية من الزرع والرمادية والشجيرات المشبطة إلي اشتداد الأحساس بالحيرة والألم. فقد أشير علي الناس ألا يزرعوا في هذا الشتاء. لأنهم سوف يرحلون في إبريل. وقام بفك دواليب الماء مقاولون بارعون. كانوا مشغولين بشراء الهجد " الخرائب "

وقد سلمت سرا بوجودها في هذا الموضع . والحق أن وجودها المستمر لم يكن موضع جدل. فحتى تلك الأيام في إبريل سنة ١٩٦٣ . عندما ركب السروكي . ساكن سرا القطار. ولم يعد جزءا من النوبة الكبرى . كان يعتقد أنه مخلد. وأنه سوف يبقي دائما في سرا. طوال العمر الذي يعيشه الإنسان علي ظهر الأرض. فهذه الأحداث وقعت لآخرين ولم تحدث له. تلك كانت تجربته وإن كان لم يعرب عنها. ولم يكن بالمرء الذي يطويه آخرون. فهو نفسه جزء من تيار تاريخ له " السنة " عديدة. وهو رجل معقد كل التعقيد لا يمكن أن يجرفه مد تاريخ. وقد ظل سيروكي يجمع ويدمج " السنة " تاريخ عبر قرون. وسوف يقول باغتباط " دنياج أوجارننان " أي " بني العالم ". كما لو كان ذلك لم يحدث إلا أمس. وضروب الدم التي تجري في عروقه عديدة وكذلك الثقافات والحضارات التي تتقارب فيه . وهو يقف هناك بجانب النهر يرقب

موكب الأمم وهي تذرغ النيل هنا وهناك لقد كان هناك قبل أن تنشق صدفة النوبة علي يد الغزاة والتجار منذ أربعة آلاف عام في سنة ١٩٧٠ ق.م وقد شهدت النوبة واحتلقت بأمم من العالم. خالصة من الأخلاط كما هي أساسا. وأن كانت تعيش في أقاليم مناخية أرق والطف وفي بلاد أكثر إنتاجا.

وقد شهدت سرا قدماء المصريين وهم يجرفون في قواربهم هنا وهناك في النهر سعيا عن تجارة وأرض. وشيدوا " البريهي " الذي أصبح ضريح الشيخ نور ليحرس مصر من المغيرين عليها من الصحراء لنهب ثرواتها. وجاء فيما بعد الإغريق وهم متعنتون جدا لدرجة أنه لا يمكن أن يزعمهم أي أحد آخر أو يزعموا هم غيرهم.. وجاء علي أثرهم رومان كثيفو الشعر مفتولو العضلات واختفوا. وحل محلهم أناس متضجرون ومتبرمون. يشنون حروبا لا طائل تحتها في بلاد بعيدة سمعوا عنها ولكنهم لم يروها قط. وكان هؤلاء الفرس. وقد مضوا كعاطفة. وكانت هناك وقعة عندما وقف الزمن ساكتا. وكانت سرا متأهبة لتحول في تاريخها. وجاء به المبعوثون من بيزنطة.

ولم يكن هؤلاء مثل الرجال الذين واجهتهم من قبل. الذين يتكلمون بركة ويرتدون ملابس زاهية بهيجة. ويتلفون إلي الكلام. وكانوا أيضا شجعانا لا يرهبهم شيء. ولم يحتموا بالأمان النسبي لقوارب وكانوا معظم الوقت يسعون كادحين علي طول الجبال الوعرة والرمال الناعمة كالدقيق للنوبة. وحملوا في اليد اليمنى هراوة. وكتابا يمسون به قريبا من القلب تحت الأبط. ولم يجد السروكي أن من الصعب عليه أن يستجيب فقد تعرض للمسحنة

وعني الرغم من أنه انبوه مسلم ورع فإن أعظمنا جهلا يعرفون شيئا عن هؤلاء، الرجال من بيزنطة. وكان عمي يقول دائما أن سرا مشتقة من اسم مسيحي حكمها يوما. وكان اسمه الحقيقي هو زرنينخ. كما يؤكد في كل مرة يثور فيها الجدل حول أصل الاسم. وقد كانت ثمانمائة سنة من المسيحية. من جهة منبعها. فترة طويلة كافية لأحداث شقاق ونزاع بين علماء اللاهوت. وكانت موافقهم معقدة جدا لدرجة لا يدركها أحد وكانت لغتهم عسيرة جدا علي الفهم. وكانت تقريبا حكاية غثة عن الماضي ومع ذلك فإنها تركت آثارا عديدة في تيار دم الناس حتى عندما اقتحم الكتاب الفتي الغض الأهاب القوي طريقه إلي النوبة.

وتدرجت النوبة من مراقب للأمم إلي بلد يسعي الناس إليها. وقد انزلت إلي مرحلة أجنحة العالم الأشد ظلما بعد ناباتادومبيرو. ولكنها وجدت طريقها لتعود اقوي إلي مركز الاهتمام بعد أن مستها بعمق المسيحية أولا والإسلام فيما بعد. وغدت وقتذاك نابضة بالحياة لدرجة تكفي لإثارة الاهتمام ولم يعد غافلا عنها. واكتسبت وجها جديدا له ملامح مميزة.

اللغة في النوبة

النوبيون يتكلمون جميعا العربية ولكن لهم بجانبها لغتهم الأصلية التي يسمونها الرطان ويعرفها جميع النوبيين (كبارهم فقط) وهي تختلف اختلافا قليلا من اقليم إلى اقليم . بينما تؤلف لهجات الكنوز والداقله مجموعة متشابهة . تؤلف لهجات الفريج والمحس والسكوت مجموعة أخرى فيها شئ من الاختلاف .

واللغة النوبية حامية الأصل على أرجح الأقوال ، وقد دخلها مؤثرات كثيرة على مر العصور . فتأثرت في الماضي باللغة العربية القديمة ثم باللغة القبطية . فلما جاء الإسلام أخذت من العربية (لغة القرآن) كثيرا من الكلمات .

والنوبيون يختلفون في لغتهم حتى عصرنا هذا ونجد أن الحدود اللغوية لا تتفق مع الحدود الجغرافية للنوبة العليا والسفلي . فبينما نجد سكان المنطقة الواقعة ما بين " أسوان " و " السبوع " يتكلمون حتى اليوم اللهجة المعروفة باسم " كنوز " ومن كورسكو حتى الشلال الثالث يتكلمون " المحسي " نجد أن سكان الجنوب يتكلمون " دنقلي " ولو أن هذه اللهجة ليست ألا شكلا آخر للكنوز . واللغة النوبية التي ينتمون الى نوع خاص من اللسان الإفريقي لا تكتب ولذلك تعتمد علي العربية في الكتابة . فالعربية تستعمل في كل أنحاء البلاد .

هل النوبية (لغة أم) لهجة ؟

ويجيب علي هذا السؤال الدكتور / مختار خليل كباره

يقول : نعم.. إن النوبية " لغة " وليست " لهجة "، كما يزعم البعض. ولبيان ذلك نقول : أن أولئك الذين يصرون علي إطلاق مسمي " لهجة " بدلا من " لغة " إنما يستندون وكما يبدو لي إلي أن النوبية لا تعرف أشكالا محددة للكتابة والتدوين في الوقت الحاضر. ومن هنا يفهم أن الحدود الفاصلة بين المصطلحين في نظر هؤلاء - . إنما تكمن في معرفة الكتابة والتدوين من عدمه. ونرد علي هذا الزعم. بأن الفارق الحقيقي بين المصطلحين ليس في التدوين ومعرفة الكتابة مما عداه. بل في كون أحدهما أعم وأشمل للآخر في نفس الوقت. بمعنى أن (اللغة) سواء كانت مكتوبة أم غير ذلك، فهي أكثر شمولية من مصطلح (لهجة)، وأن لغة ما قد تتفرع في حين من الزمان (وبفضل عوامل مختلفة وعديدة) إلي مجموعة من اللهجات، قد تبقي جنبا إلي جنب مع اللغة الأم التي تمخضت عنها أو تحل محلها وتبقي وحيدة، ولكن في الغالب بعد مرور بعض الوقت.

وعلي الجانب الآخر. فإن لهجة ما قد تدون وتكتب أو عدا ذلك، لكنها تبقي من حيث التركيب اللغوي كإحدى اللهجات المتفرعة عن لغة أم واحدة تتبعها وتدور في فلكها. وقد تختلف عن بقية اللهجات المتفرعة عن اللغة الأم نفسها سواء في بعض صوتياتها أو مخارج ألفاظها وطرق النطق بها، أو في بعض قواعد النحو والتركيب. أو في بعض أوجه التعبير عن أزمنة

الحدث المختلفة. أو في وجود بعض الكلمات أو تعضبات التي يرثبها أصحاب هذه لهجة وتحدثون بها. والتي قد تتفق بعض الشيء أو تختلف كلية ولا نجد شيلاها في لهجات الأخرى المنتزعة عن لغة نفسها وتوضيح ذلك: فقد في صورة مجمعة. سوف نتخذ من تعيين القبطية والعربية مثالين بين هذا الفرق. فتلغة القبطية هي التي تشر آخر مراحل تطور لغة نصرية قديمة. وقد عرفت هذه لغة الآء في تلك مرحلة اللغوية لعديد من لهجات التي تفرعت عنها والتي ظهرت أغلبها عن نتيجة لاختلاف ألسنة مناطق مختلفة التي انتشرت فيها هذه اللغة. منها اللهجة الصعيدية. ولهجة بحيرية. واللهجة الفيومية. واللهجة الأخميلية.. الخ. ومن معروف وأثبت لدينا. أن هذه اللهجات المختلفة جميعا قد عرفت طريقها إلى الكتابة والتدوين. ولدينا العديد من المخطوطات والوثائق المكتوبة بها والمحافظة حاليًا في معضم متاحف ومجموعات الآثار المصرية بعصر وبعثهم. أما المرحلة التي سبقت ظهور تلك اللهجات المختلفة والتي تشر المحاولات الأولى في الانتقال من مرحلة الديموقراطية إلى مرحلة اللغة القبطية. إننا نعرف " بالقبضية القديمة ". حيث كانت اللغة ترويب موحدة. وإن كانت الوثائق التي بين أيدينا من تلك الفترة ما تزال قليلة بصفة عامة.

كذلك فاللغة العربية. ونتيجة لانتشارها الواسع بين بلاد وأقطار شامعة وشعوب وأقوام مختلفة. تشهد وجود لغة واحدة أم هي العربية الفصحى لغة

القرآن الكريم والسنة الشريفة. تفرعت عنها لهجات عديدة تبعا للمناطق والبلاد المختلفة التي امتد الإسلام إليها، حيث لعب مخزونها الثقافي وإرثها الحضاري في تحديد سمات وملامح ألسنتها. فلدينا علي سبيل المثال لهجات مختلفة في مصر أو في السودان أو في المغرب العربي أو في الخليج العربي أو في الشام.. إلخ. بل تعدي الأمر ذلك. حيث نجد داخل إطار كل لهجة منها تفرعات أخرى ثانوية أقل. كأن نفرق مثلا بين لهجة الصعيد ولهجة الوجه البحري في مصر. وبين لهجات المناطق المختلفة بالسودان.. وهكذا.

إذا ما انتقلنا بعد هذا إلى اللغة النوبية، فإننا وكما ذكرنا آنفا سوف نقسمها إلى مرحلتين أساسيتين.

المرحلة الأولى :

وهي اللغة النوبية القديمة، والتي دونت فيها اللغة. ومما يميز اللغة في هذه المرحلة إنها كانت أغلب الظن موحدة. تدلنا علي ذلك المخطوطات والوثائق العديدة التي عثر عليها في مناطق مختلفة بالنوبة حتى الآن.

المرحلة الثانية :

وهي تلك التي نصلح علي تسميتها بمرحلة اللغة النوبية الحديثة، والتي تتسم بتفرع اللغة النوبية الأم إلى عدد من اللهجات. يرى البعض أنها أربع أو خمس لهجات مختلفة هي : الكنزى والفاديجا والسيكون والمحسي والدنقلاوي. إلا أننا لا نميل إلى الأخذ بهذا التشعيب المبالغ فيه، ذلك لأن

هذه التقسيمات ظاهرياً يمكنت في حقيقة الأمر أن نردها إلي شعبين رئيسيين هما :

الكنزوي = انكبير = oykip / من ناحية والتديج
السيكود محسي نوبين = Nobin / من جهة أخرى. حيث إن كل
مجموعة في هذا التقسيم لها ارتباط ببعضها البعض ووثيق حتى لا نكدر
نلاحظ بينهم من فروق يسيرة

إلي جانب مجموعة لهجات النوبية النيلية سابقاً الذكر. هناك أيضاً
مجموعة أخرى من لهجات في مناطق متفرقة من جبال النوبيا بكردفان (منها
جبل داير، جبل مينوب، جبل حرزة، الأديلينج، بيرجيد) . وقد أظهرت
الدراسات القليلة المتفرقة لبعض مفرداتها أنها تمت بالصلة للغة النوبية وتتفرع
عن نفس المجموعة النوبية.

الفصل الثالث

أهم المعابد النوبية

- معبد أبوسمبل
- جزيرة فيلة
- معبد الملكة النوبية نفرتاري
- معبد بيت الت والى
- معبد جـ عرف حسـ ين
- معبد السبع وع

معبد أبو سمبل

يقع في النوبة السفلى به معبدان منحوتان في الصخر في الحجر الرملي
سحب الغربي. يعرفان على النير في موضع كانت به إحدى المستعمرات
مصرية وقد نبتد رسميرا الثاني.

المعبد الكبير

وتزين واجهته أربعة تماثيل ضخمة جاسئة للملك. وقد خصص لعبادة
آله الشمس "أخمين" و"بهر" أعمدة هذا المعبد يتميز بمنظره الرائعة سواء
التيه أو الحرية. وعن انجورد د بتر معركة (فانش). أما للمعبد
تصوير فترير واجهته ستة تماثيل ضخمة واقفة. وقد مخصص لعبادة كل
من أرباب صحر وبتة البنية لوتاري رجا رسميرا الثاني.

تأثر معبد بحضارة من العروق أو نغمة تمتد عن نكان الأصلي
محرر "أ" وفنوع عنه حواء "أ" من على بيده عالية عروق بسنة بلانة وكان
تداحد افراج شر التتار. يرفقه من النور النهري أحمد عثمان التي كان
عند شب الفير الحية بالأسكارية ومعهد بيومير يفتقر بالقاهرة

يتبع حفر تماثيل الثلاثة الكبرى التي يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدماً
بمنحوتها في الصخر من قبل داتر فهد بحيث تومر لتسهر في
عند من منظره من عروق الأشمير. وهو كما يحتوي معبد يمتد على
عصر الحضر والحضر من عروق الأشمير من الفير المنعقدة من السبعة ويكو

هذا جزء من الأثر المرسوم. عن هذا الشعاع يمثل رع آله الشمس وهو ينفذ إلى الداخل وقد كتب "جادزبي" يقول: "إن الأثر لمذهل فعلاً". ثم يضيف قوله: "توجد أربعة تماثيل في الطرف القصي من المعبد. وهذه تبدو مخيفة عن بعد. ولكن حينما اقتربنا منها بدت كالتماثيل الأخرى في جمالها".

معبد فيلة

ماذا قالوا عنها :

لقد أقسم المصريون "بذلك الذي يرقد في جزيرة فيلة قسماً مغلفاً في الأيام الغابرة. إذ اشتهرت الجزيرة بأنها تضم رفات أوزوريس ومن هنا جاءت شهرتها بأنها جزيرة مقدسة.

قالوا عنها: " الشلال. النهر. الصحراء. والجبال المحيطة بها. تلك الجزيرة المقدسة رائعة بكر ثروتها من النحت والرسم والتاريخ والشعر والتقاليد ترقد وسط كل هذا وتبدو الجزيرة بنخيلها وأبهاثها وأعمدتها وصروحها وكأنها سراب يرتفع من النهر وهذه الأبراج المنحوتة لا تظهر عليها بادرة من خراب أو تقادم عبيد... أن الألوان المظلمة بها تلك الرسوم البارزة في مدخلها تبدو وكأنها تحتفظ بروعتها في أول يوم طلبت فيه وكل ما فيها يبدو سداً. فحداً. دقيق الصنع وهناك أجمل المناظر الشهيرة في العالم. وأنها جزيرة بشهرتها.

موقعها :

تقع جزيرة فيلة عند الطرف الشمالى للجندل الأول على بعد أربعة كيلو مترات إلى الجنوب من خزان أسوان وتتميز بمعابدها الرائعة التى سميت فى العصر العربى "مقر أنس الوجود" بعد ربطها بقصة من قصص ألف ليلة وليلة وقد أوضحت هذه الجزيرة مقراً لعبادة الآله "إيزيس" التى ظل تقديسها قائماً حتى بعد دخول المسيحية مصر. ويرجع معظم ما فيها إلى العصر اليونانى الرومانى أهمها معبد إيزيس والجوسق الذى إقامه الأمبراطور الرومانى تراجان ناحية الشرق.

وتمتاز جزيرة فيلة بأعمدتها البديعية وصروحها الضخمة ونقوشها الجميلة ونصوصها الدينية الهامة.

وتغطى مياه خزان أسوان هذه الجزيرة طوال أيام السنة فيما عدا شهرى يوليو وأغسطس.

معبد الملكة النوبية نفرتارى

وعلى مسافة قريبة. شمال المعبد الكبير. نحت رمسيس معبدا صخريا صغيرا لمنكته نفرتارى خصصته لعبادة الآلهة حاتحور ومع أن عظمة المعبد الكبير قد حجبت هذا المعبد إلا أنه يجب وصف مبنى الملكة كأحد العمائر ذات الجمال الرائع فى هذا العصر فى النوبة. ويوجد فى هذا المعبد نصان أحدهما فى النحلة الأساسية والآخر على الواجهة. ونقرأ فى الأول:

” شيده رمسيس كأثر لزوجة الملك الكبرى نفرتارى . محبوبة موت منزلا منحوتاً فى جبل النوبة النقى من الجحر الرملى الأبيض كعمل أبدى “. أما النص الثانى فجاء فيه :

” رمسيس مرى آمون ، محبوب آمون ، مثل رع إلى الأبد . شيد منزلا من أبنية ضخمة لزوجة الملك الكبرى نفرتارى ذات الوجه الجميل . أن جلالته أمر بأن يبني بيت فى النوبة منحوت فى الجبل . ولم يصنع مثله أبداً من قبل “. أن العبارة الأخيرة ” لم يصنع مثله من قبل أبداً “ يجب أن تؤخذ كتصريح تقليدى بأن المعبد الصغير لم يشيد بالطبع قبل معبد رع حر ماخيس الذى كما قلنا من قبل بدأ فى بنائه سیتی الأول غالباً .

كنا نود أن نعرف أن كان التصميم العمارى للمعبدین من عمل المهندس نفسه لأن النحت والمناظر تبدو كأنها من عمل الفنان نفسه . إن الواجهة على شكل بيلون طولها ٦٠ قدم وعرضها ٤٠ قدماً وكانت تنتهى أصلاً على شكل الكورنيش وعلى كل جانب من جانبى المدخل تؤدى إلى الداخل نجد ثلاث مشكاوات تقف فيها تماثيل ضخمة يصل ارتفاعها إلى ٣٣ قدماً وهى للملك والملكة فى مجاميع كالتى : على الجانب الشمالى للمدخل نجد رمسيس مرتدياً التاج المزدوج ثم نفرتارى مرتدية قرص الشمس والقرون وريش ازيس ثم رمسيس مرتدياً التاج ”أف“ . أما فى الجانب الجنوبى فنجد رمسيس مرتدياً التاج الأبيض ثم نفرتارى مرة أخرى مرتدية تاج ازيس ثم رمسيس مرتدياً التاج الأبيض . وإلى جانب كل تمثال نجد تماثيل صغيرين يمثلان طفلين ملكيين :

أبناء أو أقرباء الملك من الأمراء وبنات أو قريبات الملكة من الأميرات. أما المدخل فيوصل إلى صالة أعمدة حمل سقفها على ستة أعمدة مربعة زينت كل منها من الأمام بمنظر الشخشيخة يعلوها رأس الآلهة حاتحور. أما رسوم الجدران فهي تمثل الملك مصاحباً الملكة يضحيان بزنجى أمام آمون. وليبى أمام "رع حار خيس" هذا بالإضافة إلى المناظر الدينية الأخرى. أما جدران الصالة العرضية وقدس الأقداس فقد نقشت بمناظر دينية تملأ الدار الغربى فنقش عليه منظر بارز للآلهة حاتحور على هيئة البقرة ويقف رجل ربما يكون الملك تحت رأسها. أما على الجدار الشمالى للمقصورة فنرى الملكة فى حضرة الآلهات "موت" و "حاتحور" تقدم لهم البخور وعلى الجدار الجنوبى نرى الملك يصب مياه التطهير أمام تماثيل له ولنفرتارى.

ولقد شيد رمسيس الثانى معابد مهمة أخرى فى النوبة السفلى هى: معبد بيت الوالى ومعبد جرف حسين ومعبد السبوع والدر وكلها نحتت فى الصخر جزئياً ومع أنها رديئة الصنع إلا أن مناظرها ونصوصها مهمة بالنسبة لتاريخ النوبة.

معبد بيت الوالى

إن معبد "بيت الوالى" مكون من فناء ثم صالة سقفها محمول على عمودين مربعين ثم قدس الأقداس ذى مشكاة فى الجدار الغربى تحوى بقايا ثلاثة تماثيل منحوتة فى الصخر. ومع أن هذه التماثيل صعب التعرف على

شخصيتها إلا أننا نجزم أنها تمثل الملك مؤلها ومعه آلهان آخران خصص
المعبد لهما. وأهم ما يسترعى النظر فى هذا المعبد هو مجموعة المناظر المنقوشة
على الجدران الجانبية للفناء الخارجى وهى تمثل الحروب ومع أن الحملات
النوبية والآسيوية لم تكن أكثر من مظاهره حربية إلا أن هذه المناظر لها قيمتها
ليس فقط من أجل مناظر القتال الواقعية ولكن لتصوير الجزية النوبية أيضاً.
وهذه المناظر ذات الألوان الزاهية يمكن رؤيتها على جدران الصالة المصرية
الرابعة فى المتحف البريطانى من عمل "جوزيف بونومى" منذ عدة سنوات.
وكان قد صنعها قبل أن يضع الجص. وعندما أزالها لم يترك أى أثر للألوان
على الأصل.

والمنظر الأول يمثل هجوما على قرية نوبية فى أقصى الجنوب والنص
الذى يعلو العدو يقول: "الذين يتعدون على حدوده. ويعنى ذلك أنها حملة
تأديبية عند الحدود. ونرى رمسيس فى عجلته الحربية يتبعه أميران هما
"أمون حر أون أمف" والأمير "خاع أم واست" يهجمون على مجموعة من
الزنوج المسلحين بالأقواس والسهام وهو يفرون إلى معسكرهم فى وسط النخيل.
ويحمل محاربان زنحيان زميلهما الجريح ونرى النساء والأطفال يتدافعون فى
ذعر وىلى ذلك منظر للملك جالسا فى خيمة على عرشه يتقبل هبات كوش
يقدمها له نبلاء مصريون من بينهم حاكم كوش "أمون أم أوبت" ابن الحاكم
السابق "باسر" ويكافئ "أمون أم أوبت" بسلاسل ذهبية جزاء لخدماته. أن
الجزية المتنوعة مكونة من خواتم ذهبية وأثاث من الأبنوس والعاج وجلود
فهود وأقواس وبخور ودروع وعاج وأبنوس وريش نعام وبيض نعام. علاوة على

ذات نجد حيوانات أخرى حية من بينها قرود وفهود وزراف ووعول وكلب
وثيران ذات قرون منحوتة ونعامة. ولكن الهدية الثمينة كانت منضدة بديعة
يتدى منها جنود ومزينة بالزهور ويحملها الحاكم المصرى بنفسه. ولقد رافق
جزية أسرى زنوج من بينهم سيدتان أحدهما تحمل طفلها فى سلة. وصور
أيضاً منها منظر لمجموعة من الجنود النوبيين المسلحين بالحرا ب كدليل على
أنهم استخدموا فى الحملات التأديبية ضد بلدهم. وكشاهد أيضاً على اطمئنان
الحكم المصرى فى الجنوب حينئذ.

معبد جرف حسين

ولقد بنى معبد "جرف حسين" فى أواخر حكم رمسيس تقريباً لأن الذى
قاه بالعمل فيه "ستاو" الذى كان آخر حكامه. ولقد خصص هذا المعبد للآلة
بتاح وصمم على نمط معبد أبو سمبل ولكنه بنى بطريقة خشنة وليس له أى
أهمية معمارية. أما الجزء المنحوت فى الصخر فنجده عبارة عن فناء مفتوح
يحيط به على جوانبه الثلاث ممر مسقوف ذو أعمدة على شكل زهرة اللوتس
على الجانب الشرقى وأعمدة مربعة ترتكز عليها تماثيل ضخمة لرمسيس فى
الجانبين الشمالى والجنوبى. ويحمل سقف الصالة أعمدة مربعة ترتكز عليها
تماثيل ضخمة للملك على هيئة أزويرية. أما قدس الأقداس فيحوى تماثيل
منحوتين فى حالة يرثى لها للآلة بتاح ورمسيس مؤلها وبتاح تانن وحاتور.
أما نقوش المعبد ونصوصها فهى ذات طابع دينى وليس لها أى أهمية
تاريخية.

معبد السبع

وبنى "معبد السبع" المخصص "لرع حار مخيس" و "آمون" على نمط معبد "جرف حسين" نفسه. ولكن بناءه ظل محفوظاً في حالة جيدة أكثر من معبد "جرف حسين" غير أن صناعته لم تكن جيدة ويمكننا أن نرجع بناءه إلى الفترة الأخيرة من حكم الملك. ويبدأ المعبد بطريق على جانبيه تماثيل لأبى الهول وتمثالان ضخمان للملك وهذا الطريق يوصل إلى مدخل على شكل بيلون ينتهى إلى فناء مفتوح كبير على جوانبه ممرات ذات أعمدة مربعة يرتكز عليها تماثيل للملك. ثم نصل إلى الجزء المنقور فى الصخر والمكون كالعادة من صالة الأعمدة ذات السقف المحمول على اثنى عشر عموداً مربعاً أمام ستة منهم نجد تماثيل ضخمة للملك. أما الحجرات الداخلية وقدس الأقداس فقد زينت بمناظر ذات طابع دينى وعلى الجدار الشرقى من قدس الأقداس نجد تماثيل منحوتة فى الصخر لآمون ورمسيس و "حار مخيس". أما معبد "الدر" فقد نقشت جدرانه برسوم لحملات رمسيس الثانى المهمة فى النوبة وهى تشبه رسوم معبد "بيت الوالى" فتظهر الملك مهاجماً الكوشيين المذعورين الذين يهرعون إلى معسكراتهم فى التلال وبين الأشجار. والجرحى يحملهم زملاؤهم إلى المعسكرات لينقلوا نبأ الهزيمة لنسائهم. كل شئ يجرى فى ذعر وفزع حتى القروود والثيران التابعة للزنوج نجدها تجرى بينما يحيط المصريون بالأسرى. وهذه المناظر المصورة على الجدار الشرقى لصالة الأعمدة تصف الحوادث نفسها التى صورها فنان آخر فى معبد "بيت الوالى".

الفصل الرابع

التنجير والتعويض

- نوبة المهجر
- لحظات التهجير الصعبة والتعويض الهزيل
- عمليات التهجير بالأرقام
- أمثلة عن التعويضات الحقيقية

نوبة المهجر^(٤)

إن حياة المهجر في النوبة الجديدة في كوم أمبو هي فترة لا يرتاح لها النوبيون كثيرا. صحيح هناك ميزات أهمها إنهاء عزلة النوبة وسهولة الحركة بالقطارات إلي أي مكان. لكن ما أن ينفتح الكلام مع كثير من النوبيين عن هذا الموضوع إلا أبدوا حسرة علي النوبة القديمة. مع كثير من الرغبة في العودة إليها من جديد علي أن تكون هناك ركيزة لإقامة معاشهم : زراعة أو عمل في السياحة وغير ذلك من الأعمال التي قد تظهر حين يعرك الإنسان الطبيعة وأرض الواقع.

ولكن علينا أيضا أن نتبين بدقة ووضوح عدة مواضيع أهمها :

أولا : هل ما زالت حياة النوبة القديمة. بما فيها من كفاح ومعاناة في أحيان، قائمة كرجبة ودافع بين النوبيين الحاليين في المهجر ؟ بعبارة أخرى ويجب أن تكون العودة إلي منطقة البحيرة طوعية اختيارية.

ثانيا : لماذا تقوم الدولة بتوزيع أراضي النوبة القديمة علي المجاورة وفلاحي كفر الشيخ وعلي الفلاحين المتضررين من قانون العلاقة الجديدة.

ثالثا : اليس الأولي هم أصحاب الأرض الحقيقية وكان الأجدر والأعدل أن توزع علي الجمعيات النوبية (٤٦ جمعية) وإعطائها مهلة محددة وإلا أنتزع منها.

رابعاً : اليس من العدل إعادة تقدير التعويضات وليس بكشوفات وتقديرات
التعليق الثانية (١٩٣٣) و(١٩١٢).

خامساً : المسمون بالمغتربين الذين يطالبون بمعاملتهم بنفس ما عومل به
المغتربون السودانيون فأهالي أدندان عوضوا عن النخلة بعشرة قروش
وأهالي فرس بعشرة جنيها وليست بينها حدود. فقط لأن الأولى مصرية
والثانية سودانية ناهيك عن أن النوبة السودانية ليس بينها مغترب
وأحد بل عوملوا جميعا سواسية.

حتى النوبى السودانى الذى كان يعيش فى أمريكا حصل على تعويض
نقدى مجزى و ١٥ فدان ومنزل على الطراز الإيطالى.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

لحظات التهجير الصعبة والتعويض الهزيل

كانت منظمة اليونسكو قد وجهت إلى جامعات العالم نداء تناشدها فيه تجنيد علماء التاريخ القديم للقيام بمسح شامل لبلاد النوبة. قبل أن تغرق المنطقة إلى الأبد. وتضيع معها أسرار هذه العصور التي تعتبر من أهم العصور التي عاشتها البشرية. ووضعت خلالها مبادئ الحضارة.

وامتلأت صحراء بلاد النوبة بجيوش العلماء: ليبحثوا عن تاريخ حضارة العالم في النوبة. وهي الحضارة التي عاشت فيها البشرية ربيع عمرها في إفريقيا ثم انتقلت إلى أوروبا عن طريق مصر. قبل سبعة آلاف عام ونصف العام. واجتمع هناك على هذه الأرض علماء الجيولوجيا وعلم الأجناس بجوار علماء الآثار والتنقيب. والتاريخ والجغرافيا واللغة كما تشير صحف هذه الأيام. ويلفت النظر هنا استجابة العلماء الأمريكيين والكنديين بخاصة.

فقد تركوا الأرض بما عليها من ذكريات عامة وخاصة إلى أرض جديدة أقل جودة وأكثر تداخلاً مع غيرهم. فخرجت النوبة من عزلتها التاريخية إلى براح جديد. صحيح أن العزلة وحدتهم وصهرتهم عبر تاريخ طويل ولكن الدخول إلى العصر الحديث لم يكن بلا مقابل. بل استلزم التضحية بالهجرة إلى الشمال من أجل خير مصر كلها فقد كانت الأرض المصرية تغرق كل عام في مياه النيل. الذي لم توقف فيضانه أعياد وفاء النيل كلها.

وكلما تتقدم مشاريع العمران فى القرن العشرين، يعتلى الخزان ويهاجر النوبيون شمالاً حتى لا تغرق أرضهم جميعاً. فتمت التعلية الأولى لخزان أسوان (١٩١٢) وهاجر النوبيون شمالاً وغرباً ثم تمت التعلية الثانية (١٩٣٣) فى عهد حكومة صدقى باشا وهاجر النوبيون ثالثة شمالاً متوغلين أكثر ناحية الالتحام بسكان جنوب مصر.

واحتاجت مصر إلى سد جديد: لأن الخزان لم يكن قادراً على إعطاء الطاقة الكهربائية ولم يكن مرناً فى احتجاز المياه والتحكم فيها. فوضع المصريون فى عهد (عبد الناصر) مشروع إقامة السد العالى أضخم المشاريع المصرية فى القرن العشرين لتوليد الكهرباء من أجل تشغيل المصانع وكهربية الريف وميكنة الصناعة والزراعة. فكان على النوبيين ان يضحوا رابعة أكبر تضحية من أجل مصر. فهاجروا إلى أسوان (كوم أمبو / أدفو) بالذات وبنيت لهم المدن الجديدة وأتيحت لهم أرض جديدة ولكنها أقل خصباً وبراحاً من قبل وقد تشقت بيوتهم الجديدة بعد شهور قليلة من بنائها.

وقد كان للسد العالى آثاره السلبية إلى جانب آثاره الإيجابية الكبيرة. فاحتجز الطمي وغير طرق الري والزراعة. ووصلت كهرباؤه إلى مصر كلها. بينما قبع النوبيون فى أرضهم الجديدة. وزادت معدلات هجرتهم إلى القاهرة وانفتحوا بعد ذلك على البلاد العربية المجاورة: للتغلب على فقر البيئة الجديدة فهاجر الرجال والشبان إلى مناطق العمل المتاحة فى العواصم والمدن

الأخرى فالأرض التي هجروا إليها مليئة بالعقارب والثعابين (الطريشه) ومات عليها جيلان من النوبيين الشيوخ والأطفال.

وحدثت مشكلات اجتماعية ونفسية واقتصادية لم تكن في حساب المرأة النوبية فهي تعيش في كنف أبيها أو أخيها أو زوجها ثم يهاجر للقمة عيش أفضل ويتركها تدبر أحوالها في هذه البيئة الفقيرة. وربما تصادف أن يتزوج الرجل غير نوبية ويعيش بعيداً عن أرضه. وتصبح الروابط بينه وبين وطنه ضعيفة. وتحدث زيارته بقله وتصبح النقود التي يرسلها لأهل بيته هي الخيط الوحيد المستمر والدائم.

ويترتب على ذلك أن يعيش الرجل في بيئة جديدة بقيم أتى بها من أقصى الجنوب ويتصارع مع نفسه حتى يتوحد بالجديد وتظل آلامه النفسية مستمرة أيضاً. إذ يكتشف أن أهله أولى وبلاده القديمة أكثر حناناً عليه فيقرر العودة بعد أن ترك الأهل يتعذبون هم أيضاً.

وتقرر في الوقت نفسه "أن تنتهي وزارة الإسكان من عمليات بناء المساكن لتهجير أهالي النوبة في منطقتي "كوم أمبو" و"إسنا" في شهر يوليو ١٩٦٣ ثم يبدأ التهجير حتى يونيو ١٩٦٤ ويعنى ذلك أن الدولة المصرية قد حددت منذ البداية ١٩٦٠ ثلاث سنوات ونصف السنة لانتهاء العمل العلمى للبعثات الجمعية وللترتيبات المصرية فى الداخل لوضع الأرض البديلة وبداية الحياة الجديدة للنوبيين وللمصريين كلهم.

ففى عام ١٩٦٤ انتهى العمل فى السد العالى رغم معارضة البنك الدولى ومعارضة الولايات المتحدة الأمريكية (لعبد الناصر) فى تنفيذ هذا المشروع. ووقوف الاتحاد السوفيتى وقفة خاصة فى سبيل تنفيذ هذا المشروع الضخم. ويلاحظ أنه رغم ذلك ترسل الولايات المتحدة علماءها للمنطقة عبر المنظمات الدولية.

ولكن وجود الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية فى هذه المنطقة أخرجها مؤقتاً ولكنها ظلت توضح بشتى الوسائل الآثار السلبية للسد العالى. وفى عصر "السادات" ترددت عبارات عن ضرورة هدم السد العالى بعد أن دفع المصريون دماءهم فى بنائه. بل لقد حمى مصر سبعة أعوام عجاف كان يمكن ان يموت المصريون عطشاً وجوعاً بسبب الجفاف الإفريقى.

وتقرر إقامة ثلاثة وعشرين مدرسة فى منطقة تهجير النوبة. مزودة بأقسام داخلية وجعلها مدارس تجريبية متقدمة إلى جانب إنشاء أماكن لحياة الفنيين والإداريين الغرباء فى كلابشة ووادى العرب وبلانة. وهى محاولة مهمة لبناء إنسان جديد على أرض جديدة. يستوعب التغيرات السياسية والاجتماعية الجديدة يخلق معها توازماً مع الأوضاع الجديدة. ولهذا نشرت الصحف إحصاءات فى تلك الفترة عن بناء المساكن الجديدة والتعويضات وحصر الممتلكات والمساعدات والإغاثة والنقل المائى والبرى والمصروفات الإدارية وإصلاح خمسة عشر ألف فدان فى كوم أمبو كما هو موضح بالجدول التالى:

عملية التهجير بالأرقام	
١٨,٤٥٠,٠٠٠	➤ بناء مساكن النوبة الجديدة
٠٠,٢٠٠,٠٠٠	➤ التعويضات
٠٠,٤٦٢,٠٠٠	➤ تكاليف حصر الممتلكات
٠٠,٨٢٠,٠٠٠	➤ المساعدات والإغاثة
٠٠,٣٠٠,٠٠٠	➤ النقل المائي
٠٠,٠٨٤,٠٠٠	➤ النقل البرى
٠٠,٢٥٠,٠٠٠	➤ المصروفات الإدارية
٤٣٦٦	بالإضافة إلى تكاليف إصلاح ١٥ ألف فدان فى كوم أمبو

ولهذا كان اختيار بلاد مديرية أسوان مجرى الخزان: لوجود التشابه بينها وبين بلاد النوبة القديمة فى الجو وظروف المعيشة والطبيعة الجبلية. ونشرت إحصاءات أخرى عن حصر الممتلكات الطبيعية فى الوقت نفسه، تقول: إن منطقة الكنوز تبدأ من الشلال حتى الكيلو ١٤٥ جنوباً وفيها (٦٤٨٠) مسكناً مأهولاً فى مقابل (٦٦٠م) مهجوراً. وإن منطقة العرب جنوب الكنوز تحوى (١١٧٧) مسكناً مأهولاً فى مقابل (١١٤٤) مهجوراً وفى أقصى الجنوب حتى (أندنان) هناك (٤٩٤٦) مسكناً مأهولاً فى مقابل (٤٦٠٦) مهجوراً.

الأمر الذى يدل على قسوة حياة النوبيين فى هذه الفترة. حيث يرحلون إلى القاهرة والمحافظات الأخرى من أجل لقمة العيش. ولا يعودون إلا شيوخاً إذ الهجرة قد أقفرت الحياة النوبية فى نصف قرن تقريباً منذ إنشاء خزان أسوان وحتى هجرة السد العالى. ويشير هذا الإحصاء أيضاً إلى قلة الأيدى العاملة الموجودة آنذاك فى النوبة. الأمر الذى ركز الحياة الزراعية فى أراضي الكنوز (٣٤٦١ فداناً تروى بالشادوف) وبلغت مساحة الأراضي المزروعة جنوب العرب (١١٦٨١ فداناً) بينما ظلت أرض العرب لا زرع تقريباً (ثلاثة أفدنة فقط). بينما بلغت أعداد النخيل المستمر فى كل بلاد النوبة (٣٥٠,٠٠٠ نخلة) مما يدل على كثرة المعدمين الذين لا يملكون سوى نخلة أو لا يملكون شيئاً.

وهكذا تطوى بلاد النوبة أول صفحة من قصة الأشهر الثمانية الأخيرة فى تاريخها على ظهر الأرض قبل أن تغطيها مياه أعظم بحيرة وتغرق تحتها إلى الأبد.

وهكذا أيضاً تبدأ نهاية حكاية مكان النوبة مع النهر الذى طاردهم ٤ مرات خلال ٦٠ سنة وأبعدهم عن ضفتيه إلى سفوح التلال على مدى ٣٥٠ كيلو متراً هى بلاد النوبة.

كان هناك فى "دابود" التى تغمرها الأضواء قبل أن تختفى فى ظلام قاع البحيرة ومن ورائها النوبة. كان هناك أيضاً فى "قرشة" و "العلاقى" اللذين تهاجران وراء "دابود" على التوالى.

وهو نص دال على حالة النوبيين لحظة الهجرة ومدى المعاناة التي عاناها النوبيون وعانتها الدولة وعاناها الشعب المصرى معهم وهو يوفر لهم البدائل فى لحظة مهمة كانت مصر تبحث فيها عن مصدر لتمويل مشروع السد العالى لأن ميزانيتها آنذاك لم تكن قادرة على الوفاء بهذه التكلفة.

وأخر أخبار التهجير

طارت برقية من أسوان إلى كل المصالح الحكومية فى قرى النوبة تطلب منها أن تستعد مع سكان كل قرية وقررت شركة البواخر السودانية إلغاء مكاتبها ومحطاتها فى القرى التى سيتم تهجيرها وأول ما ألغت ٣ مكاتب فى قرى دابود وقرشة والعلاقي.

وطلبت إدارة التهجير فى أسوان "من لجان الاتحاد الاشتراكي فى القرى معاونتها فى تجميع الناس فى المراسى قبل ٤٨ ساعة من موعد وصول العائمات.

وستصحب إدارة كل باخرة تحمل المهاجرين بعثة طبية .. تواجه الأحداث السعيدة التى تحدث فى الطريق إلى المهجر الجديد.

ستصرف إدارة التهجير ٢٠٠ قرش إلى كل أسرة مساهمة منها فى تكاليف حزم أمتعتها.

ستصرف إدارة التهجير ١٠ قروش إلى كل رب أسرة و ٥ قروش إلى كل فرد من أفراد أسرته كل يوم من أيام رحلته إلى الوطن الجديد.

وستصرف من أول الشهر إلى كل أسرة إعانة شهرية تبدأ من جنيهين وتصل إلى ٥ جنيهات وتسمى هذه الإعانة إعانة إعاشة.

كما نشرت الأهرام فى عددها الصادر يوم ١٣/٣/١٩٦٣ أن التهجير سينحصر فى المدة بين الخامس من أكتوبر ١٩٦٣ إلى اليوم السابع من مايو ١٩٦٤ ونشرت إحصاءات جديدة عدلت الإحصاءات القديمة نصها كالآتى:

”بدأ تعويض أهالى النوبة عن غرق بلادهم تحت بحيرة السد العالى“ ٦ ملايين ونصف مليون جنيه تدخل جيوب ١٦ ألفاً ٨٦١ رب أسرة من أهالى بلاد النوبة.

إن المفروض أن تتم عملية دفع التعويضات للملاك النوبيين فى بقية القرى قبل يوم ٥ أكتوبر وهو موعد البدء فى ترحيل المهاجرين إلى الأرض الجديدة.

والمشكلة الوحيدة أمام المسئولين الآن هى أن المبلغ المرصود لنقل المهاجرين هو ١٠٠ ألف جنيه .. لكن شركات النقل تطلب نصف مليون جنيه بحجة أن مراكبها ستغرقها حتماً مياه السد بعد إتمام بنائه.

ولقد سبق البدء فى عملية دفع التعويضات لأهالى بلاد النوبة بإجراء حصر شامل لكل ممتلكاتهم فى أرض الوداع .. كان قد تم أيضاً تقدير التعويض العادل لكل شئ يمكن أن تغرقه مياه السد العالى تحت ”الكونتور ١٨٣“ .. أى تحت أعلى منسوب تصل إليه المياه التى يجرى تخزينها فى البحيرة.

ولقد جاءت كشوف الحصر تقول إن هناك :

٢٥ ألف منزل يقدر ثمنها بمليون و ٩٠٠ ألف جنيه.

١٥ ألف فدان من الأراضي الزراعية ثمنها مليونان و ٢٠٠ ألف جنيه.

ألف ساقية وبئر لمياه الشرب قدر ثمنها بـ ٢٠ ألف جنيه.

مليون نخلة يصل ثمنها إلى مليونى جنيه. (القيمة الحقيقية ١٠ آلاف

جنيه فقط)

ولقد بلغت جملة التعويضات بذلك نحو ٦ ملايين ونصف مليون جنيه.

(مبالغ فيه)

واختلاف الإحصاءات نتج عن عودة كثير من المغتربين قبل بداية التهجير كما جاء من زيادة المواليد فى فترة السنوات التى استغرقها الإحصاءات والدراسات والبعثات. كان لابد أن تحدث فجوة بين الأوراق الرسمية وواقع الناس، وأن تحدث فجوات عند التنفيذ مع خمسين ألف من السكان المقيمين ومثلهم مغتربين من أجل لقمة العيش، وعادوا ليكونوا مع ذويهم لحظات الهجرة. فتعدلت المطالب فى حضور وزيرة الشؤون الاجتماعية آنذاك د. (حكمت أبو زيد) وقد نقل الأهرام نص مطالبهم فى عدد : ١٩٦٣/٦/١٤ :

١- إعادة النظر فى تقدير التعويضات مع تعويض الذين سبق تعويضهم عام

١٩٣٣ بعد التعليق الثانية للخزان.

٢- منزل لكل أسرة.

٣- حصة الـ ٥٠٪ من التعويضات التي تقرر صرفها نقداً يجب أن تزداد إلى ١٠٠٪ مع الاحتفاظ بتمليك الأرض والمسكن وتقسيم أثمانها على آجال طويلة مع الإعفاء من نسبة الـ ٢٪ التي فرضها القانون رسمياً عن كل مبلغ يراد التظلم من تقديره.

٤- تعويض المزارعين عن محاصيلهم التي أحرقها العطش بسبب نقل طلبات الرفع إلى الموطن الجديد.

٥- تعويض أصحاب المراكب الشراعية.

٦- تجميع الملكيات المبعثرة في النوبة في الموطن الجديد.

٧- المساواة في التمليك بين المقيمين والمغتربين وبناء مساكن للمغتربين في وقت واحد مع منازل المقيمين ليجتمع الشمل.

ولم تفاجأ الوزيرة بما سمعت، ولكنها فوجئت بهتافاتهم " نحن فداء السد " فوجدت من هذا الهتاف مدخلاً طبيعياً للحديث إليهم قائلة: "أبداً .. لن تكونوا فداء السد .. سيكون السد فداء لكم".

وقد أشارت جريدة الأهرام في تحقيقها الثالث بالعدد ١١/٨/١٩٦٣ إلى أن الأرض الزراعية لا تكفي عدد المهجرين. والموجود منها لن يتم استصلاحه ونصف المستلح لن يجد الماء، كما أن نصف الأيدي العاملة التي ستبنى المدن الجديدة غير متوفر للآن.

إلا في الموعد المحدد تم التهجير وتم إغراق النوبة القديمة بل وصل الباحثون المصريون والأجانب لدراسة التكيف الاجتماعي والنفسي مع الأرض

الجديدة. بل بدأ مؤتمر لحل مشاكل النوبيين المقيمين فى القاهرة لتنظيم لم شمل الأسر وإنهاء الاغتراب وأصبحت الفترة التالية للتهجير فترة لحل المشكلات المتعلقة ولدراسة الأوضاع الجديدة ولتقصى تاريخ المنطقة وآثار حضارتها حتى أن الباحثين كانوا يهتمون بدراسة التغيرات الوراثة التى حدثت لأبناء هذه المنطقة من الفراعنة إلى النوبيين.

ودرست الباحثة النوبية د. سامية عباس النوبة فى الكتابات الفرنسية فى القرن التاسع عشر وأدى منهجها التاريخى إلى البداية من أبحاث ورحلات الحملة الفرنسية التى سجلتها فى وصف مصر بل قبل كتاب وصف مصر. ولم تترك الباحثة الأعمال الفرنسية (الأدبية) التى جرت أحداثها فى أرض النوبة. سواء أكانت رواية تاريخية تؤرخ للملكة مصرية قديمة أم كانت رواية حب تجرى بعض حوادثها فى منطقة النوبة. ويعنى هذا أن ما شاهده الرحالة والمستكشفون وما تخيله الأدباء عن النوبة قد صور منطقة أصبحت غريقة تحت مياه السد العالى. ولكنها تعيش على صفحات التاريخ المشرق لمصر.

وتتغير الأحوال فى نهاية السبعينات. بعد أن ثبتت الأوضاع الجيولوجية والجغرافية لمنطقة السد العالى. إذ ظهرت الأراضى القديمة قابلة للسكنى وإقامة الحياة من جديد. وبدأ المهجرون يحنون للعودة إلى الأرض القديمة التى هربت من غمر الماء لذا قامت الدولة بتقسيم الأراضى القديمة من جديد "وقد روعى تقسيم النوبة الأصلية إلى ثلاث مناطق بنفس أسمائها

السابقة على التهجير. وهى الكنوز. جنوبى أسوان وتبدأ من قرية "دابود" إلى قرية "المضيق" ثم تليها منطقة العرب وتبدأ من "العلاقى" إلى "عمدا" ومنطقة النوبة من "كروسكو" إلى "أندنان" وكان الحافز السياسى والاجتماعى على العودة هى سياسة الدولة التى أرادت فى هذه الفترة أن تعمر منطقة التكامل بين مصر والسودان. وهذا ما جعل الجهود الشعبية تزداد فى هذه الفترة من أجل تحقيق حلم العودة بإعادة تعمير النوبة القديمة. وإنشاء المراكز الحضارية بل استزراع النوبة القديمة وإقامة مشروعات للأمن الغذائى هناك. وتشكلت لهذا الأمر (جمعية السادات النوبية). وكان لسياسة الرئيس (السادات) فى هذه المنطقة أثر كبير فى إعادة النظر فى شكل المنطقة الأمنية لمصر فى الجنوب وهى مهمة صعبة من غير أن تؤهل المنطقة بالسكان. ليتكون حائط بشرى وتتكون حياة مصرية تعيد الامتداد العمرانى المصرى لمدى ثلاثمائة وخمسين كيلو متراً جنوب أسوان كما كانت قبل إنشاء السد العالى.

وهذا ما يجعلهم تواقين إلى مجتمعهم النوبى الخالص فقد شهدوا جميعاً أحداثاً وحدث بينهم وجعلتهم جميعاً فى الهم شركاء فهم مجتمع خاص. ملين بالجروح التى تتجدد وتحتاج لمن يفهمها حتى يساعدهم على تضميدها. فالغريب عن جماعتهم يرفض لهذه الأسباب حتى إذا ثبت أنه يحترم حياتهم ولا يخوض فيها أو يخربها جعلوه منهم. إن إنغلاق النوبيين هو إنغلاق المجروحين فهم يحسون بتراث ضخم من الحضارة ولهم تكوين نفسى خاص يجعلهم يفهمون بعضهم البعض أسرع من غيرهم.

وهذا ما يجعلهم يحافظون على استقلالهم المعيشى رغم الهجرات والحركة المستمرة فى المكان. ذلك أنهم يعيشون فى موقع جغرافى مهم يربط بين مصر والعالم العربى وحوض المتوسط وأفريقيا فى وقت واحد. وتملك حضارة كانت رمزاً على وحدة وادى النيل فى مصر والسودان حيث امتدت إلى مقربة من الخرطوم ولكنهم يحسون انتماء لمصر أكثر من غيرها من البلدان ذلك أنه رغم قيام الحكومة السودانية بزراعة نصف مليون فدان لهم فى شرق السودان فى منطقة خشم القرية حيث كل نوبى سودانى حصل على تعويض مجزى و١٥ فداناً وبيت على الطراز الإيطالى واختفى مسمى المغترب من قاموسهم بل والأدهى من ذلك بأن الحكومة المصرية طالبت النوبيين ١٩٩٣ بثمان البيوت التى وزعت عليهم أو إعادتها بحجة أن هذه إيواء وليست تملك.^(١)

هكذا ذكرت البيانات الرسمية ومقاولات الصحف .. أما الحقيقة مؤلمة إليكم بعضها.

() د. مدحت الجير .. السرد النوبى انعاصر

بعض الأمثلة عن التعويضات الحقيقية

جنيته مصرى	الدر	
٩٥	منزل مكون من أربعة حجرات ومصطبه وديوان وحوش سماوى	أحمد محمد شاهين وأخوته
٥	حوش سماوى	بسطاوى حسن عواض
١٠٦٠	حوش سماوى ونخلتين	روحية حسن الشوربجى
١٠٦٠	حوش سماوى ونخلتين	سعيدة محمد جبالى
٢٠	منزل مكون من مدخل وحوش	على حسن الشوربجى
٣	سور	على حسن الشوربجى
٠٠٢	نخلتين	فريال الشروبجى
	الديوان (١)	
٤٥	منزل به حجرتين مظلة مفروشة وحوش ومرحاض سماوى ومصطبة	حسن على الشروبجى وأخوته سعيدة ونفسيه وحنفى

الفصل الخامس

أقوال الصحف

تؤكد أن أراضي النوبيين ملكت لغير النوبيين

- توزيع أراضي النوبة
- توطئ ٧٥ ألف عامل بالمنطقة
- النوبة .. عود على بدء
- ما هي مطالب النوبيين
- هل النوبيون يمثلون أقليات

توزيع ٢٣٠٠ فدان بالنوبة القديمة على المزارعين المضارين من تطبيق قانون المالك والمستأجر

وافق الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة على توزيع "٢٣٠٠" فدان من الأراضى المستصلحة بمنطقة أو سمبل بالنوبة القديمة جنوب السد العالى. يستفيد من هذه الأراضى حوالى "١٠٣٢" أسرة من المضارين من منتصف الشهر القادم حوالى "٥٩٤" أسرة من محافظة المنيا و"٣١٣" أسرة من محافظة قنا و"٢٨" أسرة من مدينة الأقصر لاستلام الأراضى الجديدة.

ومن المقرر أن يتسلم كل مواطن حوالى "٢,٥" فدان فى عملية توفيق أوضاع المزارعين المضارين من تطبيق نفس القانون.

أكد المحافظ صلاح مصباح أنه سيتم تسليم الأسر ذات الأعداد الكبيرة مساكن جاهزة .. يقدر عددها بحوالى "٤٠٠" مسكن.

كما سيتم توفير مساكن أخرى لباقي الأسر تباعاً. يبدأ وصول الأسر فى "١٥" أغسطس ٢٠٠٠ وندة "١١" يوماً. أشار المحافظ إلى أنه سيتم توفير كافة الخدمات والمرافق لهذه الأسر التى ستبدأ فى زراعة أراضى مشروع السلام بمنطقة أبو سمبل.

كما سيتم توفير الخدمات الصحية والخدمات الشبابية والرياضية والتموينية وتوفير حصص دقيق إضافية.

كما سيتم إنشاء جمعية لتنمية المجتمع لهؤلاء المزارعين. ويستقبل المحافظ أول دفعة من الزراعيين وعددهم "١٦٠" أسرة صباح "١٥" أغسطس المذكور.

رئيس هيئة بحيرة ناصر أراضى بحيرة ناصر تستوعب البطالة الزراعية توطين ٧٥ ألف عامل بالمنطقة

أكد المهندس حمدى طلبه رئيس مجلس إدارة هيئة تنمية بحيرة ناصر أن الأراضى الشاطئية الصالحة للإنتاج الزراعى تكفل المساهمة بدرجة كبيرة فى استيعاب البطالة الزراعية بمحافظات الوجه البحرى وبعض محافظات الصعيد.

قال أن المساحة المنزرعة بالحاصلات الزراعية حول البحيرة حالياً تصل إلى عشرة آلاف فدان تستوعب ٣٠ ألف عامل زراعى وأن الفترة القادمة سوف تشهد زيادة المساحة إلى ٢٥ ألف فدان بما يتيح استيعاب ٧٥ ألفاً من العمال الزراعيين وأشار رئيس هيئة تنمية بحيرة ناصر أن المزارعين الذين يعملون بالأراضى حالياً كانوا من المعدمين فى محافظاتهم، وقد تم توطينهم بالأراضى الخصبة الممتدة حول البحيرة بعد توفير الأرض لهم لزراعتها بالمجان وتزويدهم بمعونة غذائية فضلاً عن خدمات الميكنة والمواصلات المجانية أيضاً.

وأضاف المهندس حمدى طلبه أن أراضى البحيرة منذ أن تم إستغلالها زراعياً وحتى الآن قد أثبتت كفاءة عالية فى معدلات الإنتاج مشيراً إلى العوامل التى ساعدت على ذلك مثل خصوبة التربة النيلية والظروف البيئية الخالية من التلوث فضلاً عن عدم استخدام الكيماويات والمبيدات الضارة بالبيئة والإنسان.

النوبة .. عود على بدء^(٧)

قبل أحد الأعياد مباشرة كنت فى رحلة علمية إلى أسوان وتوشكى وبلاد النوبة. أسوان هى على كل ما هى عليه من إزدهار ونظافة والنيل الخالد يمر بواجهتها ويضفى عليها من الجمال والبهاء ما لا يتجمع مرة واحدة فى مكان واحد والناس فى مجموعهم يتسمون باللطافة والبشر متفتحون على الحياة بهدوء النفس التى لا تترك للمرارة أثراً فى الرضا النفسى. ومتحف النوبة تحفة رائعة لجمال البناء وهندسة اللاندسكيب الأخضر من حوله وروعة المعرفة والثقافة فى داخله. إنه حقاً متعة ورحلة عبر الزمن مدهشة شيقة لكل الرواد مصريين والأجانب يحسون داخله بشغف للتطلع على حياة النوبيين فى هذا الجزء الجميل والحيوى من مصر الوطن الكبير للحضارة والثقافة عير الآلاف المؤلفة من السنين.

وذهبنا إلى حوض كوم أمبو حيث تنتشر على أطرافه قرى النوبة التى أنشأتها الدولة لاستقبال سكان النوبة بعد تهجيرهم من موطنهم الأزلى حول ضفاف النيل نتيجة لإنشاء السد العالى وغرق تلك المواطن تحت الكم الهائل من مياه بحيرة ناصر أو بحيرة السد العالى أو بحيرة النوبة؟ أى هذه التسميات أولى بالوصف. علماً أن كلها أسماء صحيحة فهى منسوبة إلى الرئيس الذى بدأ المشروع. ومنسوبة إلى تكوم وحجز المياه أمام السد العالى، وهى أخيراً منسوبة إلى إقليم النوبة الجغرافى والحضارى. وكانت هذه الملاحظة هى أول ما سمعته

من النوبيين الذى يرجحون إطلاق اسم النوبة على البحيرة بحكم الواقع الجغرافى القديم والحديث وهم لا يرفضون المسميات الأخرى ولكنهم فى مجال الأولويات يفضلون إطلاق اسم النوبة كحقيقة أقدم وأبقى فالسد حدث إنشائى له عمر زمنى شتناً أم أبينا. وربما كان هذا أسوة بما كان من إطلاق اسم القناطر الخيرية التى بدأها محمد على بنى مصر الحديثة. ذهب محمد على وذهبت أسرته وظل اسم القناطر الخيرية فى التراث والترفيه كمنشأة جلبت الخير بتحويل أراضى الدلتا إلى الزراعة الدائمة وكانت بذلك أول ثورة زراعية اقتصادية فى مصر أعادت تشكيل موارد الثروة المصرية طوال قرن ونصف القرن. وبالمثل كان السد العالى منشأة لها آثار متعدد فى الزراعة والطاقة ومشروعات التنمية الجارية فى أنحاء مصر وبخاصة جنوب الوادى بما فيها توشكى.

استقبل النوبيون التهجير بسماحة لأسباب عديدة بعضها اجتماعى وبعضها الرغبة فى قطع العزلة التى كانوا يعيشونها بالتعايش قريباً من السكك الحديدية والطرق البرية، وبعضها على وعد حكومى بأنهم سيكونون أول من سيعودون إلى ضفاف البحيرة عند تنفيذ مشروعات التنمية وإعادة التوطين حولها. ويحضرنى فى هذا المجال ما كان قد سبق لى معاشسته بين النوبيين قبل المهجر ونشرته فى كتابى "رحلة فى زمان النوبة ١٩٩٨" من كلمات غنائية عن الحنين والاشتياق ولوعة الفراق توضح لنا كم هى الروابط العاطفية للنوبيين بالنوبة القديمة.

أكثر من ذلك أن النوبيين فى كوم أمبو فقدوا الاتصال بالنيل الذى كان يواجه كل بيوتهم صباح مساء وكان جزءاً من نسيج الحضارة والمجتمع والكثير من طقوس الزواج . ووسيلة الانتقال بين النجوع والقرى ، كان النيل مياه حرة للجميع يشربون وبرتوون ويروون الزرع والضرع ، آمنين كل الأمان فى بيوتهم المتناثرة قريرى العين بما عندهم فى خلاء الله وبريته .

فى المهجر كانت هناك عدالة فى توزيع البيوت الجديدة على الأسر حسب عدد أعضائها غرفة وغرفتين وثلاث . لكن الأسر فى خلال أربعين عاماً زاد عددها بزواج الأبناء والبنات . سنة الطبيعة أين يسكنون والمساحات محدودة بين الأرض الزراعية والجبل . البيوت نفسها كانت مثار اعتراض لصغرهما وعدم وجود الأحواش الواسعة التى اعتادها فى النوبة القديمة التى كانت مملكة المرأة . وبالرغم من تقبل ما عرض عليهم وبالرغم من تكريم الدولة لهم بتقاضى قيمة رمزية للبيوت . إلا أن المشكلة الحالية هى أين يبنون وما هى مواردهم المتاحة لكى يبناوا جديداً للأسر الجديدة؟

وباستثناء النوبيين الذين يعملون فى الأجهزة الحكومة وبخاصة التعليم وبعض التجارة الريفية الصغيرة فإن مواردهم الزراعية محدودة بأرض ضيقة وعمالة زراعية من أهل الصعيد المجاورين يتقاسمون معهم القليل الذى تغله الحيازات الزراعية الصغيرة التى تفتت وتقرمت بالمواريث سنة طبيعية أخرى .

هناك جانب من السكان قد ثبتت أقدامهم فى الأرض الجديدة، ولكن البعض يحنون للعودة والحنين هنا ليس مصدره العاطفة فقط بل الحاجة إلى إعادة التوطين فى أرض قريبة من أرض الأجداد تبشر بمستقبل اقتصادى للأجيال الجديدة كان عدد النوبيين الذين هاجروا فى ١٩٦٣ نحو خمسين ألفاً من المقيمين بصفة دائمة فى النوبة القديمة وبإضافة نحو ٢٥ ألفاً من المقيمين جزئياً يصبح العدد قريباً من ٧٠ ألفاً ويحكم النمو السكانى المصرى لابد أنهم تضاعفوا مرتين على الأقل ومهما قلنا عن موارد العمل النوبية القديمة فى المدن المصرية فلاشك فى أنها بلغت حد التشبع وانتقل الكثيرون من الأبناء إلى شتى أنواع العمل حسب درجة ونوع تأهيلهم المدرسى والجامعى.

فى السبعينات والثمانينات كانت هناك دراسات عديدة لإعادة التوطين فى نحو عشر قرى حول ضفاف بحيرة النوبة / ناصر تحمل أسماء القرى القديمة مثل كلابشة وجرف حسين والعلاقى وعافية وتوشكى وأبو سمبل. والسائر الآن على الطريق البرى من أسوان إلى أبو سمبل يشاهد لافتات على أيسر الطريق تشير إلى طرق ودروب تقود إلى مواقع بعض هذه القرى على مبعده ٤٠ أو ٥٠ كم من الطريق. وهناك محاولات جادة لإحياء بعض هذا المشروع الاستيطانى، لكن أنجحها مشروع قرية السلام بجوار أبو سمبل قرب موقع بلانة وفرقندى القديم. يقال إن المستصلح فى المنطقة بلغ نحو سبعة آلاف فدان.

وفى تجمع قرى بلانة فى كوم أمبو ظهرت من الأحاديث والمناقشات رغبة ملحة لعودة بعض الأسر إلى الأراضى المستصلحة ويدحضون فكرة أن النوبى يفهم قليلاً فى الفلاحة ويدعمون رفضهم أن الجمعية الزراعية بقرية دار السلام النوبية القريبة من بلانة قد حازت المرتبة الأولى من بين قرى أسوان.

وقد تبلورت الرغبات فى موضوعات محددة لو تحققت جزئياً أو مرحلياً فإنها سوف تعيد للنوبيين الشئ الكثير من الاعتبار ورد الجميل والمستقبل الاقتصادى باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من نسيج مصر، وباعتبارانه من البديهي أن جزءاً من مخططات التنمية لجنوب الوادى الذى هو مشروع قومى تتبناه الدولة ولا بد من تحقيقه. وقد اخترت من بين تلك الرغبات موضوعين هامين.

الموضوع الأول ويمثل رغبة كثير من النوبيين هو إعادة توطين من يرغب فى الأراضى المستصلحة حول أبو سمبل ومناطق أخرى لإقامة نوياات سكنية اقتصادية دائمة على مناسب أعلى من ١٨٥ متراً حتى لا تضار فى حالات الفيضانات العالية ويشترك الناس هنا بمجهوداتهم الذاتية مع كل ما تقدمه الدولة من دعم فى حالات الاستصلاح الزراعى والتعمير فى أرجاء مصر. ولدى وزارة الزراعة لوائح توضح شكل المعونات الابتدائية للمستصلحين كالمساعدة المبدئية فى تجهيز طلبات الرى ومياه الشرب وبعض الثروة الحيوانية وربما توجيه وإرشاد زراعى الخ..

ماذا لو تحققت مثل هذه الرغبة من أجل تعمير شواطئ البحيرة والعودة بذلك إلى المخططات السابقة بالمساعدة فى إنشاء عدة قرى لمن يرغب من النوبيين وبعض أهل الصعيد لحل عدة أزمت أسوانية على رأسها فقر النجوع سواء كان بين النوبيين أو الجعافرة أو العبايدة أو غيرهم. إذا ركبت القطار أو السيارة من أسوان شمالاً ستطل عليك من الشرق تكدسات سكانية فى نجوع وقرى تخط لنفسها مواطئ أقدام بين الحجر والرمال وقد تملك زمامات زراعية متناهية الصغر غرب الطريق فى حالات محدودة هؤلاء جميعاً هم جزء من سكان جنوب الوادى يستحقون الرعاية بإعلان النوايا والبدء بها. علماً بأن ذلك ليس له مردود سلبى على توشكى.

أما الموضوع الثانى فهو عبارة عن أفكار يتبناها بعض النوبيين من ذوى المبادأة ويتلخص فى إقامة قرية نوبية سياحية عند أو قرب أبو سمبل على نحو شبيه بالقرية الفرعونية على بر الجيزة. الفكرة تسعى إلى إقامة حياة نوبية تقليدية فى تلك القرية مع متسع من غرف الإقامة للسياح مبنية على الطراز النوبى التقليدى. لكى يتعايشوا مع شكل الحياة والحضارة النوبية التى شاهدوا بعضها منها فى متحف النوبة. وبذلك تطول الليالى السياحية بدلا من الوضع الحالى الذى يقضى فيه السياح بضع ساعات ثم يعود أغلبهم فى الطائرة إلى أسوان. وفى هذا إثراء للسياحة والموارد الاقتصادية لمحافظة أسوان. ويخلق فى الوقت نفسه مجالا طيباً لعمل بعض النوبيين فى هذا القطاع السياحى معاً. ويحتاج مثل هذا المشروع إلى ترخيص بإقامته ودعم عدة جهات حكومية كوزارة السياحة ومحافظة أسوان والهيئات الثقافية التى تتبنى المحافظة على التراث الحضارى كاليونسكو.

ختاماً

د هي مطالب النوبيين :

- ١- لا شئ أن مطالب النوبيين مطالب عادلة ومتواضعه من السهل تحقيقها لتعويضهم عن هذه المعاناة الطويلة والقاسية وهي :
- ١- العودة للنوبة القديمة وتعميرها. فحلف البحيرة أراضى شاسعة من الممكن توطين النوبيين بها.
- ٢- إقامة هياكل قاعدية كالطرق ومحطات الكهرباء ومضخات عملاقة للرى وأسطول نهري لخدمة المنطقة ومنشآت سياحية فى النوبة القديمة.
- ٣- إقامة مدينة سكنية مكتملة بالنوبة القديمة.
- ٤- تقسيم أراضى النوبة القديمة بنفس تقسيم بلاد ما قبل السد.
- ٥- مساعدة النوبيين فى زراعة وتعمير النوبة القديمة بالمساعدة فيما يلى :
 - أ- توصيل المياد إلى هذه الأراضى كما اتبع مع أبو سمبل وبلانة (السلام) قسطل وأندنان.
 - ب- الاستفادة من الطمي المتراكم خلف السد العالى.
 - ج- مد المزارعين بالبذور المطلوبة والسماذ والآلات الزراعية.
- ٦- إعادة تقدير تعويضات النوبة المصرية على غرار ما اتبع مع النوبة السودانية.

- ٧- توزيع الأراضى والبيوت على النوبيين الذين حرموا من التعويض العينى بحجة إنهم مغتربون.
- ٨- تهجير الدخلاء من الأراضى النوبية التى يحتلون سواحلها (حول البحيرة).
- ٩- تسمية البحيرة باسم "بحيرة النوبة".
- ١٠- تعيين وزير دولة لشئون النوبة يرعى مصالحها.
- ١١- إنشاء جامعة كاملة بأسوان.
- ١٢- إنشاء بعض الصناعات الملائمة بالمنطقة.
- ١٣- تمليك النوبيين البيوت التى تسلموها بالتهجير.
- ١٤- مشاركة اليونسكو والمنظمات الدولية الأخرى فى إعادة التعمير فمن المنتقد السعى لإنقاذ آثار النوبة وإهمال البشر الذين حافظوا على هذه الآثار.
- ١٥- أن تكون الأفضلية للنوبيين للعمل فى مشروعات توشكى.

هل النوبيون يمثلون أقليات

أن مصطلح الأقلية يعنى على السنة علماء المصريين الأجناس: أنها جماعة من الناس تعيش فى محيط أكبر وتختلف عنه فى العرق أو فى اللغة أو فى الدين أو فى الجنسية وفى الوقت ذاته فإنها تشعر بنوع من التمايز أو الانفصال عن المحيط الأكبر ويقاس هذا الشعور استناداً إلى مدى التساوى فى الحقوق والواجبات بين تلك الجماعة والمحيط الذى تعيش بين ظهرانية. ولاشك أن المصطلح علمى ومحايد ولا يعنى هذا بالضرورة إنتقاصاً أو مسبه لأية جماعة من الناس إنما الأمر يختلف بإختلاف ظروف كل مجتمع بوجه خاص بمقدار ما تناله الجماعة الأصغر من حقوق وما تحظى به من مساواة من جانب الجماعة الأكبر.

والأقليات فى أى دولة. قوم يجمع بينهم شروط خاصة. تجعلهم يشتركون فى مصير واحد. ورغبة واحدة هى البقاء وسط الأغلبية مهما تكن خصائص هذه الجماعة من أى ناحية من نواحي الحياة.

ولا توصف هذه الجماعة بالأقلية إلا إذا رضيت هى هذا الوصف. إذ يمكن لها أن تندمج فى الغالبية. وتذوب ما يعوق دخولها فى نسج المجتمع أو الدولة التى تظلمهم.

أما إذا أحست هذه الأقلية بسيادتها وتمايزها فوق رؤوس الأغلبية داخل نظام سياسى وإجتماعى واحد. فقد بدأت فى طلب النزاع مع الدولة. وقد

تكون هذه الأقلية ذات حضارة قديمة تريد أن تتواصل معها. وهذا التواصل مع ماضيها وتراثها لا يضر الدولة التي تضمهم، ولكن الضرر ينبع من طلب (الحكم الذاتي) أو الاستقلال. لأن هذا الطلب دعوى لتغيير النظام السيادي للدولة. مما يستعدى النظام الحاكم ضد تجزئى الدولة. والنيل من سيادتها على كل أرضها.

وحين تقبل الأقلية سيادة الدولة التابعة لها، فهي تقع فى إزدواجية فى انتمائها السياسى، وللقضاء على هذه الإزدواجية تذوب هذه الجماعة بكل ما تملكه من خصائص وميزات، مستفيدة من تجانسها الإجتماعى والعرقى من ناحية، وتجانسها مع الدولة من الناحية الثانية.

وهنا تتطلب هذه الجماعة حياة ديمقراطية تذيب فى نفسها كل مشاعر الشعبوية والعرقية واللونية. فليست هناك جماعة فوق جماعة إلا بما تملكه من طاقات روحية ونفسية واقتصادية خاصة. والعالم كله الآن. يتجه نحو الوحدة على أسس جديدة: لأن الكيانات الصغيرة تؤكل من الكيانات الكبيرة فى كل الظروف.

ولابد من استخدام كل الوسائل: لتنبية وعى أى جماعة تنحو هذا النحو التجريبي أو العرقى: ابتداءً من استخدام النصوص الأدبية. والتكوين العقلى الموضوعى لأفرادها وانتهاءً بالتنظيمات والمؤسسات الإعلامية والسياسية والاجتماعية.

ومن أهم وسائل التصدى وتذويب هذه العرقية، والشعبية، أو الأقلية. أن تقوم الدولة بحل مشكلات هذه الأقلية: لتساعدها على تجاوز مشكلاتها. وتسهل لها الذوبان فى النهر الكبير للدولة. فإن إحساس أى جماعة بالغين قد يدفعها إلى حلول لا ترضى الدولة التى تقلهم. لأن أحلام السيادة العرقية قد تغذيها جهات غير وطنية تود تقسيم البلاد أو القضاء على وحدتها الاجتماعية والسياسية.

والوحدة السياسية الاجتماعية. لن تنفى حقوق أى جماعة فى أملاك خاصة. أو قدرات خاصة بشرط ألا يستخدم ضد الوطن أو لصالح أعدائه. ومن هذا يتضح جلياً أن النوبيين ليسوا أقلية فى مصر، بل يذوبون فى المجتمع المصرى كله بما يعرف عنهم من الصدق والأمانة والجد فى العمل.

الفصل السادس

المجتمع النوبي

- جغرافية النوبة
- التكوين السلالي للنوبة (الانتربولوجي)
- التراث النوبي
- الفنون الشعبية في النوبة
- الفنون في النوبة
- الرقص النوبي (أراجيد)
- الزواج في النوبة
- المرأة النوبية
- جمعية المرأة النوبية
- التعليم بالنوبة
- الصحافة النوبية
- الأدب النوبي
- السمة المميزة في الأدب النوبي
- التغيير الكوني للنوبة والأدب النوبي
- القرية النوبية
- حلم العودة إلى النوبة القديمة

جغرافية النوبة^(٢٢)

حدود إقليم النوبة حدود بشرية فأرض النوبة هي تلك الرقعة من وادي النيل والتي تنتشر فيها مجموعات النوبيين الرئيسية ومن ثم يكون إقليم النوبة هو ذلك الشريط الممتد علي ضفاف نهر النيل فيما بين الجندل الأول عند أسوان في الشمال حتي بلدة الدبة في الجنوب (في أرض السودان) والتي تقع شمال درجة العرض الثامنة عشرة مباشرة علي الضفة اليسرى للنيل النوبي .. ففي هذا الإقليم تعيش الجماعات النوبية الخمسة الرئيسية الدناقلة في الجنوب ما بين الدبة وأبو فاطمة ثم المحس والسكوت في إقليم الشلالات والجنادل ثم الفديجة فيما وادي حلفا وكرسكو ثم الكنوز في الجزء الشمالي من الإقليم فيما بين المضيق وأسوان.

أما المنطقة الواقعة بين كرسكو جنوبا والمضيق شمالاً فتعيش فيها عناصر عربية لا تنتمي إلي العناصر النوبية ؟ - وقد نزحت هذه المجموعة العربية والتي تعرف باسم "عرب العقيلات" من الجزيرة العربية منذ القرن الثامن عشر واستقرت بإقليم النوبة في خمس قري..

وبلاد النوبة بحدودها السابق ذكرها تنقسم إلي إقليمين كبيرين هما :

١- النوبة السفلي : وهو القسم الشمالي من البلاد ويمتد من شمال مدينة وادي

حلفا إلي مدينة أسوان ويتبع إدارياً وسياسياً جمهورية مصر.

٢- النوبة العليا : وهو القسم الجنوبي ويمتد من مدينة وادي حلفا إلى الدبة جنوباً ويتبع إدارياً وسياسياً جمهورية السودان.

وتقف الحدود الإدارية بين مصر والسودان في منطقة بلاد النوبة عند الخط المائل الواصل بين ناحيتي فرص وأدندان عند الكيلو متر ٣١٠ جنوبي سد أسوان أما الوادي الضيق المحصور بين هذا الخط ومدينة وادي حلفا التي تقع علي مسافة ٣٤٥ كيلو متراً جنوبي سد أسوان فهو خاضع إدارياً بالحكومة السودانية..

ويبلغ طول النيل النوبي الذي هو أبرز ظاهرة فزيوجرافية بين الخرطوم وأسوان ١٨٤٧ كم وينحدر في هذه المسافة من ٣٧٨ متراً فوق مستوى سطح البحر عند الخرطوم إلي ٩١ متراً فوق مستوى سطح البحر عند أسوان .. والإنحدار الكبير للنيل النوبي أكبر سرعة في الجريان مما قلل معه نسبة الفاقد بالتبخر رغم أنه يعتبر أكثر صحاري العالم جفافاً وحرارة في فصل الصيف.

وأكبر ضفة تميز النيل النوبي هي الجنادل - وفيه ستة مجموعات منها. أولها مجموعة الشلال السادس وتبدأ من على بعد ٦٠ كم إلى الشمال من الخرطوم وآخرها مجموعة الشلال الأول عند أسوان والتي تعرف بأسم شلال أسوان. ومجموعة هذه الشلالات الستة تشكل نحو ٣٧٪ من المجرى الكلي للنيل النوبي وتعتبر مناطق تواجدتها مناطق نحر وتعميق للمجرى بينما في المناطق ما بينها وبين النيل سهولاً فيضية.

ويبلغ متوسط اتساع النهر الطبيعي في المسافة بين وادي حلف والشلال نحو ٥٠٠ متر قبل إنشاء السد العالي ويبلغ متوسط عمقه حوالي تسعة أمتار في فصل الفيضان ومترين في فصل الصيف..

وكان مستوى الوادي الفيضي علي طول مجرى النهر يعلو عن مستوي الفيضانات بنحو ١٢٧ متراً جنوبي وادي حلفا و٩٤ متراً عند أسوان فكان أن حتمت الضرورة رفع المياه إلي الأراضي الزراعية.

ويعترض انسياب النهر في أرض البلاد مجموعة من الجزر الطمية والرملية خاصة بالقرب من السهل الفيضي في وادي حلفا وفي عنيبة وتوماس والدر وكانت هذه المواقع بجزرها من أعلي مناطق الإقليم وكانت بعضاً من هذه الجزر قد التصقت بالسهل الفيضي وأصبحت جزءاً منه كما كان الحال عند قسطل والجنيينة وكان البعض الآخر قد اختفي كما كان الحال عند شاطئ وادي حلفا.

والهضبة الشرقية الحافة بالنهر يقطعها عدد من الأودية والخيران التي تصرف مياه تلال البحر الأحمر والمرتفعات الواقعة إلي شرق النهر وأكبرها وأكثرها أهمية وادي قبقة الذي يتصل بوادي العلاقي.. ومن بين هذه الأودية كذلك وادي كرسكو ووادي سيالة ووادي دهميت وقد استخدمت بعض هذه الأودية كطرق للقوافل بين السودان ومصر بدلاً من استخدام طرق النيل النوبي الطويل نسبياً والذي تعترضه الجنادل.

أما الهضبة الغربية الحافة بالنهر فتقل بها الأودية الكبيرة المنحدرة إلى النهر كوادي كلابشة ووادي توماس وعافية.

والأراضي الزراعية علي الجانب الغربي من النهر كانت تتعرض لسفي الرمال البطيء مما كان سبباً في ترك أجزاء من هذه الأرض بوراً وتقوم الكثبان الرملية بسد بعض مداخل الأودية الصغيرة التي تتصل بالنيل ويقف النهر حائلاً يمنع انتقالها إلي الجانب الشرقي وكانت تبدو هذه الكثبان والتلال الرملية بوضوح في المنطقة بين فرص وبلانه وكان بعضها يغطي مساحات كبيرة كانت تنمو بها أشجار الأتل

وتتصف أرض النوبة عامة بقلة سكانها وصغر مجتمعاتها وما ذلك إلا لضيق وادبها وينطبق هذا الوصف علي النوبة السفلي (النوبة المصرية) أما النوبة العليا (النوبة السودانية) فهي أحسن حالاً إذ تتصف باتساع الوادي الأمر الذي ساعد على قيام مجتمعات كبيرة أبرز خصائصها كثرة السكان ووفرة الرزق بالقياس إلي النوبة السفلي.

والنوبة بقسميها السفلي والعليا تقع ضمن الأقاليم الصحراوية الجافة في جزء من حوض النيل الأولي. ولا يكاد يسقط فيها مطر يذكر فالمطر يكاد يكون لفظاً لا يعرف القوم مدلوله وقد يكون في قلة الأمطار أو عدمها صالح القوم من الناحية الاقتصادية ففي سقوطها ضرر بالغ ببعض حاصلاتهم الزراعية مثل القمح والبلح ونتيجة هذه الصحراوية برزت أهمية النهر الحيوية للإقليم والحاجة الماسة إلي مياهها لدي حاصلاتهم الزراعية.

وفي مشروع النوبة المصرية تم تهجير نحو ١٥٠ ألف نسمة كانوا يعيشون في ٤٥ قرية ونجع تنتشر في ذلك الشريط الضيق الذي كان يمتد علي ضفة النيل النوبي زهاء ٣٥٠ كم من جنوب الشلال إلي الحدود المصرية السودانية إلي منطقتين تقعان شمال السد العالي أحدهما وهي النوبة الكبيرة الجديدة في منطقة عل شكل قوس نصف قطره ٢٠ كم وتمتد شرق مدينة كوم أبو وشمالها وجنوبها ويصل طول هذا القوس إلي نحو ٦٠ كم.. أما الثانية فهي منطقة إسنا..

واليوم قامت في المهجر الجديد ٣٣ قرية جديدة حديثة التنظيم والشكل منها ثلاث قري في منطقة إسنا خصصت واحدة منها للسكان المصريين الذين كانوا يقيمون في وادي حلفا والثانية خصصت لسكان قرية توماس والثالثة لسكان قرية عافية .. وقد اختيرت للقرى الجديدة نفس أسماء القرى القديمة وروعى في مواقعها أن تجيء منطقة بقدر الإمكان مع المواقع التي كانت للقرى في النوبة القديمة وذلك بغية الاحتفاظ بقدر المستطاع علي ما اعتاده النوبيون من أوضاع في وطنهم القديم..

وتتوسط قرى الاسكان في منطقة كوم أمبو مدينة حديثة "نصر" عاصمة الإقليم الإدارية وبها تتمركز كافة الخدمات من نادي اجتماعي كبير ومحطة طلبات وأخر كهرباء ومكتب تموين ومخازن بنك التسليف الزراعي وسلخانة ووحدته بيطرية وأخرى زراعية وثالثة لمكافحة الآفات ومركز للشرطة ووحدة

مطافى بالإضافة إلى كل هذا بها مجلس المدينة بالإضافة إلى الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والخدمات المتنوعة.

وفيما يختص بالناحية الزراعية في الوطن الجديد فقد قامت السلطات بأستصلاح واستزراع نحو ٣١ ألفاً فدان وشقت الترع والمصارف اللازمة لخدمة هذه المساحة وأقامت محطات الري والطمبات.

التكوين السلالي للنوبيين (الأنثروبولوجي)

لكي نتعرف على التكوين السلالي للنوبيين فإنه من الضروري الرجوع إلى منطقة النوبة الأصلية جنوبي سد أسوان تلك المنطقة التي عاش فيها النوبيون آلاف السنين والتي تعرضت لغزوات وهجرات أثرت في تكوينهم السلالي. فقد تعرضت النوبة المصرية لغزوات وهجرات متنوعة من مختلف الجهات المحيطة بها غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً منذ أقدم العصور. وكانت الثورة المهدية عام ١٨٨١ آخر هذه الغزوات التي تم بعدها تحديد الحدود السودانية المصرية واستقرت الأحوال في النوبة (١٨٩٩).

ولا يمكن للباحث أو الدارس للمجتمع النوبي أن يهمل الأحداث التاريخية التي مرت ببلاد النوبة في المنطقة الأصلية في مختلف العصور القديمة والحديثة. فقد آثرت هذه الأحداث تأثيراً عميقاً في المجتمع النوبي وشكلته بطابع مميز يتمثل بشكل واضح في التعقيد السلالي لجماعاته المختلفة وتعدد الجماعات التي تعرف بالقبائل واختلاف أصولها، وفي انقسام المنطقة النوبية إلى ثلاثة أقاليم يعيش فيها الكنوز والعرب والنوبيون. وكان لها آثار عميقة في العلاقات بينهم وبين القبائل عامة. ومن ثم فلا مناص من الإلمام بهذه الأحداث التاريخية وتتبعها لإدراك نتائجها وآثارها في العلاقات بين الجماعات والقبائل لما لها من دور بالغ الأهمية في تشكيل بناء المجتمع النوبي القديم.

أولاً : تاريخ التكوين السلالي للجماعات النوبية :

- الهجرات القديمة :

تقع بلاد النوبية الأصلية بين مصر في الشمال والسودان وأفريقيا في الجنوب، وبلاد قبائل البجة في الشرق والصحراء الكبرى في الغرب، وكانت تخضع للتأثيرات الثقافية والسلالية من مصر والسودان فضلاً عن هجرة بعض جماعات البجة إليها من الشرق. وقد أرغمت البيئة الطبيعية والصحاري المحيطة بها شرقاً وغرباً بعض المهاجرين والغزاه علي الاستقرار فيها علي الرغم من الظروف البيئية والجغرافية البالغة الصعوبة وضيق الرقع الزراعية ويرجع الفضل في الكشف عن أصول النوبيين ووضع حد للآراء المتناقضة في هذا الشأن إلي البعثة العلمية لدراسة آثار النوبة في الفترة ما بين عام ١٩٠٧ وعام ١٩١٠. وقد تمكنت هذه الدراسات من التعرف علي العناصر السلالية الرئيسية التي يتميز بها النوبيون من خلال التاريخ السلالي لبلاد النوبة في ضوء المراحل الثقافية التي مرت بها كما تتمثل في الآثار المختلفة التي عثر عليها في مختلف بلاد النوبة وبمقارنتها بتمثيلتها التي عثر عليها في المدن والقرى المصرية فقد دلت الدراسات علي أن بلاد النوبة لم تكن منذ فجر التاريخ وطناً أصلياً للجنس الأفريقي وأن محتويات القبور والعناصر المتخلفة عن النوبيين ومقاييس الهياكل والعظام المختلفة تدل علي أن النموذج الفيزيقي للنوبي لا يختلف عن مثيله في مصر العليا في تلك الفترة.

وقد أكدت أيضاً أنه في تاريخهم التالي لا يوجد هناك اختلاف عن هذا النموذج ومميزاته وملامحه أو تلاشيه علي الرغم من دخول بعض العناصر الأفريقية في العصور التالية لفترة ما قبل الأسرات. فإن سكان مصر هم الطبقة الأولى التي كانت تعيش في الأصل في بلاد النوبة وتدل الشواهد التاريخية على أن دخول العناصر الأفريقية إلي بلاد النوبة ارتبط بمدى ضعف وقوة الدولة المصرية فضعف الدولة المصرية ساعد علي دخول العناصر الأفريقية من الجنوب وخاص جنوب الجندل الثاني حيث كان المصريون القدماء يصورون السكان المقيمين جنوبه في صورة زنوج يطلقون عليهم "نهس" وتعنى أهل الجنوب. وكان يحرم عليهم تعدي الجندل الثاني ودخول بلاد النوبة.

فبلاد النوبة من وجهة النظر السلالية تقع في الإقليم الجنوبي من منطقة أفريقيا القوقازية بالقرب من أفريقيا الزنجية وقد استطاعت مصر في ظل الأسرة الثامنة عشرة وإلي فترة الدولة الحديثة أن تعيد البلاد النوبة سماتها المصرية السلالية والثقافية وقد كان من نتيجة ذلك القضاء علي القبائل الأفريقية وهجرتها إلي جنوب بلاد النوبة إلي ما بعد الشلال الرابع واستقر المصريون مع القبائل الأخرى في المجتمعات المحلية وتم بذلك إعادة تمصير بلاد النوبة وانتشار الثقافة المصرية وكان من نتائج ذلك مصاهرة الجنود والتجار وأفراد الطبقة الحاكمة من المصريين للقبائل الموجودة مما أدي إلي ظهور سلالة مختلطة.

يتضح من هذا كله أن موقع المنطقة النوبية الأصلية ومجاورتها للقبائل الأفريقية في السودان قد أدي إلي أن تكون بلاد النوبة مسرحاً لامتزاج المميزات السلالية الأفريقية والقوقازية فقد عاش فيها المصريون وتبادلت معهم الشعوب الأفريقية الإقامة فيها في فترات متتالية وبالإضافة إلي ذلك بعض القبائل القوقازية التي هاجرت إليها من الصحراء الشرقية والصحراء الغربية. وكان من نتيجة ذلك ما يتميز به المجتمع النوبي من الأمتزاجات السلالية المعقدة والجماعات غير المتجانسة وعلي الرغم من هذا الامتزاج المعقد فالدراسات الأثرية والأنثروبولوجية قد أكدت أن أصول النوبيين في السلالات القوقازية عريقة قديمة. وأن الصفات الأفريقية التي قد نراها أحياناً بينهم في العنصر الطارئ الدخيل. فقد كانت مصر وبلاد النوبة موطن القوقازيين كما دلت ذلك مختلف الآثار التي عثر عليها في المنطقة من العصور القديمة وأنهم جزء من السلالة التي تعرف "السلالة السمراء". وعلي الرغم من تعدد السلالات والجماعات التي دخلت بلاد النوبة. بالاقليم النوبي كان لديه مقدرة كبيرة علي امتصاص العناصر الغريبة التي دخلته. وعلى تمثيلها كاملاً حتى تندمج اندماجاً تاماً في سائر سكانه وهذه الخاصية وإن كانت معروفة في مصر فإنها أكثر ظهوراً في بلاد النوبة. ومما يدل على هذا فإنه علي الرغم من هذه الغزوات والهجرات فقد ظل النوبيون في تاريخهم الطويل متمسكين بثقافتهم وبلغتهم الخاصة.

ثانياً : علاقات الكنوز والعرب والنوبيين :

أن المهاجرين إلى داخل بلاد النوبة الأصلية استقروا في القرى وتزوجوا من النساء النوبيات . فلم تكن هناك هجرة جماعية تشتمل علي كلا الجنسين إلا في القليل النادر الأمر الذي أدى إلي امتصاص المجتمع النوبي لتلك العناصر الغريبة دون التأثير في لغته وثقافته . فالزوجات نوبيات وينشأ الأولاد ويعيشون داخل المجتمع النوبي .

وقد أدى ذلك إلي تعدد القبائل وكثرتها واختلاف أصولها القبلية التي تعتبر أحد المميزات الرئيسية التي يتميز بها المجتمع النوبي .

وقد أدت تلك الغزوات والهجرات إلي غلبة القبائل التي تكونت في الأصل من أصول عربية ويسمون أنفسهم الأنصار في الكنوز . وغلبة قبائل الكشاف في النوبيين ويزعم العرب أنهم من عرب العليقات .

وتوجد قبائل أخرى إلي جانب هذه القبائل في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة الكنزية والعربية والنوبية . فهناك القبائل التي ترجع أصولها إلي سكان النوبة الأصليين قبل تكون تلك القبائل . ويطلق عليهم النوب . ولم يكن لهم في القرى الأصلية ملكيات زراعية لاستيلاء الحكام وأتباعهم في مختلف العصور علي أراضيهم وهجرة الكثير منهم إلي خارج بلاد النوبة . لذلك فحجم قبائل النوبيين الأصليين في القرى التي يوجدون فيها صغير بالنسبة لحجم القبائل الأخرى . وتتسمي بعض منها "سلو وأبو سكوني وجريساب" . ويحمل كثير من

قبائلهم نفس الأسماء في كثير من القرى سواء الكنزبة أو النوبية. وكانوا يقيمون في نجوع خاصة بهم.

وفي غالبية القرى الكنزبة والنوبية توجد قبائل تعرف "الفقيراب" لا يجمعها الانتماء القرابي إلى السلف الواحد. فتشابه اسم القبيلة لا يعني لانتماء القبلي الواحد. فهي قبائل ينتمي أفرادها إلى الأسلاف الذين كانوا من رجال الدين المنتشرين في القرى لتعليم الأهالي القراءة والكتابة وتعاليم الإسلام ونقيا بالشعائر الدينية. وقد اندمجوا مع الأهالي وصاهروهم. ويذكر الأهالي أن لفظ فقير تحريف للفظ فقيه. وكانوا هؤلاء الأسلاف وبعض من أبنائهم يعتمدون في معيشتهم على ما يقدمونه إليهم الأهالي من هدايا إلى جانب النصيب المعين من نتاج الأرض الزراعية المتعارف عليها الذي كان يقدمه الملاك الزراعيين والشركاء في الزراعة إلى رجل الدين المقيم في القرية مقابل هذا العمل الذي يؤديه.

وعني ذلك يتضح أنه هناك تشابه بين الكنوز والعرب والنوبيين من حيث القبائل التي تتألف كل جماعات منها رغم اختلاف أصول القبائل في كل جماعة. فهناك القبائل الكبيرة الحجم التي كانت تملك غالبية الأراضي الزراعية والقبائل الصغيرة الغربية والنوبيون الأصليون وجماعات الصعايدة، وثم تماثل آخر من حيث علاقة كل قبيلة بأخرى في جماعتها.

ففي المدينة توجد ثلاث جمعيات هي نادي الكنوز العام والنادي النوبي العام وجمعية عرب العليقات. ويقتصر عضوية كل منها على الكنوز والنوبيين

والعرب. وإن كانت عضوية النادي النوبي العام عامة يمكن لأي فرد من الكنوز والعرب اكتسابها.

وعلي الرغم من ذلك فالغالبية من الأعضاء من النوبيين إلي جانب سيطرة النوبيين علي مختلف نواحي النشاط بالنادي واقتصار عضوية مجلس الإدارة عليهم.

فكل جماعة من الجماعات الثلاث تؤكد تمايزها عن الجماعتين الأخرتين. وتعتقد أنها أعلى منزلة ومكانة منهما مرتكزة في ذلك إما إلي أساس قرابي يدعمه الأساس الديني (الكنوز والعرب) وإما علي أساس سياسي يدعمه العامل الاقتصادي (النوبيين).

يؤكد الكنوز أنهم من الأنصار على أساس انتمائهم إلي الأسلاف العرب الذين ناصروا الرسول علي السلام ونشروا الإسلام في الوجه القبلي وبلاد النوبة. فقد اتضح فيما سبق أن أصول غالبية القبائل الكنزية تنتمي إلي بطون قبائل ربعة وجهينة.

ثالثاً: الجماعات القرابية :

يستخدم النوبيون كل مصطلح من المصطلحات الثلاثة الأولاد والبيت والقبيلة في الإشارة إلي جماعة قرابية معينة بالذات دون غيرها، وإن كان هناك بعض الخلط الواضح في استخدامهم لها وخاصة عند الإشارة إلي البيت والقبيلة لتشابه التركيب اللغوي (اللغة العربية) للمصطلح المستخدم في الإشارة

إليهما. ويتكون من مقطعين الأول اسم مؤسس البيت أو القبيلة . والثاني أب
علياب مثلاً.

ويزداد الخلط في التعرف على هذه الجماعات القرابية عند استخدام
اللغتين الكنزية والنوبية. فلا يوجد في اللغتين لفظ قبيلة أو بيت وإنما هما
لفظان عربيان أدخلتا إلي اللغتين الكنزية والنوبية. فالمصطلح "أب" ويعني
الأولاد- عربي يقابله في اللغتين الكنزية والنوبية "أسى" وعندما يشير
النوبيون والكنوز إلى أي شكل من أشكال الجماعة القرابية الأولاد أو البيت
أو القبيلة يستخدمون اسم مؤسسها مضافاً إليه لفظ "أسى". مثال ذلك
داودن "أسى" (يوضع حرف ن بين المضاف والمضاف إليه) لذلك لا يمكن
التعرف على ما إذا كان المقصود أولاداً أو بيتاً أو قبيلة عند استخدام اللغة
الكنزية أو النوبية. وفي الغالب يستخدم النوبيون والكنوز اللغة العربية في
الإشارة إلى الأولاد.

ويشير ذلك إلى وجود تمييز لغوي واضح. وفي كثير من الأحيان يضيفون
لفظ "بيت" إلى الاسم المعروف عند الإشارة إلى الجماعة القرابية التي ينطبق
عليها هذا اللفظ تمييزاً بينها وبين القبيلة عندما يطلب منهم ذلك. وإذا كان
النوبيون يستخدمون لفظ "بيت" أو قبيلة في أحاديثهم اليومية. فالجماعات
القرابية تعرف باسم مؤسسها مضافاً إليه مقطع "اب" عندما يصل عمقها إلى
جيل معين. ويعني ذلك أن عمق الجماعة القرابية يتدخل في تغيير التركيب

اللغوي لتسميتها. فيصير مكوناً من اسم مؤسسها مضافاً إليه المقطع "اب" بدلاً من "أولاد" وإن كان التركيبان اللغويان لا يختلفان من حيث المعنى.

رابعاً : القبيلة :

في المجتمع النوبي توجد بعض القبائل التي تنتشر كل قبيلة منها وتتوزع في جماعات في عدة قرى تؤلف كل جماعة منها وحدة اجتماعية منفصلة ومستقلة كل الاستقلال عن الجماعات الأخرى، وتحمل اسم مؤسس القبيلة وإن كانت في الوقت ذاته تعرف في القرية باسم مؤسسها، ويشار إليها باسمه مع الإشارة إلى اسم القبيلة. وتعرف كل جماعة من هذه الجماعات في القرية التي يقيم أفرادها بالقبيلة. وتتمتع بنفس المنزلة والمكانة الاجتماعيتين اللتين تتمتع بهما كل جماعة (قبيلة) في كل قرية دون اعتبار لحجم الجماعة بالنسبة لغيرها من القبائل التي يتألف منها مجتمع القرية.

ففي المجتمع الكنزي، هناك قبيلة المهتاب بقرية دهميت وقرية قورته، وقبيلة العوناب فقي قورته وكوشتمنه والدكة والمعربة، ومجموعات القبائل التي يذكر أفرادها أنها تنتمي إلى أبناء نجم الدين الأنصاري الأربعة (شرف، وامبارك، وعون الله، وحسين) والتي تنتشر في غالبية القرى الكنزية.

وفي المجتمع العربي، هناك القبائل الصالحاب والعالياب (في القرى المالكي ووادي العرب والسبوع وشاترمه) والعلياب في المالكي والسنقاري.

وفي مجتمع النوبيين . توجد قبيلة أغا حسين وقبيلة الداوداب في أدندان وبلانه والديوان . وقبيلة الطويشباب في توشكي والجنينه . ويرجع انتشار القبيلة الواحدة في أكثر من قرية إلي تعدد زوجات مؤسسها وإقامة كل زوجة وأولادها عند أقاربها . أو لانتقال أحد الأجداد عند زواجه إلي القرية التي يقيم فيها أقارب زوجته والإقامة الدائمة معهم علي أساس ما يحققه الزواج له ولأولاده من حقوق في ملكية الأرض الزراعية لأقارب الزوجة .

القبيلة في القرية النوبية أكبر الجماعات القرابية التي تتألف منها وأكثرها أهمية . وتعتبر من الناحية النظرية جماعة أبويه يرد نسب أعضائها الذكور والإناث في خط الذكور إلي سلف واحد مشترك مؤسس القبيلة . في حين يؤكد تتبع الانحدار الجينالوجي الفعلي أن جميع أعضائها وبعض الجماعات التي تتألف منها سواء التي تعرف بالبيت أو الأولاد لا يجمعها الانتماء القبلي الواحد في خط الذكور سالف القبيلة . فالقبيلة تضم أيضاً جماعة أو أكثر يرد نسب أفرادها إلي سلف غريب عن المجتمع النوبي تزوج إحدى الإناث العاصبات لسلف القبيلة . ففقدان الرجل للانتماء القبلي يؤدي إلي احتواء قبيلة زوجته للجماعة التي تتكون نتيجة لمثل هذا الزواج . ويصبح انتماء أفرادها وعضويتهم في قبيلة الزوجة . ويعتبر هذا الاحتواء عاملاً للتمايز بين هذه الجماعة والجماعات القرابية الأخرى التي تتألف منها القبيلة ، ويرد نسب أفرادها إلي سلفها . ويتمثل هذا التمايز بشكل واضح في عدم مشاركة

أعضائها في الملكية الزراعية ملكية القبيلة حيث تقتصر تقسيمها وتوزيعها على الأقارب العاصبين وتبعاً للانقسام الداخلي للقبيلة . وفي ضعف عدد حالات الزواج بين أفراد الجماعة التي تكونت عن طريق هذا الزواج وبقي أفراد الجماعات التي تتألف منها القبيلة .

التكوين والخصائص السلالية للكنوز والنوبيين

يتميز الكنوز والنوبيون بالقامة المتوسطة . وهي أقصر من قامة المصريين إلى حد ما . وبالقوام النحيل والبشرة السمراء الداكنة والشعر الأسود المموج أو الأقرب إلى الاستقامة . والرأس المستطيل البارز من الخلف والوجه البيضاوي إلى حد ما وعلى الرغم من ملاحظة بعض الخصائص الزنجية لدى بعض الأفراد ووجود الشعر الكثيف المجمع الصوفي . فإن الملامح الجسمية للكنوز والنوبيين عامة غير زنجية . فالأنف مدبب ومعتدل وليس عريضاً فاطساً . والشفاة معتدلة وليس بهما أي سمات مماثلة لدى الزوج .

وتكشف المقارنة بين مقاييس الرأس لدى الكنوز والنوبيين من ناحية وبمثيلتها لدى المصريين من ناحية أخرى عن عدم اختلاف كبير بينها فضلاً عن التشابه الكبير بين مقاييس الرأس لدى الكنوز ولدى النوبيين كما يتضح من الجدول ومع ذلك توجد اختلافات بين الكنوز والنوبيين والمصريين في خصائص أخرى سلالية واضحة تماماً . فالكنوز والنوبيون أقصر قامة وأكثر سواداً في لون البشرة عن المصريين . وبوجود حالات من الشعر المجمع أكثر مما هو موجود بين المصريين أما عرب العليقات فقد احتفظوا بخصائصهم الجسمية إلى حد كبير لانعزالهم داخل إقليمهم في النوبة الأصلية . ويختلفون عن الكنوز والنوبيين في لون البشرة السمراء والشعر الذي من النادر أن توجد فيه السمات الزنجية .

التراث النوبى^(٨)

التواصل القديم والجديد من أهم السمات التى تميز المجتمعات العريقة التى لها أصالة ضاربة الجذور فى أعماق التاريخ .. والنوبة تتمتع بحضارة عمرها أكثر من سبعة آلاف سنة عاش خلالها الإنسان النوبى فى تواصل مستمر كل جيل من الأجيال يأخذ من السابق له .. ويعطى لمن يأتى بعده تلك الموروثات الثقافية والفنية والأخلاقية والمعرفية والعادات والتقاليد وأحياناً تتطور بعض المسائل حسب المستجدات وقد تقلص بعض المعطيات حسب حركة المجتمع وحاجته .. إلا أن الثابت من ذلك كان أكثر من المتغير وبقى الحال كذلك طوال السنين المتعاقبة.

وكانت منطقة النوبة .. وهى تمتد ما بين الشلال الأول والشلال الخامس لا تشكل مطعماً استعمارياً لأحد بسبب بعدها عن بؤر الصراع الإنسانى الذى كان يعانى منه الشمال والجنوب .. فعاشت مستقرة إلى حد بعيد ولا تتعرض لأية هزات اجتماعية تهدد الكيان أو البنیان النوبى .. فظلت كل الموروثات أصيلة ونقية .. مما كان له تأثيره المباشر فى سلوكيات المجتمع وأخلاقياته وعاداته وتقاليده.

ومع بدايات القرن العشرين .. انجرفت النوبة إلى منحدر تاريخى عنيف وقاسى بدت وكأنها ستطيح بتلك الآلاف السبعة من التاريخ الحضارى للنوبة .. حيث بدأت فكرة إنشاء الخزانات والسدود تأخذ شكل الواقع

وتدخل فى مراحل التنفيذ .. ولأول مرة تقريباً يضطر الإنسان النوبى إلى تغيير أشكال حياته وبيئته فى هجرات متكررة شمالاً وجنوباً وكل هجرة لها أثرها على المجتمع بشكل أو بآخر

وكانت الهجرة أو (التهجير) الأخير سنة ١٩٦٤ بسبب بناء السد العالى هى أقسى وأصعب تلك التحركات والتنقلات المكانية التى أصابت النوبة .. وشعر الناس بنوع من فقدان الهوية بعد إغراق النوبة فى أعماق بحيرة صناعية.

وتبارى أبناء النوبة فى محاولات مستمرة وجهود دؤوبة فى إنقاذ المجتمع من التلاشى والذوبان .. فكانت فكرة إنشاء الجمعيات والروابط والأندية والاتحادات فى بلاد المهجر للحفاظ على ما قد تبقى من التراث الإنسانى والأخلاقى.

وفى هذا السياق .. كانت فكرة إنشاء جمعيات التراث النوبى بأكثر من مسمى .. سواء (للمحافظة على التراث) أو (إحياء التراث) .. خصوصاً أن الأجيال التى عايشت النوبة الأصلية بدأت فى الإنقراض .. والخوف كل الخوف أن لا ترتبط الأجيال الأخيرة بماضيها العريق بعد فقد الأرض بصفقتها أهم ركائز المجتمع

وفى القاهرة .. كانت شعلة الأنشطة النوبية متعددة من بدايات القرن العشرين .. إلى أن أخذت قمتها بعد ١٩٦٤ بعد انتقال النوبيين بعيداً عن نهر النيل مما أثر عليهم تأثيراً شديداً .. ومجيئهم إلى مناطق جديدة عليهم بين

مجتمعات قائمة فعلا .. وحسب سنة الحياة بدأ الأخذ والعطاء مع هذه المجتمعات .. وزادت علاقة المجتمع النوبى بعواصم البلاد تأخذ صورة جديدة تهدد اللغة والتراث بانتقال كثير من الأسر النوبية بكامل أفرادها إلى القاهرة.

وولدت فكرة إنشاء جمعية للتراث النوبى بالقاهرة .. نتيجة للتخوف من اندثار اللغة .. خصوصا مع اختفاء حروف الكتابة منذ فترة بعيدة .. وتم إنشاء وتأسيس (جمعية التراث النوبى بالقاهرة سنة ١٩٨٠ وتسجيلها فى الشؤون الاجتماعية تحت رقم ٨٠/٢٨٠٠ من خلال حوالى ٣٠ من المهتمين النوبيين وكان على رأسهم المرحوم محمود الشوربجى الذى رأس الجمعية لفترة .. ثم تبعه بعد وفاته المرحوم / محى الدين شريف فالمرحوم / د. مختار خليل).

وتم تحديد أهداف الجمعية .. بأنها تقوم بتقديم الخدمات الثقافية والعلمية مع إجراء البحوث والدراسات وتهتم بتجميع التراث .. وفى سبيل ذلك فهى معنية بإجراء بحوث ميدانية فى النوبة .. مع محاولة تقنين العادات والفنون والأغاني وتطويرها ودراسة أثر الفن الغنائى فى استمرار اللغة وبقائها .. ودراسة الآثار والحرف البيئية والمعمار .. ودراسة تفاصيل اللغة النوبية وعلاقتها بالتاريخ القديم .. وتجميع وإنشاء مركز للمعلومات كمرجع لكل من يحتاج إليها .. والحفاظ على الجزء التاريخى والمتبقى منه.

الفنون الشعبية في النوبة

من المستحيل أن نكتب عن جميع جوانب الحياة في بلاد النوبة دون أن نتعرض لفنونها الشعبية ولاسيما فنون العمارة التي برع فيها أهل النوبة . لقد كتبت جملة مقالات وأبحاث عن النوبة في بداية القرن المنصرم بقلم طائفة من الأجانب . وقد تناولت بحوثهم وكتاباتهم دراسة شعوب النوبة كلون الدراسات الخاصة بعلم الأجناس أو علم الاجتماع . ولم تتخلص في مضمونها من فكرة تفوق الرجل الأبيض المتحضر علي الرجل الزنجي الذي ظل يقاس أحوال القرى والتأخر فترة طويلة من الزمن ويأتي في كثير منها ذكر لفنون العمارة النوبية .

والفنون الشعبية بمنطقة السد العالي هي أية من الفن الشعبي في أكمل صورة فهي لون من ألوان الفنون كانت منتشرة في القرى النوبة المحاذية للنيل ما بين شمال السودان حتى شمال أسوان .

ومن آثارنا الشعبية بالنوبة تأسيس الحاجة إلي مصنفين لها ، وهذه البعثات الرسمية وغير الرسمية من الفنيين والخبراء الذين سجلوا قرى النوبة وصوروا أوجهها المختلفة في ما لا حصر له من التسجيلات والصور . لا يفيد عملها في توضيح بعض المشكلات البسيطة مثل الفرق بين العارة الكنزية والنوبية وأساليب الزخارف والرسوم الحائطية في كل من المنطقتين المميزتين لأهالي وادي الكندر والنوبيين .

والمباني السكنية في منطقة النوبة تبدو عمائرهما متطورة في أساليبها علي الرغم من أن غالبيتها تتسم بطابع البساطة . ومع أن انتشار واستخدام الضباب في الأبنية النوبية الواقعة شمال الجندل الأول ظل قائما فترة من الزمن الآن اختفي اليوم وأصل هذه المباني ما أقيم منها بين أسوان ووادي السبوع . إذ تتميز هذه البيوت الشعبية بحلياتها لاسيما الأطباق التي ترشق في واجهاتها علي شكل زخرف بديع هذا بالإضافة إلي الرسوم الحائطية التي تزين الجدران الخارجية للمباني ، وأحيانا أفنيتها الداخلية ، ويغلب علي هذه الزخارف الطابع الهندسي الذي يتفق وهندسة مداخل البيوت وبواباتها . حيث تقتبس هذه الزخارف من أشكال الإغلام وأنواع من الطير والحيوان وصفوف الزهور والنباتات . كما يغلب علي هذه الحليات الزخرفية اللونان الأبيض والأسود ، وقد تتخللها أحيانا ألوان براقه زاهية ، ومن دوافع الإبداع في تنسيق هذه الوحدات الزخرفية علي بيوتات النوبة الرغبة في تنافس القرى بعضها وبعض في التميز بأمل مظهر لساكنها ، ما من شك في أن من بينها ما يبلغ درجة فائقة من التكامل والأحكام .

وقد لفتت بهجة أساليب هذا الفن الشعبي في العمارة أنظار الرحالة القدامى لاسيما ديتون الذي وصف عمائر القرية ابان حملة نابليون في مصر سنة ١٧٩٨ فيقول " أن بيوت النوبة التي تقع جنوب جزيرة فيله تمتاز بروعة مظهرها وتناسق عمارتها . رغم أقامتها من اللبن الممزوج بجريد النخيل

وجذوعه التي كانت تستخدم لتنسيق البيوت وإقامة عوارض من الباكيات والبوابات .

وهكذا أصبحت القرى النوبة شديدة القرابة من العمارة الفرعونية وتتجلى الفنون الشعبية في النوبة فيما يلي :

- أساليب العمارة
- الرسوم الحائطية
- النواحي الرمزية
- التشابه بالفن الفرعوني
- الحرف والصناعات الشعبية
- صناعة السلال والأطباق والخصوص
- أشكال صوامع الغلال
- المـزاول
- أشكال الأحجبة
- صناعة الفخار
- الرقص الشعبي
- الأزياء
- عادات الزواج
- ندب الموتى
- الطواقي

وكلما زادت دراستنا للفنون الأوربية الحديثة وسائر الفنون البدائية. كشفنا أن زخارف النوبة وأشكال عمائرها ومختلف أنواع فنونها تعتبر حاليا من أهم الفنون التي تعكس طابعنا القومي وتجمع بين مراحل تاريخنا. ومن المحتمل جدا أن تصبح فنون النوبة مستقبلا من بين الأسس التي تنبع منها مدارس فنية مصرية الطابع عربية النهج قد ترقى في أساليبها إلى المراتب العالمية الحديثة في مجال الفن.

الفن في النوبة^(٩)

النوبيون في أوطانهم شعب نهري يلتزم بوادي النيل التزاما شديدا وهذا ينعكس بطبيعة الحال علي شخصية النوبي وتظهر آثاره واضحة علي سمات وخصائص الأغنية الشعبية النوبية.

النوبة من أغني المناطق بالفنون الشعبية وبثرائها الفني الكبير. وترتبط الفنون التشكيلية الشعبية سواء من الناحية المعمارية أو الزخرفية ارتباطا وثيقا بمختلف جوانب الحياة في النوبة وذلك من خلال تقاليد النوبي وعاداته وأفكاره وبشكل ما يصوغ إحساسه بالبيئة المحيطة به والتي تفرز إبداعا خاصا له شخصيته المستقلة والفريدة. والنوبي فنان بطبعه شغوف بالزخرفة والنقش، شديد الميل لسماع الموسيقى والتأثر بها. إيقاعي الإحساس يرقص علي إيقاع الطبيعة النوبية، يعشق النيل ويغني له.

وأهل النوبة معتزون بأصالتهم حريصون علي عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة يتم الزواج فيما بينهم حرصا منهم علي نقاء أنسابهم وعشائريهم، ولذلك بقيت لغتهم القديمة التي يتخاطبون بها فيما بينهم علي الرغم من عدم تدوينها.

خصائص وملامح الأغنية الشعبية النوبية

تتسم الأغنية الشعبية النوبية بعدة خصائص أبرزها أنها أغنية جماعية يشارك فيها الجميع دون تمييز. علي أن قدر هذه المشاركة يتفاوت من أغنية لأخرى ففي بعضها يكون دور المجموعة مجرد ترديد مقطع أو جملة ولكن في أخرى يكون هذا الدور تأدية جزء أساسي من الأغنية. وإلي جانب ذلك فتمتيز الأغنية النوبية بكونها أغنية وظيفية ترتبط بمظاهر الحياة اليومية والمناسبات التي تتسم بالطابع الاحتفالي. ومن أهم المناسبات التي تتبلور فيها الأغاني الشعبية :

- ١- مناسبة الميلاد والسبوع : تؤدي بعد ميلاد الطفل مع الطقوس التي تحدث في هذا المناسبة.
 - ٢- أغاني الختان وذلك بعد إتمام عملية الختان للذكور فيقام حفل بهذه المناسبة ويبدأ الغناء.
 - ٣- المناسبات الدينية الإسلامية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء والإسراء والمعراج والنصف من شعبان والمولد النبوي الشريف تلك التي تكثر فيها إيقاعات الذكر وإنشاد المدائح النبوية.
- وهناك طقوسا تمارس عند الوفاة فيبدأ ذلك بصراخ النساء كإعلان عن وقوع ذلك الحدث وبعد الدفن تتوجه النساء إلي منزل المتوفي ويبدأ البكاء

والنحيب بصورة هادئة ثم يأخذ في الارتفاع تدريجيا إلى أن يتحول إلى الصراخ ولطم الخدود والجسم ثم النزول إلى القدمين مكونا شكلا إيقاعيا حركيا مصحوبا بالغناء.

وفي غير ذلك هناك الأغاني المرتبطة بالعمل التي تحت العاملين علي بذل الجهد والتغلب علي التعب والإرهاق وذلك بحركة الجسم مع الأداء الصوتي وهي تنقسم إلي نوعين :

- أغاني ذات طابع إيقاعي منتظم يسير بوحدة إيقاعية محددة غالبا ما تكون محببة في أدائها.

- وأغاني عمل ذات طابع إيقاعي آخر وتسير بوحدة متنوعة من الإيقاع تتصاعد وتختلف وفق أدائها الغنائي والإيقاعي.

تتعدد الأغاني التي تتم في مناسبة الزواج بتعدد المراحل التي يمضي بها هذا الزواج الى أن يتم.

فهناك أغان تغني في المناسبات المختلفة :

١- الشبكة.

٢- ليلة الحناء.

٣- عند كتابة عقد ا لزواج.

٤- ليلة الرفاف.

٥- الصباحية.

وإلى جانب الأغاني فإن هناك طقوسا متعارف عليها للزواج ، ففي صباح ليلة الحناء يتوجه العريس ممتطيا جملا مزينا ، وحاملا بيده سيفا وكرباجا ، ورباطا بذراعه الأيسر مديه ومصوبا بأصدقائه لدعوة أهل القرية لحضور عرسه. وبعد فراغه من ذلك وعودته إلى منزله يتوسط فناء هذا المجلس ويجلس علي نسيج من الخوص وعند ذلك يقوم حلاق القرية بحلاقة شعره ويوضع أمامه ثلاثة أطباق بأحدهما حناء وبالأخر بلح منقوع بالماء وبجانبه كاتبا معه دفترًا يقيد به مبالغ النقاط. ثم يتوجه الجميع بعد ذلك لمنزل العروس ولكن إلى ما قبله قليلا حتى يخرج أهلها لاستقباله ثم تنتهي هذه الطقوس بإتمام العقد علي يد مأذون القرية.

ولكن ليس ذلك هو كل ما يتصل بهذه المناسبة إذا يحتفي بالمدعوين بتقديم البلح والعشاء في أطباق من الخوص وذلك وسط الزغاريد والأغاني. أما بالنسبة للعروس فإنها تخرج في الليل لقضائه مع أهلها بينما يقضيه العريس مع أصدقائه.

وفي صباح اليوم التالي يخصص للعريس صبي لا يتجاوز الثانية عشر من عمره ويدعي (دشو) ليقوم بخدمته وحمل كرباجه ، ويتوجه العريس مع أصدقائه لشاطئ النيل للتبرك ويعود بنبات أخضر.

وعلي أية حال فإن العروسين لا ينتقلا للإقامة بمنزلهما إلا بعد مضي أربعون يوما.

ولكن هذه المظاهر تختلف من منطقة لأخرى في بعض التفاصيل. وعلي أية حال فإن ما يقال في شأن المناسبات السالفة الذكر هو ما ظهر فيها من ملامح تميزت بها الأغنية الشعبية النوبية والتي تأثرت تأثرا كبيرا بالطبيعة والمناخ والعادات والتقاليد حيث إنها تستمد عاداتها التعبيرية من البيئة مثل تشبيه الحبيبة بثمره الليمون كما في أغنية (دسي لمونا).

مفهوم الإيقاع في الغناء النوبى

لقد أعطت الطبيعة الأغنية النوبية سمات وخصائص متفردة اختلفت بها كلية عن الأغاني الشعبية المصرية الأخرى فللطابع الإيقاعي في النوبة شخصيته ومكوناته الإيقاعية المركبة المستقلة وهو ما قد يظهر أيضا في الغناء واللحن المصاحب.

وقد لا يبدو ذلك غريبا إذا علمنا أن مفهوم الإيقاع عند النوبي يعد بمثابة الحياة فهو يتحدث كما لو كان يرقص ويرقص كأنه يتحدث. وفي معنى آخر هو اللغة الداخلية التي تحركه.

ولعل ما يصور ذلك بشكل عملي رقصه (أرجيدا) التراثية والتي تعد من أهم الرقصات الإيقاعية الجماعية. ففي هذه الرقصة ينتظم مجموعة من محبي الغناء والرقص في حلقة مع الإيقاعات وضربات الكفوف فتبدأ الدفوف إيقاعا منغما ويعلو صوت المغني وتتجاوب أصوات النساء بالرد وتعلو ضربات

الكفوف من الشباب والرجال مما يؤدي في النهاية إلى انصهار وتوحد ببعثان نغمة إيقاعية خاصة جدا داخل حلقة الرقص التي تتحول مع هذه النغمة لتجسد نهر النيل فتسبح الفتيات الجميلات وكأنهن حوريات يسبحن في نهر النيل المقدس.

ومما يلاحظ هنا أن الإيقاعات المستخدمة هي إيقاعات مركبة بانتظام وبدقة متناهية وهو ما يحدثه الدق علي آلات الطار (الدفوف) الإيقاعية بأشكالها وأحجامها المختلفة . هذا إلي جانب عنصر التصفيق الذي يظهر بوضوح في إيقاع الكفوف (أغنية يا حلاوة يا شربات) والتي تعرف عندهم باسم نجرشاد بمعنى الزخرفة والحلي بحيث يستطيع العازف الماهر أن يقدم زخارف وحليات إيقاعية بآلة الطار وهي إيقاعات صعبة التركيب وتعتمد علي عنصر السنكوب " تأخير النبر " وهو ما يتميز به الإيقاع النوبي خاصة إيقاع الكفوف.

الإيقاعات والضروب النوبية

ومن أهم الإيقاعات التي تستخدم في النوبة إيقاع الكومباكاش Koumbakash وقد أطلق عليه هذا الاسم لأن الرنين الصادر من هذا الإيقاع يمنحنا الشعور بنفس الإيقاع عند السمع.

وهذا الإيقاع الذي يأخذ طابع الإيقاع الهادئ والبطنى يستخدم بعد حفلات الزفاف حيث يجلس الراقصون طلبا للراحة ويبدأ السمر والمجالسة الغنائية وتعزف آلات الطار الكبيرة الإيقاع الرئيسي (الكومبا كاش) أما النقرشاء أو " النجرشاد " فتعزفها آلات الطار الأخرى.

ه إيقاع الكيتشاد Kiechade

وهو الإيقاع الرئيسي في حفلات العرس والزفاف لكونه إيقاع حيوي وسريع يعتمد علي الحلويات والزخارف الإيقاعية.

ه إيقاع أولن ارجيدا Ollin Aragid

وهي رقصة الكف وتعتبر من أهم الرقصات لاحتوائها علي ثراء إيقاعي مركب ومتعدد Poly Rhythm حيث يكون الإيقاع الأساسي في الباصي لآله الطار ثابتا لا يتغير. أما صوت الطار الثاني فهو نجرشاد أي زخارف وتنوعات إيقاعية غاية في الصعوبة والتعقيد وتدل علي مهارة العازف غير العادية.

أما الصوت الثالث وهو الكف والتصفيق بإيقاعات أخرى فإنها تختلف عن الصوت الأول والثاني لتصبح في النهاية صورة إيقاعية متكاملة ونادرة تعتبر من تراث النوبة العظيم بثرائه الفني الأصيل.

أهم الآلات الموسيقية الشعبية

١. الآلات الإيقاعية:

من أشهر وأيسر الوسائل في إحداث الإيقاع هو ما يعرفه الإنسان ويتبعه حينما يستهويه نغم ما أو يندمج مع مجموعة تغني أو ترقص وهو التصفيق باليدين أو الدق علي الأرض بالقدمين أو ذلك الصوت الصادر من حناجر الصوفيين أثناء تأديتهم للذكر.

فالتصفيق وإن كان يمثل نوعا من المشاركة الوجدانية التلقائية للمجموعة إلا أنه يكون شكلا من الأشكال الفنية المعروفة كما يكون مع الدق علي الأرض بالقدمين تركيبات مختلفة من الإيقاعات المصاحبة للرقص والغناء.

ويضاف إلي ذلك الأصوات الصادرة من الحناجر والتي تعد جميعها وسيلة لتأكيد الوحدة الإيقاعية وإبرازها. هناك الإيقاعات الصادرة من آلات مختلفة شاركت في تكوين أشكال فنية وتعبيرية ومن أهمها :

١) المبرانوفون (آلات الإيقاع الجلدية) Membranofon

ومنها "الطار" بأشكاله وأنواعه المختلفة ويعد من أكثر سالات الإيقاعية انتشارا في بلاد النوبة. وهو عبارة عن إطار من الخشب يشد عليه جلد ماعز بأحكام شديد ويمسك باليد اليسرى مرفوعا أمام الوجه ويدق عليه باليد اليمنى بينما تزخرف (الحليات الإيقاعية) اليد اليسرى. وإن كانت مهارة العازف ومقدرته تمكنه من استخدام اليدين في عمل الزخارف والحليات بتركيبه

إيقاعية. أما عن حجم الإطار الخشب فيكون مختلفا فمنه الكبير والمتوسط والصغير.

٢) الآلات الوترية الكورد فون (الطنبور) Chordofon

يعد من أهم وأقدم الآلات الوترية التي يستخدمها الأهالي ويطلق عليه أيضا قسر (بكسر القاف والسين) وهي آلة وترية ذات خمس أوتار تعزف بالنبر وتضبط علي السلم الخماسي.

وآله الطنبور عبارة عن مثلث مصنوع من قوائم خشبية ثلاث وطبق من الألومنيوم والذي يعتبر الصندوق المصوت للآلة وهو مغطي برقعة من جلد الماعز تقابله أحد القوائم الثلاثة تسمى (بالحمالة) تثبت فيها أوتار الطنبور من خلال حلقة من القماش ملفوفة حول الحمالة تنزل منها الأوتار لتثبت في الطبقة من أسفل.

والأوتار الخمس تمر متباعدة بنسب متساوية فوق قطعة من الجريد تسمى الكرسي حيث تثبت فوق سطح الطبقة.

وآله الطنبور ذات صوت مميز. يحملها العازف علي صدره في وضع رأسي مائل بعض الشيء أما طريقة إخراج الصوت فيتم بنبر هذه الآلة بالريشة أو بأصابع اليد ولكن شدة الصوت الناتج يختلف من طنبوره إلي أخرى تبعا لاختلاف حجم الصندوق المصوت (الطبقة).

الرقص النوبى (أراجيد)^(١٠) المستوحى من نهر النيل

عندما تعيش مجموعة بشرية في مكان واحد لفترة أجيال متعاقبة. فإن عاداتها وتقاليدها تترابط متداخلة مع مكونات تلك البيئة المكانية. وتتحد معها في نسيج واحد. حتى أن خيوط ذلك النسيج تصير كخيوط الطول والعرض في تداخل متين. وإذا ما سحبت منها أو انتزعت خيوط الطول أو العرض مرة واحدة، فإن النسيج يصبح مهلهلا.

وتكون هذه هي الحالة التي حدثت لأهالي منطقة النوبة القديمة عندما تم تهجيرهم من مكانهم الذي عاشوا فيه على مدى أجيال وأجيال حتى عام ١٩٦٤ بسبب إقامة سد أسوان العالى وأعيد تسكينهم في المواطن الجديد شرقي مدينة كوم أمبو وذلك مكان مختلف البيئة عن موطنهم السابق.

أما المكان القديم (النوبة القديمة) قبل التهجير. فقد كان ضفتي النيل الشرقية الغربية بطول ثلاثمائة كيلو متر جنوبا من أسوان (مكان السد العالى) حتى حدود السودان بعدد خمس وأربعون قرية.

وفي ذلك المكان قبل التهجير. عاش النوبيون على مدى آلاف السنين يتوارثون عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم في إطار نسيج البيئة المكانية بنيلها الخالد المدرار. حتى أن تلك العادات والتقاليد والمعتقدات كانت مرتبطة بشكل يكاد يكون عضويا مع النيل الذي قدسه الأجداد عهدوا في الماضي البعيد.

أما المكان الجديد (النوبة الجديدة) فهو بعيد تماما عن البيئة النيلية
بمجرى النيل الساحر وكثبان النخيل الحانية علي ضفتيه بامتداد انتشار
القرى في القديم فوق الضفتين.

ومع التقاليد والعادات المكانية . فقد كانت كذلك ممارسات أشكال
الفنون التلقائية والإبداعات الإنسانية في ذات نسيج البيئة المكانية ومنها فن
(الرقص).

ومن الرقصات الشعبية الجماعية تلك الرقصة التي تؤدي عند أهل النوبة
ويسمونها (أراغيد) بمعنى حلقة الرقص أو الرقص بمعناه المطلق.

وهي عبارة عن حلقة . يكونها مجموعة من عشاق الغناء والرقص مع
الإيقاع وضربات الكفوف . فتبدأ الدفوف إيقاعا منغما . ويعلو صوت المغني .
وتجاوب أصوات النساء بالرد . وضربات الكفوف من الشباب والرجال
المنظرين . ليختلط هذا مع ذلك . مكونا نغما يملأ الحلقة بالموسيقى .. وتكون في
النهاية لجة من الأنغام المنسجمة داخل حلقة من الراقصين .. فتسبح فيها
الفتيات الجميلات الحالمات . وكأنهن حوريات تسبح في ماء نهر النيل أو
مأخوذات مع تياره تيار النغم السحري

(والأراغيد) محاولة أو استلهاما من تلك اللجة السرمدية من الماء
الطهور . الراقصة موجاته في نغم ورتابه . ويعبرون عنه في حلقة الرقص
(الأراغيد) بلجة النغمة لتسبح فيها الفتيات راقصات في محاكاة للسباحة .

وذلك بدفع اليدين أمام وخلفا وتحريك الجسد والقدمين في تناغم مع الإيقاع
وكأنهن سابحات فاتنات في لجة النغم

إن حلقة الرقص هناك يتجمع فيها . أو حولها كل أهل العروسين
وأقربائهم وجيرانهم وأغلب أهل القرية من الجنسين . ويكونون دائرة جانبا
منها للنساء والفتيات . وباقي الدائرة من الرجال والشباب المتحفز للرقص
وضربات الكفوف . وفي جانب النسوة وأمامهم يجلس (العريس) سلطان الزفة
علي كرسي ولا جالس غيره .. فهذه ليلته . (المعتاد ان تعقد حلقة الرقص هذه
ليلة الزفاف).

ويبدأ الإيقاع الخاص بالأراغيد بواسطة ثلاثة يوقعون علي ثلاثة دفوف
(تار) .. وهو إيقاع معروف باسم (نفرشاد) أو (المنقرش) بمعني المزخرف .. وهو
ذات زمن مركب . حتى أنه يستغرق زمن (مازورة) موسيقية كاملة ويجيد
توقيعه علي التار أبناء النوبة بحس تلقائي . و (النفرشاد) هذا ، لا بد وأن
يعزف علي ثلاثة وفوق (تار) .. دف للإيقاع الأساسي المؤدي للجملة الإيقاعية
كاملة ومستمرة . والآخران للتقطيع أو التزمين . ليكون في مجموعة الإيقاع
المسمي عندهم (نفرشاد) أو الإيقاع المزخرف .

وبشئ من التأمل في ذلك الإيقاع . نجد أنه يتنوع حدة وغلظة في
استمرارية من علو وانخفاض .. موحيا في إحساس السامع المتتبع حركة سريان
النيل . وتموجاته . وضربات علي صفحة النهر الساري . وحدة صوت ضربات

الموجات عند ارتطاماتها بحواف الشاطئين. بل وعمق وضحالة المجري في
أحايين من الإيقاع.. وهكذا..

هذا ويشارك الشبان والرجال الأقوياء بالتفافز وضربات الأكف حسب
نغمة الإيقاع وفي ضربات مكملة له أو منغمة له.. وبين كل دفقة من ضربات
الأكف يزومون في جماعية منظرية ينغمه في كلمات تقول.

(هلا.. هلا.. ايوه.. هلا هلاه هلا هي).

وذلك في جملة موسيقية تضاهي نفس (مازروة) زمن إيقاع (النفرشاد).
ومع الميل للأمام.. والقفز إلي داخل الحلقة (لجة النغمة) والعودة بقفز متناغم
مع الإيقاع إلي حافة الحلقة.

وفي تلك الأثناء يكون المغني قد ارتفعت عقيرته بالغناء.. مع مشاركة
النسوة والفتيات بالرد (كورس). وزغاريد الاستحسان والأنطراب منهن في
فترات.. تزداد معها حرارة الرقصة (أراغيد).

ومن كل ذلك تتكون لغة النغمة التي أسلفنا ذكرها لتسبح فيها الفتيات
الجميلات في كامل زينتهن. تمرجن أيديهن كحركة السباحة مع ارتعاشه
الجسد وتسبيل العيون كالحالمات أو المأخوذات لعالم السحر والنغم.. وذلك في
رنابة منغمة تحاكي حركة النيل المستوحاة عنه رقصة (أراغيد) في النوبة.

وحلقة الرقص هذه تكون زاخرة بشتى مظاهر الإبداع من الأزياء الشعبية
ذات الألوان الزاهية والمتنوعة. والتي ترتديها نساء النوبة تحت الرداء
النهفاه بما يسمونها هناك (جرجان).. والذي يحاك من قماش اسود شفاف

بكرانيش في الأكمام والوسط والذيل.. وفي مناسبة الأفراح فأنهن يتزين بأنواع متنوعة من الحلبي المصنعة من معدن الذهب والفضة.. والعاج والخزف وشرائح الجلود الملونة.. وبيالغن في ارتداء كميات منها عند ممارسة فن الرقص في حلقاته الجماعية.. مما يحدث (شخشخة) متناغمة مع الإيقاع عند الاهتزاز بالرقص.

والجدير بالذكر.. أن رقصة (أراغيد) هذه قد بدأت في الانقراض. أو الاختفاء بتفاصيلها الموضحة.. وذلك بعد أن تم تهجير واستيطان أهالي النوبة في موطنهم الحالي شرق كوم أمبو.. وهو الأمر الذي يوحي بأن سبب ذلك هو بعدهم في المكان الجديد عن النيل وهو المستوحى منه أصلا تلك الرقصة والذي كان دون شك مؤثرا في حياتهم وممارستهم اليومية من معتقدات وابداعات وتقاليد.

إن بصمات المكان والبيئة الجديدة صارت تشكل وتؤثر في تقاليدهم وعاداتهم وفنونهم وضمنها في الرقص الجماعي (أراغيد). وذلك أمر طبيعي عندما يكون المكان غير المكان.. والبيئة غير البيئة..

والدارسون والمهتمون بتراث الشعوب والجماعات الإنسانية، يعرفون مدى تأثير المكان والبيئة في تلك المجالات.. ومن ذلك ما هو معروف من أن رقصة (الحجالة) مستمدة.. أو مستوحاة.. من طبيعة الصحراء عند البدر والرمال الناعمة.. وانغراس الأقدام بها.. وما إلي ذلك.. وكذلك رقصة (التحطيب) المعروفة وأدوات الزراعة الأخرى. عند أهل الصعيد وغيرهم.

ومن ذلك فإن الإعداد.. وما يسبق رقصة النوبة (أراغيد) جدير بالدراسة المستفيضة.. لأنها من المناسبات التي يمارس فيها الإنسان كل إبداعاته الفنية.

الزواج في النوبة^(١)

وللزواج في النوبة نظمه وعاداته وتقاليده. أغانيه ورقصاته وأزياءه. طقوسه ومعتقداته. فالزواج من أهم المناسبات التي يمارس المجتمع فيها كثيرا من عاداته وتقاليده التي تمتزج بكل أوجه النشاط الإبداعي والتلقائي المتوارث - وفيه يختلط اللعب بأحكام القيم. ويمتزج المعتقد بالسحر. ويعبر الإنسان عن أحاسيسه وأخيلته بكل ضروب التعبير الفني من غناء. ورقص. وإيقاع وحركة. ورسم ونقش وأزياء لتبرز من خلالها خبرة الحياة داخل جلسات السر أو الحكايات والأساطير وما تنفعل به نفسه من إحساس جماعي مشترك يسيطر فيه الوجدان الجماعي علي الوجدان الذاتي الفردي. ويعيش الإنسان أيام الفرح في فرحة واعية تزخر بقيمة وعاداته وتقاليده.

والزواج في أي مجتمع تحكمه عادات وتقاليده. تمارس فيه مآثرات تناقلها الشعب جيلا بعد جيل. كل جيل يضيف شيئا جديدا أو يحذف أشياء لتتفق مع حياته التي يعيشها.

والزواج في النوبة شأنه في كل المجتمعات له طقوسه ومآثراته ومنذ اللحظة التي يختار فيها العريس عروسه يبدأ الإنسان في ممارسة مآثراته في كل مرحلة من مراحل تحقيق هذا الزواج الذي يبدأ بالخطوبة.

• الخطوبة :

يحدد المجتمع النوبي قواعد وأنماطا للسلوك تحتم علي الفتى الذي يرغب في الزواج أن يسلك طريقا معيناً. أن عليه أولاً أن يخبر والده، ولكن التقاليد العائلية المتفق عليها تمنع الفتى من أن يصارح أباه برغبته في الزواج من فتاة معينة ولذلك فهو يتحايل علي ذلك بالتلميح أحيانا ثم بأخبار والدته لتتولى هي مهمة إبلاغ الأب برغبة الابن. فإذا رفض الأب هذا الاختيار فإنه من الواجب عليه أن يصدع لرغبة أبيه إذ ربما كان الأب قد اختار له ابنه أحد أصدقائه. وإذا وافق الأب علي اختيار الابن فإنه يبدأ مناقشته في قدرته علي الوفاء بتكاليف الزواج فإذا اطمأن إلي ذلك فإنه يذهب إلي مشاورة بعض أصدقائه من المسنين (العقال) أي العقلاء الذين يتمتعون بصداقة أهل العروس أيضاً ثم يذهبون جميعاً إلي منزل العروس لمقابلة والدها أو من يحل محله من أهلها لمفاتحته في رغبة فلان في خطبة ابنتهم لابنه فإذا ما وافق أهل العروس حضر الأب ومعه أصدقاؤه لتحديد المهر وموعد عقد القران والزفاف.

ويطلقون علي يوم الخطوبة هذا " يوم الرباط " ففي هذا اليوم وأصدقائه في هذا اليوم البلح " فنتي " مع الفشار ثم يقدمون الشاي الذي يعني عندهم انتهاء الجلسة فيشربونه ثم ينصرفون. ومن الملاحظ أن العريس وأهله جميعاً باستثناء النساء ليس لهم الحق في رؤية العروس. ولكن الشاب يتحايل لرؤية عروسه أن نم يكن قد رآها فإن أقاربه يصفونها له فيذهب هو إلي الموردة لرؤيتها خلسة.

فبعد الانتهاء من الاتفاق بين أهل العريس والعروس وتحديد " يوم لرباط " يبدأ أهل العروسين في الاستعداد لعقد القران.. وقبل الميعاد المحدد بأسبوع تخرج سيدة تحمل طبقا من الخوص وعليه " أوجل " وهو الإناء الخشبي الذي توضح به الروائح العطرية من صندلية ومحلب وقرنفل يتطيب بها العريس والعروس.. وتمشي في القرية تتغني بأمجاد عائلة كل من العريس والعروس ويكون ذلك بمثابة دعوة كل نساء القرية ليذهبن لمشاركة أهل العروس في الاستعداد للفرح.. وذلك اليوم يسمى " يوم السماء ".. وهو أول يوم من أيام الاحتفال بالزواج.

فتذهب النساء والفتيات إلى منزل العروس يساعدن في طحن الأذرة والنقح والخبيز.. وإعداد البلح والفسار.. وأثناء عملهن يغنين بفرحتهن للعروس سائلين الله أن يحفظ والدة سمراء.. العروس.

ه ليلة الحنة :

يقام في هذه الليلة احتفالان كبيران أحدهما بمنزل العروس ويقتصر فيه علي أهلها. أما الاحتفال الآخر فيقام في منزل العريس إذ يحضر أصدقاؤه يُشترِكوا في الاحتفال بالغناء والرقص والعزف علي الطار وتاركا نجريشاد. ويبدأ الاحتفال بأن تقوم إحدى السيدات المسنات من أقارب العريس لتحرمات عليه كجدته أو خالته مثلا بإحضار صحن به ماء. وحناء. وتقوم

هذه السيدة بتخضيب جسم العريس كله من رأسه إلى قدميه بالحناء. ويرتدي هو في هذه الأثناء جلبابا قديما دون ملابس داخلية.

ثم يتقدم أصدقاؤه للمشاركة في دهن جسم العريس بأن يضيف كل واحد منهم قطعة من الحناء إلى جسد العريس. وبانتهاء عملية الخضاب هذه تبدأ عملية " النقوط " وذلك بأن يجلس العريس وأمامه صحن الحناء وعن يمينه أحد أصدقائه الذي سوف يلازمه طوال أيام الفرح يحمل سوطا في يده، عن يساره آخر يحمل سيفاً.

وهؤلاء هم حراسة من الحسد والجن والشياطين أو وزراؤه وهو بينهم "السلطان" كما يسميه النوبيون آنذاك. ويجلس بجوار العريس شخصان أحدهما يحمل كراسية يدون فيها النقوط الذي يدفع للعريس واسم صاحب النقوط ويصيح الآخر قائلا "شوبش".

ثم يتوجه بعد ذلك نفس الشخص الذي دفع " النقوط " إلى الحلاق الذي قام بتزيين العريس ويمنحه بعض القروش أيضا.

وبعد أن تنتهي عملية النقوط هذه يجمع " الكاتبان " النقود ويقدمانها إلى وكيل العريس والده أو أخيه ومع النقود الكراسية المدون بها أسماء من شاركوا في النقوط.

ويحتفظ العريس بهذه الكراسية إذ يعتبر " النقوط " دينا عليه يجب سداؤه في مناسبة مماثلة لصاحب " النقطة " في عرسه أو حفل ختان ابنه.

وأهمية التدوين هذه ترجع إلي أن العريس يجب أن يرد لصديقه نفس المبلغ علي الأقل في مثل هذه المناسبات.

وبعد أن تنتهي مراسم الحنة والنقوت يتناولون العشاء ويقوم الموجودون بعمل حفل ذكر ثم يغنون ويرقصون.. ويسمي الغناء والرقص " الطبل " ويقولون أشر " درابوكه " أي اضرب الطبل.. رغم إنه لا توجد طبول في النوبة فهم يعزفون علي الطار.. والأغلب أن كلمة الطبل نازحة إليهم فالأصل هو الطار.. وقد يبدأ هذا الاحتفال من رقص وغناء قبل ليلة الحنة بأسبوع منذ " يوم السماء " إعلان ميعاد الزواج.

والحقيقة أن عادة دهن العريس أو العروس بدهان معين ومشاركة الأصدقاء في ذلك بلمس جزء من جسمه هي عادة شائعة في معظم المجتمعات المتأخرة. إذ يعتقد أن عملية الدهان هذه تكسب العريس أو العروس الجمال والخصب. ونجد استخدام الحناء في النوبة يرجع إلي اعتقادهم بأن الحناء تكسب الجسد " طهارة " ومن المرجح أن الحناء كانت شائعة في العصر الفرعوني أيضا.

والنوبيون يعتقدون في أن الحنة تساعد علي كسب جلد العروس نعومة وكذلك للعريس، علاوة علي الرائحة الذكية التي تفوح من الحناء. وفي صباح اليوم التالي، وهو يوم عقد القران يجتمع نفس الأصدقاء والصديقات الذين كانوا موجودين ليلة الحنة، ويذهب العريس بعد أن يتناول الغذاء في منزله إلي النهر البحر ليستحم ويرافقه مجموعة من أصدقائه وقرب الوصول إلي النهر

يجري العريس ليسبق أصدقاءه وكل منهم يحرص علي ألا يسبق العريس.. فالعريس دائما عند النوبيين هو الذي يفوق كل الشبان في كل شئ.. وبعد أن يخرج من النهر، يطلق البخور ثم يرتدي ملابسه الجديدة البيضاء ويعطي الملابس القديمة لأحد المسنين الموجودين من الفقراء، ثم يتوجه العريس إلي منزله وسط أصدقائه وعند المنزل يكون في انتظاره شيخ الكتاب الذي تعلم فيه العريس وهو صبي ومع الشيخ مجموعة من الصبية يدرسون في الكتاب يقرءون القرآن وبعض القصائد الدينية.

ثم يخرج العريس من المنزل يصحبه أصدقائه والفقهاء الذين كانوا يقرءون القرآن ليتوجهوا إلي منزل العروس. وفي طريقهم لابد أن يمروا بسبعة بيوت مجاورة وأن يكون طريقهم من جهة يمين خروج العريس من منزله.. وأمام كل منزل من السبعة المنازل يتوقفون.

ثم يتوجه الموكب بعد ذلك إلي منزل العروس وإذا كان العريس ممن يتمسك بالتقاليد الدينية فإن الفقهاء يظنون في صحبته يتلون القصائد الدينية أما إذا كان من الشبان الذين يميلون إلي الطرب والمرح فإنهم يكتفون بالشعائر الدينية فقط دون مراسم الاحتفالات الدينية الأخرى.

فينسحبون بعد زيارة المنزل السابع وكذلك الرجال المسنون المتحفظون ويواصل موكب العريس طريقه إلي منزل العروس وسط أصدقائه وهم يغنون له طالبين منه أن يسير متساهدا متعاجبا قويا كالتمساح.. فالرجل يوصف في مشيته بأنه كالتمساح وتوصف الفتاة بأنها كاليمامة.. ويطالبون العريس في

أغانبيهم بأن يمشي في الزفة متهاديا قويا فسيفرق الشربات فرحا به (شربات فريجوي) بلهجة النوبة.. وسيفرق الملبس عند الفاديحة (اكاملبسكا) ومن أجله ومن أجل عروسه.

وتتكون هذه الرقصة من مجموعة من النساء يصطففن في نصف حلقة متناسكات الأيدي ويتحركن في حركة بطيئة . نصف خطوة إلى الأمام ثم إلى الخلف بالرجل اليمني ثم باليسرى ثم يهتززن مع المجموعة يمينا وشمالا ثم يتقدمن بصدورهن في انحناءه خفيفة . ثم تتقدم إحدى السيدات من الجهة اليمنى وترقص في حركة أسرع وتسمى هذه الرقصة بالرقصة الوسطانية . إذ أن هذه السيدة في وسط الحلقة . ويقف الرجال ويعزفون الدفوف أو النساء علي الجانب الآخر في نصف حلقة أيضا وبينهم المغني والمرددون بالزغاريد ويستقبله أهل العروس من الرجال ويدخل معهم هو وأصدقاؤه . وحينئذ يوقف الغناء والرقص وتبدأ المراسم التقليدية لعقد القران.

ه عقد القران :

يجلس العريس وسط أصدقائه ومعهم المأذون والعمدة وشيخ البلد والأعيان والمسنون وأقارب العروس ويبدأ المأذون بقراءة الفاتحة سائلا الله أن يمنح العروسين البركة والسعادة ، ثم يعقد قران العريس علي العروسة حسب الشريعة الإسلامية.. دون أن تحضر العروس ، بل وينوب عنها والدها أو ولي أمرها كوكيل عنها..

حينئذ يقدم العريس مهر العروس لا يقل عادة عن خمسة جنيهات ولا تزيد عن عشرين جنيها منها خمسة أو عشرة مقدم والباقي مؤخر صداق. ويقدم مع الصداق مصاغ العروس وذلك بحضور المدعويين جميعا ويتكون هذا المصاغ المصنوع من الذهب من :

١- قصة النور أو (حصاة الرحمن) وهي مثلثة الشكل وتعلق علي جبهة العروس وبها تتميز المرأة المتزوجة عن غيرها.

٢- "جكد" وهو عبارة عن عقد به ستة دوائر مسطحة من الذهب ويتوسطها ما شاء الله من الذهب أيضا.

٣- "شيش" وهو سوار من الفضة.

كما يحضر ملابس لعروسه وتقدم داخل غلاف من القماش أمام المأذون.. ولا يفتح شئ مما أحضره العريس أمام المدعويين والمأذون غير المصاغ هذه الهدايا التي يقدمها العريس لعروسه هي موضوع تتغني به الفتيات والشبان يصفون في أغانيهم من قدمه العريس لعروسه من مصاغ وملابس وروائح عطرية. فالنوبيون مغرمون بالتطيب بالروائح الذكية مثلما يغرمون بالتزين والنظافة. فيصف الفتى طيب الرائحة والذكية التي انتشرت قطعة منها علي ثيابه (يا سلام يا اريحه ما يوما حتوى فنا وايسكر) ويدعو للعروس بأن ترعاها عين الآله..

بعد أن يقدم العريس هذه الهدايا " والصداق يكون مسئولاً أيضا عن تأثيث بيته بمجموعة من الأبراش والسرابير (عنجريب) المصنوع من خشب

وجريد النخل وأغطية هذا " العنجريب " أما العروس فتحضر آنية الطعام
وبصفة خاصة آنية الشاي . التي يقدم فيها الشاي لضيوف العريس كما تعد
العروس قبل الزفاف مجموعة من الأبراش الخوص والأطباق الملونة التي تعلق
علي الحائط.

وكذلك الشعلوب الذي يعلق في سقف الحجرة وبه آنية الطعام لتكون
بعيدة عن أيدي الأطفال أو الدواب والهومام وتصنع هذه الأطباق " الشعاليب "
من الخواص الملون بأحجام وأشكال مختلفة. ويصنع من كل طبق اثنان. وتعلق
هذه الأطباق علي جوانب الحائط في حجرة نوم العروس الخاصة وتسمي "
الحاصل " وفي الديوان حجرة استقبال الأصدقاء.

ولا يقتصر في الهدايا علي ذلك.. بل تعد العروس مجموعة من الطواقي
المشغولة بالحرير الملون تقدمها لعريسها هدية بعد الزفاف، وكذلك حزام
أبيض مشغول الأطراف وهذه الهدايا لا تقدم إلا بعد الزفاف السابق خلخالاً
من الفضة (هوجل).. هذا الخلخال يرد ذكره من كثير من الأغاني.

والخلخال لا يقدمه العريس عادة إلا في الصباحية.. إذ يعتبر قدم المرأة
من (الحجل) عورة ولا يجوز للرجل أن يقدم هدية تلبس فيها إلا إذا كان
زوجاً لها، فمن خلخال الرجل ورنته يعرف مقدار أنوثتها، فكلما ثقل وزن
الخلخال وصدحت رنته دل ذلك علي شدة أنوثة صاحبه وإنها ممتلئة الكعب
الذي لا يستطيع الرجل رؤيته لأن ثوبها طويل، ويتجرجر علي الأرض خلفها

ويسمى " جرجار " وهو الزي الشعبي السائد في النوبة ، ويفترض البعض أن ثوب الزفاف الحديث اقتبس من هذا الجرجار.

وكما يقدم العريس لعروسه يوم عقد القران هداياه يجب أيضا أن يقدم لأهله بعض الهدايا. مثل بعض الملابس الجديدة. وكان قديما ملزما أن يحضر لجميع أفراد أسرته وأسرة عروسه ملابس جديدة.

بعد عقد القران تنطلق الزغاريد والأغاني ويقدم العشاء للموجودين ويقوم أهل العروس بكل تكاليف هذا العشاء. ثم يقوم العريس ويدخل حجرة العروس لرؤيتها ويصاحبه في هذه المرة أمه وبعض النساء من قريباته ومن أهل العروس. وتكون العروس مرتدية ثيابها الجديدة وتنزينه بالمصاغ الذي أحضره العريس. وعادة يكون الثوب الخارجي للعروس أحمر اللون من الحرير ويشف عن الثوب الذي تحته الذي يكون من القماش القطني المشجر المرسوم عليه ورود كبيرة. وتضع علي رأسها طرحة بيضاء من الشاش أو الحرير تسمى (شجه) تغطي وجهها ويتقدم العريس ويلمس وجه الفتاة من فوق " الشجه " أو يرفع " الشجه " وينظر إلي وجهها. وتكون هذه أول رؤية رسمية لها، ومعني اللمس أو الرؤية أنه قبلها. ثم بعد ذلك يعود إلي أصدقائه الذين يغنون له . وكذلك للعروس ثم يتناولون العشاء وكذلك العروس مع صديقاتها.

في الصباح الباكر يقدم أهل العروس للعريس طعاما بلبن أو إناء به لبن حليب ليشربه. فوجود اللبن في هذا الصباح ضروري ويتفألون به ثم يذهبون

إلى البحر معنا للحسد وأبطال السحر. إذ إنهم يعتقدون أن الماء الجاري لا
تقربه الأرواح الشريرة كما إنه يبطل السحر ويقي من الحسد.
والنوبيون أشد أبناء وادي النيل اعتقادا في الحسد وسلطان الماء علي
ذلك. هذا الاعتقاد نجده سائدا بين معظم المجتمعات التي لم تأخذ بعد نصيبا
من الحضارة الحديثة والمدنية. والاعتقاد بطهارة وقداسة ماء النيل اعتقاد قديم
عند المصريين.

واللبن والماء فال طيب مع الصباح.. نهارك أبيض زي اللبن “.. والماء
مرتبط. بصفات اللبن فهو أبيض من اللبن “ وهو الماء الحي الطاهر وهو غذاء
كل شئ حي.. والنيل هو مصدر الحياة.. والقسم بالنيل (وحق البحر الظاهر)
نسم عظيم..

الزفاف :

يخرج كل الناس ويبقي العريس مع عروسه وفي الخارج يستمر الشبان في
الغناء والرقص.. ويرقصون حينذاك رقصة سريعة علي نغم عال سريع يسمي “
فيري نراجيد “ وهي نغمة للرقص السريع تسمي بالرقصة الخاطفة لأن الأرجل
تتحرك فيها في حركة سريعة خاطفة..

ولا يبدأ العريس في مازحة عروسه إلا بعد ظهور نجم معين في السماء
يكون قد حدده له أحد فقهاء القرية. وهم يعتقدون بأن لكل شخص نجما
خاصا. وتظل العروس صامتة لا تتكلم وتحرص عل ألا تنطق بأي حرف بل.
حتى لا يسمع العريس ضحكتها. ويظل العريس يحادثها وهي صامتة ويلقى

بالأسئلة فلا تجيب ، فيقوم بدفع نقاط خاص لها يبدأ بعشرة قروش طالبا منها الإجابة عن أسئلته فلا تجيبه ويظل يضاعف المبلغ الذي يدفعه وهي صامته لا تجيب وعادة لا تجيبه عن أي سؤال إلا بعد أن يبلغ ما دفعه جنيهين. وحينئذ تبدأ العروس في الرد علي أسئلته أو تبتسم فإذا تكلمت أو ابتسمت كان هذا إعلانا عن قبولها لممازحته وبذلك يتوقف عن دفع النقود ويتقدم لرفع "الشجه" عن وجهها أو تقوم هي بذلك. وتحرص العروس علي أن يدفع العريس أكبر قدر من النقود. ففي الصباح حينما تحضر صديقاتها للمباركة في الصباحية سيسألنها عن مقدار المبلغ ولا بد أن تظهره لهن.. ويحرص العريس كذلك علي أن يجعلها تنطق دون أن يزيد كثيرا مما دفعه فسيأله أصدقاؤه عن المبلغ الذي دفعه.. وقد يلجأ العريس إلي القيام بأشياء تثير ضحكها، أو يخيفها بشئ فتصرخ رعبا فمجرد صدور أي صوت منها ضحك أو بكاء أو كلمة يعطيه الحق في " كشف الوش " ورفع " الشجه " دون أن يستمر في دفع النقود أما إذا استمرت العروس في صمتها رغم كل محاولاته وبعد أن دفع جنيهين أو أكثر فإنه يتقدم ليرفع " الشجه " عن وجهها حتى ولو كان ذلك دون رغبتها.

يوم الصباحية :

في صباح اليوم التالي يحضر أهل العريس والعروس للتهنئة ويقدمون لهما النقود كما يقدم العريس لعروسه " خلخالا من الفضة " وتقدم الفتيات للعروس هداياهن داخل طبقين من الخوص.

قبل حضور الضيوف يقدم أهل العروس للعروسين لبنًا. وشعرية (مصنوعة من دقيق القمح) مصنوعة بلبن وسكر وسمن. وقديما كانوا يذبحون ذبيحة تقدم في الإفطار. وتكون هذه الذبيحة مذبوحة ليلا. وتقدم في الصباح لإفطار الضيوف مقسمة إلى أربعة أقسام ومن الضروري أن يقوم أحد الموجودين من الضيوف باستلام الذبيحة كاملة. وتسمى هذه الذبيحة آكلة الضيوف (اسكتي جوجير).

قديما يذكر بوركهارت أنه " في العريس ينحر العريس بقرة أو عجلا. فإذا نحر كبشا كان ذلك فضيحة الفضائح ؟ و يذبح أهل العروس يوم الرباط ذبيحة أيضا.. أما ذبيحة " يوم الصباحية " فهي حتمية. في يوم الصباحية يخرج العريس مرتديا ملابس العرس وعلي كتفيه الشال الحريري. ويحمل في يده " كرباجا " ومربوط علي ذراعه الأيسر خنجر ذو حدين وتسير أمامه طفله تحمل إناء البخور و " جارية " تحمل " طشطا " وإبريق ماء. وبعد تناول الغذاء يذهبون إلي " البحر " ويظل هذا الاحتفال يتكرر لمدة أسبوع وطوال الأسبوع يظل العريس في منزل أهل العروس لا يغادره إلا للذهاب إلي البحر ويقوم أهل العروس بجميع النفقات كما يرسل طعام الإفطار المكون من الشعرية واللبن والسكر و السمن طوال أيام الأسبوع كما يحضر الأصدقاء من القرى المجاورة طوال هذا الأسبوع للتهنئة وتقديم النقود والهدايا.

في يوم الصيحية مما يقدم أبو العروس لآبائه هدية تكون شيئاً نادراً.
عندهم من عتلا بيضة ناعم عند يجلب عن السودان - أو عتلا علي الثمن أو شيئاً
ثمراً.

اليوم السابق للزفاف وبعد عقد القوم في اليوم التالي يرى قومه عروسه
أول مرة زوية رسمية فيجنس العريس وعلي يمينه عروسه. ويقوم أحد أقرباء
العروسين بتشريط رجلي العريس اليماني ورجل العروس اليسرى عند عقلة
لساق ويحضرون له صحناً به ماء رائق. ويلصق الساقين معاً وتحت الساقين
يوجد الصحن الذي به الماء وما يسناج من دم يتساقط في الصحن ويحتلظ
بالماء. ثم يقوم هذا الشخص بغسل رجليهما بهذا الماء المخلوط بدمهما. ثم يقوم
بعد ذلك بغسل رجليهما بماء جديد. ثم يرجع هذا الماء في إناء خاص ويظل
أهل العريس محتفظين به لمدة أربعين يوماً ثم يلقي في النهر أو يدفن مع باقي
الحناء وفضلات أدوات التجميل والعمود وغير لك مثل شاشي البكرة أو ما
يتناثر من شعر العروسين وتدفن هذه الأشياء في مكان لا تطؤه الأقدام.

• السبوع :

بعد هذه الأيام السبعة ينتقل العريس مع عروسه إلى منزله ففديج ذبيحة
في بيت العروس ويذهب العريس للغداء مع أسرته ويرسل له الأكل مجهزة من
منزل أهل عروسه علي أن يكون هو الذي دفع تكاليف هذا الغداء. وفي منزله
يدعو أصدقاءه للغداء معه كما يرسل منها لجيرانه وتتلي في هذا اليوم البردة

للبحري. كما انه نفس ان يلاحق مناته يمر بسبعة متار من جوارده مر
جهة اليمين ويكبر حنقلا عصا عن اليسوع ويلاحقها عصور الصندفة / وكبر
يكبر اعلي قطعة عن هذه العصا يما فيها من طيب يستطير به وآخر قطعة مر
هذه العصا يحتفظ بها العريس في بيته... ويتغني الشبان بهند الزواجر الطبيعية
التي انتشرت قطعة منها علي شياهم.

نعود الي الحديث عن عادات الزواج - وخاصة ما كان مرتبطا بالسحر
والخرافة والنوم من أشد الناس خوفا من السحر - فتقاليد المجتمع أي
مجتمع - تشكل بظروف الحياة الطبيعية وما يتوهمه الناس من خيال.

ومن التقاليد الشائعة في النوبة عامة انه لا يجوز لمن عاقد من شويح
جنازة أن يدخل علي العروسين إلا بعد غروب الشمس - أما من يحمل لحما
نيئا فلا يجوز أن يدخل عليهما به إلا إذا كان قد مضي شهر قهري علي
زواجهما وكذلك من غير البحر - معنا من المشاهدة.

وفي النوبة حيث الدين الإسلامي هو الدين الشائع والسائد - بل كل
النوبيين يعتقدون الإسلام - والإسلام يبيح الزواج بأكثر من واحدة - نجد
الإنسان النوبي اصطنع من التقاليد ما يتفق مع روح الشرع - فالزواج في النوبة
بغير ثرائه بألوان الفنون ، غني بتقاليد وعاداته - ومناسبة الزواج مجال لكل
إبداع يعارسه الشعب ، ويغير فيه تلقائيا عما تناقله من تراث ، إنها فرحة
كبرى مليئة بكل جوانب التراث الشعبي الحي.

المرأة النوبية^(٢٦)

للمرأة النوبية صفات ومميزات خاصة تنفرد بها دون نساء الشرق أجمع من ناحية الخلق والعمل والتضحية.

فهي في الغالب تعمل ربة بيت ممتازة وقليلًا ما تعمل خارج بيتها إلا في حالة حصولها على مؤهل دراسي. ففي زمن مضى أي البعيد القريب لم تكن في النوبة امرأة متعلمة حيث كانت نسبة التعليم بين الفتيات صفر.

ففي بلدة الدر مثلا كانت الفتاة الوحيدة المتعلمة هي ابنة العمدة وكان يسمونها أمينة عمدة وهي أم الفنان النوبي محمد منير

واليوم نسبة تعليم المرأة في النوبة وصلت إلى ما يقرب من ٨٠٪ بينهم الطبيبة والمهندسة والمدرسة والحاصلات على مؤهلات متوسطة يعملن موظفات في الشركات والحكومة. وتخرج من تحت أيديهن جيش من الشباب المتعلم تحقيقا لقول أحمد شوقي.

الأم مدرسة إذا أعدتها أعدت شعبا طيب الأعراق

والفتاة النوبية في أقسامها الثلاثة ذات طباع واحدة فروتين الحياة اليومية تتلخص فيما يلي :

في الصباح تقوم بساقية البقرة وما لديها من حيوانات أخرى ثم تجهز الشاي والإفطار ثم تخمر العجين لعمل خبز الدوكة، ثم تنزل الحقول لجمع النخيل والأعشاب وتعود لخبز العيش وطهي الغذاء سواء كان عدسا أو لوبيا أو

(اتر جاكود) ثم تسقي الحيوانات مرة ثانية وبعدها تغفو قليلا للراحة يعقبها عمل آخر يتمثل في ملئ الزير بالمياه وجمع النجيل. ثم تجهز العشاء. كذلك تخضر اللبن للحصول على الزبد الذي يغلي للحصول على السمن الذي يوضع في قرعة كبيرة (كس). وتصنع المرأة أيضا الجبن من اللبن بعد اخذ الزبد ويوضع على مياه اللبن الرائب حلبة وكمون وشطه ثم يضاف إليه لبن بارد ويترك في وعاء يوم أو اثنين ثم يخسر ويقوم الأطفال بالمساعدة في رعي الحيوان وجمع العشب من الحقول، وأحيانا الرجال أيضا. أما في الشتاء فإن العمل أقل حيث لا توجد حقول وأعشاب ورعي الحيوان، ومن ثم فإن الشتاء، فصل ركود، والصيف فصل عمل يتضمن كثيرا من الجهد والتعب خاصة بالنسبة للسيدات.

ويقول جون جادزبي (أن النوبيات يعتبرن أكثر نساء الشرق كلهن فضيلة).

ويتجلى ذلك عندما يهجرهن أزواجهن إلى مدن مصر للعمل وإرسال بعضهن ورغم غياب الزوج فالمرأة النوبية تحافظ على شرفها خاصة في هذه القرية الصغيرة التي تصل إليها والتصرفات. فهي تحافظ على سمعتها بين أهلها.

والمرأة النوبية إذا كانت بجانب زوجها في مدن مصر فهي لا تخدم في البيوت فقط تعمل ربة بيتها تعد له الطعام والراحة عندما يرجع بيته منهمكا من وطأة العمل.

وهي متميزة في احتشامها وسلوكها عن كل نساء الشرق، وللمرأة النوبية لمسة جمالية في أعمالها، حيث تجمع النساء وعاء في إناء ويتولين بعدئذ تلطخ واجهات ديارهم بشكل هندسي وتقوم النساء بصناعة الفخار عدا مرحلة الإحراق فيتعهدها الرجال. ومن الطريف مشاهدة النساء وهن يصنعن الآنية الفخارية. فهي تقوم بتشكيل الجزء السفلي من الإناء المطلوب عن طريق الطين بواسطة قطعة من الصوف كما تباشر النساء التلوين والصقل.

وما يميز البيت النوبي هو السلال والأطباق الخوص الملونة والمصنوعة من الحديد الصوف. والشائع من صناعة هذه السلال أن تتدرب الفتيات على إنتاجها في سن مبكرة على يد المسنات من نساء القرية، وما أن تتدرب الفتاة على إجادة هذه الصناعة حتى تقول توفير عدد من السلال والأطباق مدة أعوام طويلة فيها على إعداد ما تحتاج إليه منها لتزين دارها بعد عقد القران. ولقد كانت نساء النوبة

يرتدين في الأزمنة القديمة سترة مصنوعة من الجلد تتدل من صدورهن ثم أعقبت ذلك فترة لبست فيها الجلابيب (الجرجار) وترها منتشرة في القرى المصرية.

وقد اجتمعت نساء النوبة بأقسامها الثلاثة على ارتداء الجرجار في القرية أما في مصر ومدنها اتجه إلى لبس الساري الهندي كذلك نساء النوبة السودانية أما الفتيات المتعلمات فهن متفرنجات ويرتدين الملابس النسائية العادية وعلى (المودة) والنوبات يعشقن التزين بالمصاغ. وبعض المنسوجات منهن يثبتن

حلقات في أنوفهن كما يحلين آذانهن بأقراط ذهبية ويضعن الأساور والخلاخيل الثمينة في أيديهن وسيقانهن ويرتدين أيضا في أعناقهن قلائد مصنوعة من الخرز الملون أو من المرجان الأحمر أو الأسود الذي يجلبه البشارية أو العبادده الجائلون من البحر الأحمر وقرى النوبة. وهي تعتز بحليها وتحفظ به ولا تفرط فيه إلا في أشد الظروف لأن التصرف فيه وبخاصة بالبيع يعتبر عيبا بين أهلها ومعارفها. فهي تحفظه للظهور به في حفلات الأفراح والموالد. فالحلي من مظاهر افتخار المرأة النوبية في هذه المناسبات.

جمعية المرأة النوبية

وقد تجمعت النساء النوبيات لتكوين جمعية تزاوّل فيه أنشطتها وقد رأس هذه الجمعية السيدة / فتحية أحمد عواض أرملة الشهيد المناضل زكي مراد وشارك في افتتاح الجمعية بعض نساء المجتمع المصري بينهن بهية كرم وأنجي أفلاطون. ولما نحت الجمعية نحوا سياسيا تم اختيار السيدة الحاجة / زكية جاسر التي كثفت نشاطها في المجال الاجتماعي فقامت بتقديم الكثير من الخدمات للنوبيات الأعضاء وأصدرت مجلة " جنوب الوادي " التي رأس تحريرها الصحفي الكاتب رجب البنا وعندما عجزت عن تمويل المجلة

أغلقت أبوابها واستطاعت أن تحصل على مقر جديد للجمعية بزين العابدين
الذي يديره اليوم مجموع من شباب الفتيات النوبيات ختام.
والفتاة النوبية كل يوم تتعلم الجديد وتدرس وتتفتح أفاقها لتعيش
مجتمعها الحديث المجتمع الناهض. لذلك فهي تخفف من التقاليد
والعادات التي قد تعيق تقدمها واندماجها في محيط المجتمع الكبير مجتمع
مصر العربية أم الحضارة والتاريخ العريق.

التعليم في بلاد النوبة^(٢٢)

إن الحركة التعليمية في أي مجتمع له أثره في تحديد سمات المجتمعات وتحديد مسارها وتطلعاتها إلي - ومعذرة إذا أنني ما ذكرت إلا ما أسعفتني به الذاكرة - تقرر عن أستاذي المرحوم/ محمد منير حسين والذي اختاره الاستاذ المرحوم محمد صلاح الدين الباقر ناظراً لمدرسة أسوان الثانوية لنظارة مدرسة عنيبه الثانوية في عام ١٩٥٠ ليرسي قواعد التعليم الثانوي العام لأول مرة في بلاد النوبة وتم تحويل بعض الطلبة المتخرجيين من أسوان الثانوية إلي مدرسة عنيبه الثانوية - وكم كنت استمتع بالجلوس مع الأستاذ المرحوم محمد منير حسين وكيل مديرية التربية والتعليم الأسبق بأسوان وأستمع إليه في شوق ولهفه عن التعليم في النوبة - فكان يسترسل في الحديث عن التعليم في النوبة بكل عزة وإباء.

بدأ التعليم في بلاد النوبة عن طريق الكتاتيب والتي كانت مهمتها الأولى تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ علم القراءة والكتابة وعلم الحساب وقد تولى هذه المهمة مشايخ ومحفظون من أبناء النوبة من شمال السودان من عبري وسكوت وغيرها - وانتشرت فكانت في جميع بلاد النوبة بفضل تشجيع الأهالي والمواطنين الذين بنوا وأقاموا المساجد بالتعاون والتضافر - والذي أطلق عليه اليوم بالجهود الذاتية - ثم التحق بعض خريجي تلك الكتاتيب بالأزهر الشريف - قسم رواق شمال السودان والبعض التحق بمدرسة دار العلوم -

ومدرسة المعلمين بالقاهرة والاسكندرية - وكان بين هؤلاء رواد التعليم في بلاد النوبة - وبعد نقل المركز الإداري من كرسكو عاصمة بلاد النوبة الأولي إلى الدر في عام ١٩٠٧ فكر المخلصون من أبناء النوبة في الاسكندرية في إنشاء مدرسة ابتدائية في عاصمتهم الجديدة - الدر - وذلك امتداداً لمدرسة النهضة النوبية بالاسكندرية علي أن تمول المدرسة من تبرعاتهم لمشروع القرش النوبي ففعلاً تم إنشاء المدرسة وقد قام - بتأثيث المدرسة ابن من أبناء الجنينة والشباك وكان يعمل تاجراً للأخشاب في مدينة الاسكندرية واسمه - علي بك - وقام وأخواته بتصنيع تخت الجلوس وما تحتاج إليه المدرسة تحت إشرافهم بالاسكندرية وأرسلت إلي الدر مباشرة وتسلمتها لجنة مكونة من المرحوم الشيخ مرسي والذي عمل مدرساً وكان قد حصل علي كفاءة المعلمين من مدرسة عبد العزيز للمعلمين بالقاهرة ومشاركة في لجنة الاستلام المرحوم محمد أفندي بدر وكيل مكتب بريد الدر والمرحوم محمد بك حسن عمدة تنقالة - وبدأت الدراسة بالمدرسة وكانت هيئة تتكون من الشيخ مرسي والأستاذ محمد جمال مصري والأستاذ مكي حسين وغيرهم من أبناء الدر وتنقاله والذين كانوا يعلمون بالتدريس في مكاتب تحفيظ القرآن الكريم - وكان من طليعة هذه المدرسة الأستاذ سليمان حسن عجيب - والذي انضم إليهم مدرساً للغة الانجليزية بعد حصوله علي البكالوريا بالقاهرة - وفي عام ١٩١٧ تقدم لإمتحان الشهادة الابتدائية أربعة تلاميذ وقد نجح المتقدمين من المدرسة - وكانت لجنة الامتحانات تعقد في مدرسة أسوان الابتدائية وكان يرفق الطلبة في هذه السفرية - الشيخ مرسي علي والأستاذ مصري أفندي وكان من بين العشرة الأوائل علي مستوي مصر

الطالبان محمد مرسي ميزو من الدر وعكاشة أحمد عبده خليل من توماس وعافية - وكان أول مدرسته ودفعته وفي إحدى زيارات مدير مديرية أسوان إلى مركز الدر للأطمئنان علي مقر المركز ولزيارة عاصمة النوبة خرجت مدرسة الكمال بطلابها ومدرسيها وأولياء الأمور والمشايخ والأعيان الذين وفدوا من توماس وعافية والديوان وقته وابريم وبريم وأبو حنضل وكركو والمالكي وغيرها ولبست الدر في ذلك اليوم ثوب عرس جميل وأرتفعت أعلام مصر علي مبني المركز والبريد والتلغراف وأقيمت الزينات ونحرت الذبائح علي مرسي باخرة صاحب السعادة مدير مديرية أسوان وأصطف أعيان النوبة ورجالها ومن خلفهم النساء يزغردن ويلوحن بالجريد الأخضر وفوق رؤوسهن الأطباق الملونة مملوءة بالبلح والفشار - علي شكل ما يسمي اليوم بمجلس الآباء والمعلمين وأحسنوا الاستقبال مم أثلج صدور جميع المرافقين لسعادة المدير وازدادت الفرحة حين تلي وقرأ المرحوم محمد بدر البرقيات التي وردت في نفس اليوم من أبناء النوبة بالقاهرة والأسكندرية والتي تعبر عن فرحتهم بالزيارة الميمونة لعاصمتهم الدر وكانت البرقيات باسم مأمور المركز وجاء في كلمة صاحب السعادة مدير أسوان - إنني اعلم بأن هؤلاء الطلبة يتلقون العلم بمدرستكم مدرسة كمال الابتدائية ولكنني لا أعلم عن معيشتهم وإقامتهم شيئاً رُحمت بعيدين عن آبائهم وأمهاتهم وهم من بلاد بعيدة - وهنا وقف المرحوم مرسى علي أستاذ اللغة العربية قائلاً سعادة المدير إن الأب النوبي أد النوبيين أينما وجد ووجدوا والأم النوبية أم لجمع النوبيين أينما ووجدوا - أن أبناء الطلبة را رهم با

الاستضافة الأسرية كل أسرة بالدر والديوان وتنقله تستضيف عددا منهم وتقوم برعايتهم وإن هيئة التدريس تقوم بالمرور علي تجمعاتهم للاطمئنان عليهم وعلي مذاكرتهم وحل مشاكلهم ومعاونة الأسر المستضيفة وواعد "السيد" صاحب السعادة مدير المديرية بضم مدرسة الكمال الابتدائية إلي وزارة المعارف وتسمية المدرسة باسم - مدرسة فؤاد الأول الابتدائية - كما وعند بإنشاء مدرسة أولية - وأوفي سعادته بما واعد - وصد قرار وزارة المعارف العمومية بتسمية مدرسة الكامل الابتدائية باسم مدرسة فؤاد الأول الابتدائية وشمل القرار ضم هيئة التدريس وتعيينهم مدرسين بالمدرسة وعين الأستاذ علي خليل خيرى ناظرا للمدرسة - كما صدر قرار آخر من وزارة المعارف بإنشاء مدرسة أولية في توشكي وتلك كانت باكورة المدارس النظامية في بلاد النوبة - وبعد صدور قرار نظام المدارس الإلزامية أنشأت في كل عمودية مدرسة الزامية تتبع مجلس المديرية وتسبق الأهالي في كل عمودية لتوفير مبني للمدرسة الإلزامية - وتلك ما يسمي اليوم بالمشاركة الشعبية - كما صدر قرار من وزارة المعارف بتعيين الشيخ حسن عبد السيد مفتشا للمعارف لمدارس مركز الدر ومقره الدر وكان رحمه اله خريج دار العلوم ومن أبناء قسطل وأستمرت المدارس تؤدي رسالتها بتعاون المواطنين والمدرسين الذي يفدون من القليوبية والمنوفية ثم من أبناء أسوان وإدفو وفي عام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ بعد التعلية الثانية لخزان أسوان - أنتقلت عاصمة بلاد النوبة في منطقة خالية من السكان ما بين عمودية عنيب وعمودية مصمص وسميت بالفاروقية وأقيمت عليها المنشآت الإدارية الحكومية - المك - البريد - التلغراف - مستشفى - مكتب صحة مركز - مأمورية

قضايا ومكتب شهر عقاري - وغلبت علي تسمية المنطقة باسم عنيبه بدلا من الفاروقية وكانت ضمن المنشآت مدرسة فؤاد الابتدائية نقلا من الدر ومدرسة تنقالة الأولية كذلك وخلت الدر من المدارس حتي سنة ١٩٣٩ - وحينما نقلت مدرسة فؤاد الأول الابتدائية علي الفاروقية أحجم الطلبة عن الإلتحاق وتشنت الجميع وحينما شعر الأهالي بأن وزارة المعارف في طريقها إلي الغاء مدرسة فؤاد الأول الابتدائية - تحرك الأباء وجابوا القرى وحث أولياء الأمور لإرسال الطلبة إلي المدرسة وتقدم الركب المرحوم الشيخ مرسي لبناء أقسام داخلية وعناصر لإيواء الطلبة وأصدر وزارة المعارف صرف وجبات تغذية علي حسابها - وجاء الطلبة من القاهرة والاسكندرية ودق ناقوس العمل والعلم والمعرفة مرة أخرى - وبلغ عدد الطلبة في الأربعينات تسعمائة طالب - كما أن المدرسة بدأت تستقبل وفود البعثات والمنح الدراسية من السودان والصومال وأرتريا وظهرت بالمدرسة جهود المرحوم الأستاذ صالح جمال ناظر المدرسة وبدأت الحركة الكشفية والقسم المخصوص وظهرت وعادت النهضة التعليمية للمدرسة وبدأت زيارات المسئولين للمدرسة وزار المدرسة الأستاذ كساب مراقب عام التعليم لمديرتي فنا وأسوان والدكتور عبد الواحد الوكيل وغيرهم - وأعجبوا بوحدة الفكر التعليمي بالمدرسة - كما زار المدرسة في الستينيات الزعيم شكري القوتلي إبان الوحدة المصرية السورية - كما زار المدرسة في نفس السنة وزير الثقافة الهندي وتتابع فتح المدارس الإعدادية مع الثورة فكانت - مدرسة عينية الإعدادية وأرمننا الإعدادية والدر الإعدادية وقورته الإعدادية والدكة الإعدادية - ومدرسة قورته للمعلمين بقيادة عميدها الأستاذ عبد الستار مـغذ

رحمة الله - كما تحولت جميع المدارس الإلزامية إلى مدارس ابتدائية وكانت بمنطقة بلاد النوبة ما يقرب من ٤٥ مدرسة ابتدائية - وخلت بلاد النوبة من المدارس الفنية زراعية وصناعية وتجارية.

كما أن الأزهر لم يفكر في إقامة مدرسة واحدة في بلاد النوبة - وتوافد أبناء النوبة من خريجي كلية التربية ودار العلوم والأزهر ورد المعلمين للعمل في مدارس موطنهم بكل الرضي إحساساً منهم لرد الجميل لآبائهم ولمجتمعهم. إن النوبة رائدة في كل المجالات والمجتمع النوبي هو مجتمع التكافل الاجتماعي - وهو مجتمع الحياه الاشتراكية النابع من التعاليم الدينية - إن المجتمع النوبي هو مجتمع رواد العمل الاجتماعي.

ألم يكن في المجتمع النوبي - مجلس الآباء والمعلمين - قبل أن تعرف المؤسسات التعليمية في مصر ألم يكن في المجتمع النوبي نظام استضافة الطلبة قبل أن تعرفها أوربا للبعثات التي وفدت إليها من الشرق أو من الغرب - إن النوبة رائدة في جميع المجالات حتى في مجال التضحية بأرض الأباء والأجداد. لأن في قدرتها أن تبني المجتمعات علي أساس من الحب والوفاء والولاء. ومن أجل حب مصر الحبيبة ضحت بكل ما عندها من ميراث الآباء وما زالت علي استعداد لأعظم التضحيات.

كم ذا بكابد عاشق ويلاقي

في حب مصر كثيرة العشاق،

الصحافة النوبية^{٢٥}

لا شك أن النوبيين حريصون دائماً أن يعملوا في ظل القوانين والدماساتير على ألا يخرجوا عن القانون والمألوف وانطلاقاً من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ في مادته التاسعة عشرة على أن لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير. ويشمل هذا الحق حرية إصدار الصحف ولما كانت حرية الكلمة هي المقامة الأولى للديمقراطية. وهي التعبير عن حرية الفكر في أية صورة من صورها. وأن حرية الصحافة وهي أبرز مظاهر حرية الكلمة لنا كان النوبيون وحريصون على إصدار صحف من خلال جمعياتهم ونواديبهم بعد أن توافرت كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر و الرأي والبحث العلمي والصحافة.

وخلال حقبة القرن العشرين ظهرت هذه الصحف النوبية.

خاصة وقد نصر قانون تنظيم الصحافة الإعفاء من الحصول على ترخيص المجلات التي تصدرها الجهات لأن تداولها يقتصر على أعضاء الهيئات التي تصدرها

١- جريدة مصباح النوبية : أصدرتها جمعية مصباح النوبية برئاسة الأستاذ محمد بدر وكانت أول جريدة تصدر للنوبيين.

٢- مجلة الميزان والأديب المصري : أصدرها الأستاذ جلال سليمان ومحمد حسين الكاشف بدار الشباب النوبي خلال الأربعينات والخمسينات وكان

يشارك في تحريرها نخبة من الأدباء المصريين على رأسهم الأديب مفيد الشوباشي.

٣- مجلة مصر العليا : مجلة أسبوعية جامعة صدر العدد الأول منها في يناير سنة ١٩٣٦ وكان اشتراكها ٣٠ قرشاً في السنة ومقرره رسمياً لنشر الإعلانات القضائية وصدر منها حتى ١٣/٣/١٩٤٢ ٢٦٥ عددا وهي السنة السادسة لصدورها كانت تمول من ناتج الحفلات الخيرية وتوقف الإصدار لعدم وجود مورد مالي.

٤- مجلة الساعة ١٢ : مجلة أدبية قومية صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ محمد مختار هرقي وقد ظهرت من ١٩٥٦ في وجود الاتحادات النوبية : اتحاد الكنوز واتحاد وادي العرب والنادي النوبي وكان هدف إصدار هذه المجلة توحيد كلمة النوبيين وقد تم بعد ذلك درج هذه الاتحادات في نادي النوبة العام ولم تصدر من المجلة إلا أعداد قليلة.

٥- مجلّة النوبة الحديثة : مجلة أسبوعية أدبية اجتماعية قومية صدر العدد الأول منها ١/١/١٩٣٧ وصاحبها الأستاذ مكاوي يعقوب وإدارتها مقر النادي النوبي ١٤ شارع إبراهيم باشا صدر منها حتى أول أغسطس ١٩٥٦ ٣٢٠ عدد.

٦- مجلة الرابطة الإسلامية : كان رئيس تحريرها الأستاذ محمد شاهين حمزة عضو مجلس النواب ومقرها ؛ شارع جامع شركس وكانت مجلة

أدبية اجتماعية قومية وكانت تصدر من نادي النوبة الحديثة وكانت تعتمد على الاشتراكات وتوقفت منذ شهر قليلة.

٧- مجلة رابطة النوبيين بالأزهر: مجلة أدبية وكانت يرأس تحريرها السيد/ أحمد جعفر أبوراس ومقرها نادي النوبة العام وكان يكتب فيها الطلبة النوبيين بالأزهر : شعراء وأدباء وقصاصين عنهم عبد الدايم طه ومحمود محمد صالح وأحمد عثمان وحسن نور وآخرين كانت منبراً لطلاب الأزهر.

٨- مجلة أخبار النوبة هي أحدث المجلات النوبية وهي نشره غير دورية وكانت لسان حال نادي النوبة العام ثم اختفت في عهد رئيس النادي المرحوم موسي خضر ثم عادت للظهور واختفت مرة أخرى واليوم يحاول المجلس الجديد المطعم بالشباب النشاط أعادتها للظهور.

٩- مجلة جنوب الوادي وتصدر عن جمعية المرأة النوبية أصدرتها الحاجة زكية جاسر رئيسة الجمعية وكان رئيس مجلس إدارة المجلة الوزير السابق المرحوم كامل عقيلي ورئيس التحرير الكاتب الصحفي بالأهرام الأستاذ رجب البنا وتوقفت عن الإصدار بعد سنتين (٨١/٧٩).

١٠- كما توجد نشرات غير دورية تصدر من التجمعات النوبية في الخارج في ألمانيا وإنجلترا وفي لندن مجلة نوبية تصدر بصفة دورية ويرأس تحريرها الأستاذ عبد الحميد، هلال عبد المجيد.

وكان السبب الوحيد لتوقف صدور هذه الجرائد هو الاحتياج لرؤوس أموال خاصة وأن هذه المجالات ليس لها مورد ولا عائد حيث توزع بالمجان على أعضائها ونحن في انتظار توحيد جهود النوبيين لإصدار جريدة دورية توزع على التجمعات النوبية وغيرهم من المهتمين حيث يهمنا أن يعرف كل البشر تاريخ النوبة وحركة مجتمعتها وأخبارها اليومية.

الأدب النوبى (*)

والأدب النوبى كغيره من الآداب جزء من الأدب العام الذي ينتج أصحاب الكتابة بالعربية وهو جزء من الأدب العربى فى مصر : لأن الوسيط اللغوى وسياقاته التاريخية والفنية والجمالية تحسم مسألة تصنيف هذا الأدب، ورغم أن أصحاب هذا الأدب (العربى) (المصرى) يتمتعون بخصائص نفسية واجتماعية وحضارية خاصة. من الناحية التاريخية إلا أنهم يتميزون داخل البنية المصرية الأم، ورغم خصوصية حضارتهم النوبية القديمة. إلا أنهم أصبحوا عبر التاريخ جزءا من الأمة المصرية. كما أنهم تحولوا عبر الجغرافية إلى جزء من الشعب المصرى.

صحيح أنهم عانوا عبر التحول التاريخى الجغرافى من عدة مشكلات، ولكنهم لا يزالون ينتمون إلى هذا الوطن ولا يريدون الانفصال عنه كما هو شائع عنهم. ولكنهم يريدون العودة إلى الجذور. أى الهجرة الضد أعنى العودة والتجمع فى الأرض القديمة التى شهدت خصوصية الحياة، بعيدا عن صخب الشمال والجنوب فى المدن المصرية المزدهمة يشجعهم على هذا المسافة البعيدة التى تفصلهم عن أسوان، وتجعل هذه المنطقة تكاد تخصص لهم، ويساعد فى هذا تلك التقاليد الموروثة الصعبة على (الغريب).

(*) السرد النوبى المعاصر د. مدحت الجيار.

وهي التي تسهل لهم حياتهم، وتميزهم عن غيرهم من المصريين. ورغم ما تجده من تشابه مورثاتهم مع بعض المورثات في الصعيد المصري أو عند بعض الأمم الأفريقية الأخرى مثل السودان على سبيل المثال.

ولهذا يعكس أدبهم مشكلات محددة واضحة تترتب كل واحدة منها على تغيير ما تم في التاريخ. أو في الجغرافيا، فنجد

- إقامة خزان أسوان.

- بناء السد العالي.

- التهجير من النوبة القديمة إلى النوبة الجديدة.

- ضيق الموارد الطبيعية والاقتصادية. مما يزيد رقعة الفقر، ويدفع بالنوبيين إلى الهجرة.

- الهجرة إلى شمال وجنوب وادي النيل.

- الهجرة إلى البلاد العربية.

- مشكلات التعليم العالي والتوظيف.

- سوء وضع المرأة في بلاد النوبة.

- استمرار النوبيين للحياة خارج النوبة لتمتعهم بالخدمات الاجتماعية والرعاية. وتزوجهم من خارج وطنهم الأم. مما يزيد من عدد النساء على الرجال في النوبة ويزيد العنوسة والبطالة.

الأمر الذي حول المجتمع في بلاد النوبة إلى عالة على الشمال، بسبب الفقر والبطالة وسوء الخدمات. كما جعله يستقبل فقط موارده، ولا ينتجها،

فهو مجتمع مستهلك لا منتج . يفرض عليه هذا الوضع فيتحول إلى مكان سياحي بفعل هذه الخصوصية . وهذا البعد . إلى جانب الآثار القديمة . ويستمتع الآخر الوافد بالطبيعة والآثار . وبدائية الحياة والتقاليد . دون أن يقدم لهم العون لتغيير الحياة وتطويرها حتى تظل منطقة سياحية .

حضر إلى أسوان أحد الزوج الأمريكيان ويدعي جيمس بيلي وزار بعض قرى النوبة واعترف على أهلها الهدايا بغرض إقامة منطقة مستقلة ويعلم الله الباعث الحقيقي بهذا المخطط فقد أغرق لهذا تجدوا روايتهم تتضمن .

- السرد بضمير الهو .

- كثرة الوصف والتفاصيل .

- تضمين العناصر التراثية والحضارة القديمة .

- استعمال مفردات وتعبيرات نوبية على لسان الشخصيات .

- ذكر تفاصيل الأماكن النوبية وطبيعة العلاقات فيما بينهم .

- الحس الشعري ، واللغة التصويرية المجازية التي تعكس الطاقة الانفعالية

والعاطفية لدى النوبيين بشكل يلفت النظر ، لأنهم يتفوقون فيها .

- التدفق في السرد مما يوحي باختزان طاقات كتابية ضخمة لم تخرج كلها

حتى الآن .

- تقسيم النص إلى مشاهد ، ووحدات ، منطقية تفضي بعضها إلى بعض .

- قلة الشخصيات في الرواية والقصص. مما يوحي بالتركيز الشديد على الشخصية. ليتم تحليلها واختيارها في مواقف محددة تبين خصائصها النفسية. والاجتماعية بخاصة.
- يظهر الصراع مع الآخر (القريب) على أنه اختلاف في وجهات النظر، بينما يتم مع (الغريب) على أنه صراع مع الغازي. إلا في بعض الروايات مثل (بين النهر. والجبل لحسن نور) حيث يظهر (الغريب) متحدًا ممتزجًا مع (الأنا) بدون خوف أو تمييز. رغم أنهم يدينون الغريب باستمرار.
- التركيز على الأحداث السياسية والاجتماعية فلم تظهر حتى الآن، الرواية التاريخية. أو النفسية في النتاج النوبي. وهذا يؤكد لنا على أنهم يتحدثون مع الوطن الأم ولا يريدون الانفصال أو الاستقلال الذاتي.

السمة المميزة في الأدب النوبي

يمثل الكتاب النوبيون:

ظاهرة كتابية . تكتب عن مناطق وأناس أهملوا كثيرا . من الروائيين فمنذ كتب " خليل قاسم " " الشمندورة " والكتابات النوبية (عن النوبة) تخرج على استحياء . ولكنها منذ وقت ليس بعيدا . حصلت المجموعات القصصية النوبية على جائزة الدولة التشجيعية . وأعتقد أن الكتابات كثرت بعد هذه الجائزة - فحصل واحد منها على جائزة الدولة التشجيعية وأصبح لدينا أديبان نوبيان هما (حجاج حسن أدول) . (يحيى مختار) من المشهود لهما بالامتياز في الكتابة .

وهناك نوبيون آخرون قادرين على الحصول على أعلى الجوائز . لأنهم عثروا على تراث خاص أعطاهم تميزهم ، بالضبط كما أعطتهم جغرافيتهم البعيدة . وعزلتهم النسبية ، واعتمادهم على أبنائهم في المدن الكبيرة - المصرية والعربية - للحصول على الرزق الحلال : لأن بيئتهم الطاردة ، غير معطاءة من الناحية المادية وبهذا كثرت مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية . وبالتالي ، طلبوا الرزق خارج حدود مدينتهم التاريخية .

لكن هذه البيئة لم تبخل على ذويها بتراث أخلاقي ضخم . وبتراث أسطوري وخرافي يشبه إلى حد ما تراث الجماعات المعزولة من الغجر . أو الشعوب شبة البدائية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وبعض مناطق آسيا الكبيرة .

وقد خرج هذا التراث الضخم الممتد عبر عشرات ومئات الأجيال في أعمالهم
لما

كز ابن النوبة الذي خرج إلى المدن الكبيرة. لم يفارق تراثه بل حمل
بسر حديد صدره. يتحرك به ويفهم به. بل يمثل له هذا التراث لحظات
حياة قديمة على المستوى التاريخي (من المجد والانتصار) وعلى المستوى
غوري الذي يحمر له لحظات الطفولة واليفاعة والشباب بل الرجولة.

وهذا فن جتزر التاريخ النوبي. واجتزر لحظات السعادة الخاصة،
محمية من لكتاب لإعدة لتوازن النفسي والاجتماعي وهو يعيش في المدينة
سري وطفه. الذين يختلفون عنه في نوع الممارسات اليومية. حتى أنهم
يسوون معه في النروج من نقرى الجنوبية والشمالية إلى مناطق الرزق في
لقاهرة أو لإسكندرية أو مدن القنال أو مراكز التجارة و في الصعيد.

كل هذه السياقات تخلق داخل النوبي صراعا بين حاله الآن. وبين
حاله في لتاريخ. فيحن إلى أشياء كثيرة.

فيحن إلى " نياي المسك العتيقة " عند " حجاج حسن أدول " أو يحن
إلى ' عروس النيل " مثلما حن " يحيي مختار " أو إلى " بحر النيل " مثلما
حن ' إبراهيم فهمي " أو إلى عشق النوبة في " العشق أو النهر " عند إبراهيم
فهمي أيضا.

أو يحن لما " بين النهر والجبل " من علاقة عند " حسن نور ".

أو يحلم بالعودة إلى دولة النوبة القديمة كما عند إدريس عسي في
"دقطة".

المقارنة والموازنة والحوار بين كينونة الذات وكينونة الآخر إلى جوار
هدفها تحليل الخطاب النوبي، وتحليل التشكيل الجمالي لنصوص القصصين
والروائيين النوبيين.

التغير الكونى للنوبة والآداب النوبى (١٢)

إن ما حدث لبلاد النوبة هو تغير كونى . ولن أقول أن النوبة أصبحت كقارة أطلنترس المفقودة . فما زال البشر الذين استوطنوا النوبة منذ بداية الخلق موجودين . يحملون فى أعماقهم نسج الحياة القديمة التى لم تختلف كثيرا عما كانت عليه منذ بدأ الإنسان الأول حياته فى مدارج طفولته فى ذلك العصر القديم أدواته وطرائق عيشه عزلة المكان الذى لم تخرقه الآلة .. اللغة الخاصة والتى هى امتداد طبيعى للغة الإنسان المصرى القديم و التى لم تستطع اللغة العربية القضاء عليها كما فعلت فى لغات أخرى كثيرة . فما زال الإنسان النوبى فى مجتمعه سواء فى المهجر الجديد أو داخل أسرته فى المدينة يعبر عن نفسه بها . أغانيه وأفراحه عدودة الموت وحكاويه وطرفه . وما زالت هذه اللغة حية تحمل تراثا وقيما وعادات شديدة الخصوصية . مرتبطة بالنيل الذى كان يعبد . وما زال النوبى يتقدس .. يحبه ويخشاه .. لا يلوثه ولا يجعل شيئا يحجبه عنه . إنها منظومة كاملة وتجربة بشرية فريدة لم يلتفت إليها ولم يعتن بها أحد . ولم يعانيتها إلا من عاشها .

السينما المصرية والمسرح وأخيرا التلفزيون لم يقدم الإنسان النوبى - وهى من أخطر أدوات التعبير - إلا على شكل خادم أسمر أو أسود يتمنطق حزاما أحمر ويضع على رأسه طربوشا أحمر وينطق العربية بشكل مضحك . ليس هذا

هو النوبى ابن الحضارة العريقة وصانعيها. تماما مثلما يقدمون أبناء الصعيد فى بعض المسلسلات. وإذا كان الأديب النوبى يحاول أن يستعيد المكان الأول الطولى وفضاءه. وأن تعيد الهارب المتبدد وما قوضه الزمن فإن نظرتة لتراث أهله النادر والذى هبت شعوب العالم لإنقاذه والمحافظة عليه من الغرق والاندثار فأقامت له متحفا من خلال اليونسكو. فأن السؤال مازال يلح على الأديب النوبى أين مكاننا ونحن الذين ظللنا حراسا لهذه الكنوز خلال الحقب الطويلة ؟ وكان على الأديب النوبى أن يعبر عن هذه التجربة الإنسانية وعن معاناة الإنسان المصرى الذى اقتلع من جذوره فى تلك البقعة من أرض الوطن لم تتعرض طائفة من البشر لما تعرض له النوبى. والكاتب إذ يقبض على هذه الجمر المتقدمة. إنما يعرض لها من خلال تجربته التى عاشها هناك فى طفولته وصباه وشبابه. ومن خلال ثقافته التى تشربها عبر لغة مغايرة للغة الأم. يقدم الكاتب النوبى إبداعه الخاص هذا لبني وطنه الذين لا يعملون شيئا عن هذه البقعة من أرض وطنهم. إن معاناة الإنسان النوبى هى جزء من معاناة الإنسان المصرى الذى يلحقه نفس التهميش.

هناك أجيال سوف تأتى لاشك لم تعان من التهجير ولم تعيش فى النوبة القديمة وسيكون لها تجاربها الخاصة، وأن المرارة التى يمكن أن تلحظ فى بعض الكتابات النوبية لا تمس السد ولكن تشير إلى الإهمال وسوء الإدارة التى عولجت بها قضية الإنسان هناك، تماما كما هو حدث فى قضايا السيول فى الجنوب فى قنا وسوهاج وغيرهما مثلما فى انهيارات المنازل والعمارات فى

الزلازل ونحن جميعا خضنا معركة بناء هذا السد الذى كان ولا يزال لخير مصر كلها والذى خضنا من أجله حرب ٥٦ التى فرضت علينا عقابا لنا على تصميمنا على بنائه كضرورة فى مسيرة تنمية وتقديم بلادنا.

للكتابفة النوبفة ؤصوففة ؤرؤكز على ؤصوففة مكان ذى جغراففا وطبفة منفرفة. هى ؤئى أبعءت معمارا ؤاصا للبفء النوبى؁ فبئمى فى أصوله إلى العمارة الفرعونفة. والنفل لى الكاءب النوبى مئل الءارة لى عمفءنا وأساءنا نجفب محفوظ النفل هذا المسؤكفن الملوب على أمره هنا فى الشمال المروض والملوئ أمره فى النوبة مؤؤلف. هو هناك الأفرفقى الهاءر؁ هو الملك الذى ؤمل موسى فى مهءه ونجاه من فرعون فسكنه القوم الأءفار الذىن هم سلاة الأءاء الذىن فروا فى العصور السءقىة من الاضطهاد فرفعوا صفءه كما ؤرفع السجاءة واؤئفوا ؤءه.. النفل لا فءنس هناك.. النفل علم النوبى الجمال والظهارة والأمانة. ولأنه مءاط بهالات الإءلال والقءاسة لىا ؤقف البفوء النوبفة فى صفوف مءراصة موازفة للنهر لفرى النوبى النفل فى أصباحه وءفن فمسى. كل ذلك ؤلق قفما وعاءاء وأعرافا وقصصا وءكافاء وأساطفر. وؤلق أشكالا ؤاصة من الفنون النوبفة. النقوش والأشغال الفءوفة.. الجءارفاء الءاصة فى المعابء والكنائس والؤى ؤحمل أصءاء الفن الفرعونى والقبطى والوئنى.. العمارة.. كل هذا وءفره هى ؤصوففة ؤقاففة وءضارفة امءرءت فى وءءان الإنسان النوبى ضاربة فى عمق جءوره المصرفة الفرعونفة والقبطفة والإسلامفة ومن قبلهم الزنجفة. وما زال مبعءو النوبة باسؤمرار فئهم

يشكلون تيارا فاعلا وحضورا بليغا فى الحاضر الثقافى باعتباره رائد خصبا
يعمق نخر الإبداع المصرى

لم تكن الكتابة عن النوبة والناس فى القرى القديمة فى البؤرة الواعية
من توجهات كتاب النوبة فقد كان بناء السد العالى حلما قوميا استبد
بنا. متوارية خلف الإطار الوطنى الذى يحرك أدباء النوبة وتحقق حلم بناء
السد ومعه جاء الغرق والتهجير. وكنا نعى أننا سنقلع من جذورنا، ورغم ذلك
قمنا قومة رجل واحد لبنائه ولدافع عن حقنا فى تطوير حياتنا نحن حفدة
البناء العظام، ولكننا كرهنا البيروقراطية والإهمال وعدم الإدراك الواعى
والإحساس بالمسئولية القومية والإنسانية التى عالجت أوضاعنا، هذه
البيروقراطية وقصور الرؤية الذى تعامل مع الإنسان النوبى باعتباره كما
ينبغى نقله من مكان لمكان يحشره فيه، ويكون بذلك قد أدى ما عليه.. لم
تقف البيروقراطية لتتنظر وتتأمل حياة هؤلاء الناس من وطنه، كيف يعيشون،
ما هى عاداتهم وتقاليدهم، ولم تكن البيروقراطية قادرة على تحسس طبقات
التاريخ الذى يحمله وجدانهم، لم يعرف معنى وقيمة الموتى رفاتهم لم يعرفوا
مدى قداسة قبور الموتى التى توارثها النوبى عن أجداده الفراعنة، وما ورسخ
فى أعماقه من خشية اللعنة التى تصيب العابثين بها، ولذلك كان حارسا
أمينا لها طوال حقبة التاريخ ليكون هو الوحيد الوفى الأمين لأجداده
الفراعنة، فلم ينهبوا القبور ولا تاجروا فى ممتلكاتهم، ولم يدنسوا قداسة
الموتى، ولم يزعجوه فى مراقدهم الابدائية، لم تفهم البيروقراطية شيئا من

ذلك فلم تفكر فى أن ينقل النوبى معه رفات أهله ، الذين شعروا أنهم يتركون للطمى والأصداف والأسماك فى البحيرة أجسادهم ذويهم ، متخلين عنهم ، وخائنين للعهد . وهى نفس البيروقراطية التى تعاملت مع العمارة النوبية بخصائصها الفريدة بغلظة وغباء فدمرت جمالاً نادراً وتاريخاً معمارياً أصيلاً وموصولاً بالعمارة الفرعونية لا يمكن تقدير قيمتها الفنية والتاريخية ولا يمكن استعادتها ربما بدا ما أقوله رفاهية وحلما ساذجا فى الظروف التى كانت تمر بها البلاد وترفاً دافعه تعصب مقيت . ولكن يدحض هذا ما حطمه ذلك فى وجدان الإنسان النوبى . وقطع حقبة من تاريخه وذاكرته مشوها هويته ومكونات وجوده الروحى . سألبا الذاكرة المصرية فى شمولها عنصرا هاما وأساسيا من مكوناتها .

وهنا يطرح سؤال ساذج . أن بعد قضى الأمر . لماذا لم تنتقل قرانا حول البحيرة فى مواقعها القديمة ؟ تماما مثلما كنا نزحف نحو التلال شرقا وغربا مع كل تعليية للخزان ؟

القرية النوبية السياحية^(٢٤)

من حسن حظي أن مشروع تخرجي من كلية هندسة عين شمس كان عن القرية النوبية السياحية ولما كنت من مواليد القاهرة ولم أحظ بمشاهدة قرية أبو سمبل (بلدي) راجعت حكايات والدي الحاج يوسف زرار والعم محي الدين شريف الذي أطلقوا عليه "عميد الفن النوبي" عن بلاد النوبة (أرض الذهب) فكأنني عشت بها وتنفست ريحها النقية وطن في أذني مأمات الماعز وأصوات حركة النخيل وفي هارموني واحد تعزف سيمفونية النوبة.

فقررت أن يكون مشروعني هو قرية نوبية سياحية بمدينة أبو سمبل (بالنوبة القديمة) بعد بناء السد العالي.

قمت بزيارة ميدانية للموقع بمعبد أبو سمبل بعد أن حصلت علي خريطة كاملة للمدينة الجديدة وحددت مساحة ١٢٠ فدان ليقوم عليها المشروع.. الأمر الذي يتطلب دراسات مختلفة عن طبيعة الأرض والخامات المتاحة والأيدي العاملة التي تستطيع أن تعمل في صحراء جرداء لا زرع بها. رغم أن الماء متدفق من كل جانب.

وتركزت فكرة تنفيذ المشروع علي الشباب النوبي الذي أجبر علي تحصيل تعليم متوسط ثم يعمل فيكسب قوت يومه. فكان لا بد من الاستفادة من تلك الطاقة المدفونة داخل هذا الشباب في تحقيق حلم جده بالرجوع إلي أرض الوطن مع إظهار الطاقة الكامنة داخله.

وبعد فترة المخاض تولد قرية نوبية نموذجية سياحية مقصود بها العودة إلى النوبة القديمة التي اندثرت ببناء السد العالي.. فشتان بين القرية النوبية المتراسة في كوم أمبو منطقة التهجير وبين النوبية القديمة ذات القباب وأنصاف البراميل وفتحات التهوية المزخرفة ذات الأشكال الهندسية. أن أحد المؤلفين الفرنسيين "ديتون" يصف عمائر النوبة آبان حملة نابليون في مصر سنة ١٧٩٨ فيقول "أن بيوت النوبة التي تقع جنوبي جزيرة فيلة تمتاز بروعة مظهرها تتعاشق عمارتها برغم إقامتها من اللبن الممزوج بجريد النخل وجزوعه التي كانت تستخدم لتسقيف البيوت وإقامة عوارض من الباكيات والبوابات".

وخلال العرقات الأربع التي منيت بها النوبة خلال ٦٠ عاماً فقد الأهالي قراهم بعد فترات متوالية متعاقبة مقومات طرازهم المعمارية القديمة التي طالما لازمتهم.

ومشروع القرية النوبية يعيد بهذه القرية النموذجية الطراز القديم للعمارة النوبية بقبابها وزخارفها المميزة.. حيث يحس السائح أنه يعيش في قرية مختلفة تماماً عن النماذج المفروضة عليهم والتي قبلوها علي مضض فمرفوض في هذه القرية الأنماط الأوروبية أو الأشكال الحديثة، بل التمسك بالطراز التاريخي القديم. وعلي السائح أنه يحس أن يري شيئاً مختلفاً. نموذج قديم يعود إلى الحياه فيتحيل كيف كانت النوبة الجنة المفقودة.

والمشروع عبارة عن بناء قرية نوبية لأبناء النوبة تقوم علي أيديهم حيث أن القرية عبارة عن بيوت نوبية من الطراز القديم لا يستطيع أحد - خلاف النوبي - من بنائه حيث أنه أقدر شخص علي بناء هذا البيت إذ أن تصميم جدرانه وأبوابه وقبابه وشبابيكه وغيرها مغروس في قلبه وليس في عقله لذلك لا يمكن أي خطيء في لمسة من لمسات الجمال اللاصقة في وجدان أي شاب أو شابه نوبية وأيضاً أنه الشخص الوحيد الذي يمكن أن يزيح الغبار والتراب من علي وجه المجتمع المصري ليكون الرخاء والأمان وعدم الخوف من مواجهة الجفاف وكوارث الفيضان وعلي النوبيون بالاندثار والتفكك والانقراض إذا صح التعبير لذلك وجدت أن الشاب النوبي هو الأقدر.

فالوفود السياحية التي تأتي إلى أسوان وأبو سمبل تكون عائلات صغيرة فعلي الشاب النوبي أن يكون في استضافتهم في البيت النوبي الذي أكمل بناؤه بيده جملة وجعله في أبهى صورة تفخر به مصر وليشعر السائح بالألفة وذلك بدلاً من فنادق خمسة نجوم الذي مل منه السياح فهم يزورون حضارة مصر بعبقها التاريخي فكيف تتأقلم الحضارة القديمة مع حضارة الفرنجة من تكييفات وأجهزة أخرى فهم جاءوا ليتعايشوا مع الطبيعة النوبية . فعند وصول الوفد السياحي من أسوان على متن طائرة أو أتوبيس يكون في شرف انتظارهم مجموعة من شباب النوبة يقومون باستضافتهم في منزلهم النوبي يأكلون ما يطهيه النوبي من أكلات نوبية فيتأقلم السائح بالجو المحيط به ويقضي معه فترة أقامته ليعرف منه حضارة الأجداد المصريين من المعابد وأيضاً حضارة

النوبيين من أعمالهم التي يقومون بها سواء من الصيد والزراعة وصيد الصقور
والتماسيح وغيرها من المهن التي يجيدها النوبي القديم ومن هنا يتعرف السائح
علي من حافظ على تراث أجدادنا النوبيين القدماء وظلت كما هي على مر ٧
آلاف سنة.

حلم العودة إلى النوبة القديمة

منذ النصف الثاني من السبعينات أخذ المسئولون عن منطقة بحيرة ناصر في التفكير عن الهجرة المرتدة المحتملة وأين تقيم. وانتهى التخطيط إلى ضرورة إنشاء ثلاث قرى هي دابود ودهميت في الشمال وتوشكى في الجنوب، وهي ليست بعيدة عن التجمع العمراني النامي في أبو سمبل وقريّة السلام القريبة منها. واقتضى التخطيط أيضاً إنشاء مورد اقتصادي لسكان هذه القرى في صورة استصلاح نحو ألفي فدان زماماً لكل قرية.

وكان رأى مركز تنمية بحيرة ناصر في الثمانينات عشر قرى هي دهميت ومروا والعلاقي قبلي وبحرى ومحرقة/ سيالة في إقليم الكنوز القديم، والسبوع وكورسكو في إقليم العليقات القديم، وأبو سمبل في إقليم النوبة القديم، بجانب مشروع قديم تم بالجهود الذاتية لقرى أبو سمبل وقسطل وبلانة وأدندان.

وهذه غير كافية لاستقبال حركة الاستيطان المتوقع في حالة التنمية الجادة لمنطقة البحيرة. فإذا عدنا إلى القول أن مائة ألف مستوطن هو الحد الأدنى لكي تتكون لعمليات التنمية ذاتية انطلاق وتسيير، فإن معنى هذا عشرة آلاف شخص لكل قرية. وهذا عدد كبير لسكان القرى في مثل هذه المناطق ويؤدي إلى ظهور مشاكل الخدمات فوق مشاكل البنية الأساسية. وفوق هذا وذاك مشكلة إيجاد الموارد الملائمة لمثل هذا العدد والمقترح إذا ألب يزيد

عدد السكان فى مثل هذه القرى الريفية عن ألفين أو ثلاثة آلاف نسمة موزعون على عدد من النجوع المتجانسة. على نحو ما كان فى النوبة القديمة وعلى نحو ما نجده فى قرى ونجوع مركز أسوان.

ومن منطلق السيادة الوطنية على أرض الوطن. ومن منطلق عواطف الحنين لدى النوبيين للعودة إلى إقليمهم. ومن كافة المنطلقات الإستراتيجية والأمنية والتنموية من أجل الرفاهة. من أجل إعادة الحياة إلى بلاد النوبة التى كان مصير سكانها الهجرة أربع مرات خلال هذا القرن: الأولى إلى أراض مرتفعة بعد إنشاء سد أسوان ١٩٠٢م والتعلية الأولى سنة ١٩١٢ والثانية ١٩٣٣م والهجرة الرابعة خارج النوبة تماما إلى حوض كوم أمبو شمالى أسوان بعد إنشاء السد العالى فى الستينات. وغرق كل النوبة القديمة (المصرية والسودانية) تحت مياه بحيرة ناصر.

شعب النوبة الأصيل من حقه العودة إلى منطقة الدبار القديمة، ولعل الجيل الذى عاش النوبة القديمة قد انتقل إلى السماء. ولكن يبقى الشعور بأن هذه هى النوبة وإن امتدت بعرض بحيرة ناصر: هى الأرض التى تتداخل فيها كتل المياه العظيمة مع جبال الصوان والجرانيت والصخر النوبى باختصار سمة النوبة من القدم إلى الآن هى الماء والجبل يتركان. فراغات كالجيوب الصغيرة يشق فيها النوبى أسس حياة وحضارة مستديمة قليلة التغيير.

إلى متى تظل مساحة كبيرة من الوطن فارغة من السكان والسكن الدائم؟
إلى متى يحلم بعض النوبيين بالعودة إلى بلادهم ولا من مجيب؟ إلى متى نعيد

صورة سيناء حينما كانت قاصرة على أعداد قليلة من البدو. محظورة على سكان بقية مصر إلا بإذن مسبق. فكان ما كان من النضع الإستراتيجي والاقتصادى لسيناء عشرات السنين. وكان ما كان من اجتياحها المرة تلو المرة فى الحروب الأخيرة لأنه لا يوجد مركز شعبى يدعم الجبهة استراتيجيا وتكتيكيا ! وقد تنبه المسئولون إلى ضرورة أعمار سيناء. وفعلاً حدث إعمار ويحدث اعمار أشد كثافة كل يوم. ومشروعات التنمية تدرس وجدواها تبحث عن استثمار. والحكومة ضالعة بمشروع خارق للتنمية أساسه شق قناة السلام لجلب مياه النيل من فرع دمياط من أجل زراعة نحو نصف مليون فدان.

فما بالننا بالنوبة حيث الماء جاهز حاضر دون عناء شق قنوات وترع. الماء قريب المنال من كتلة بحيرة ناصر. وهناك أرض غنية التربة تكونت من فيض البحيرة وتراجعها تاركة غريناً خصباً. الأرض ليست كأرض سيناء الرملية أو السبخية، إنما هى أرض غرينية ذات سمك متفاوت، لكنه بكل المقاييس صالحة للزراعة دون أن تعوقه نفاذية الرمال الشديدة وتسرب الماء، أو دون وجود ملوحة عالية تتسم بها تربة السبخات. والأرض النوبية الداخلية البعيدة عن سطح التربة الفيضية صالحة لاستزراع أنواع خشنة من العشب والحشائش بواسطة الرى بالرش، من أجل اتخاذها مراعى لحيوان البيئة من أبل وأغنام وماعز وأبقار تدرج وتهجن لتتعايش مع البيئة القاسية. إذن الأرض بأنواعها، بالإضافة إلى مصايد الأسماك، جاهزة لتنوع إنتاجى زراعى رعوى فى مساحات معقولة قد تبلغ عشرات الآلاف من الأفدنة فى نواح متعددة

وخاصة حول اذرع البحيرة الضخمة فى كلابشة والعلاقى وتوشكى والسيالة وغيرها.

هذا فضلا عن الثروة الأثرية التى تشكل ركيزة السياحة الحالية فى النوبة. والتى يجب أن تتطور هى الأخرى إلى أشكال غير تقليدية من الجذب السياحى.

والإنسان هو العنصر الآخر فى الإنتاج. وهو موجود بكثرة ووفرة متمثلاً فى بعض النوبيين الذين يرغبون العودة وعدد أكبر من أهل قنا وسوهاج الذين لهم دراية سابقة بالنوبة القديمة ويشكلون قوة الصيد السمكى الحالى فى بحيرة ناصر. وليس متوقفاً إقامة مشروعات تهجير كثيرة فى وقت واحد. بل المطلوب إقامة عدد قليل من المشروعات الصغيرة على أساس هجرة تطوعية، بحيث تكون هذه المشروعات رائدة يستفاد منها لتجنب بعض الأخطاء فى المشروعات التالية. وليس من المستحسن البدء بالمشروعات الأولى بالكثير من الطبول. بل يكون كل شئ متواضع فى البداية حتى لا يحس الناس بالهزيمة إذا ما جاءت النتائج الأولية على غير المتوقع.

وربما كان الخوف كامن فى أن حصة مصر من مياه النيل (٥٥,٥ مليار متر مكعب سنوياً) مخصصة كلها للأراضى المصرية شمال السد العالى. وهذا فى حد ذاته ظلم وإجحاف بأرض النوبة. فهى مخزن المياه المصرية ولا تستفيد منها. وهى مصدر الطاقة الكهربائية من السد العالى ولا تستفيد منها إلا ظلم فادح هذا! هل هى كالعيس يقتلها الظماً وهى تحمل الماء على ظهرها!؟

وعلى أية حال فإن جانباً من الزراعة لن يكلف مياه كثيرة. بل ستكون زراعة حياض على النسق الفرعوني العظيم فى الأراضى التى تنسحب منها مياه البحيرة سنوياً. ثم ما ضرنا لو خصصنا ملياراً واحداً من الماء وملياراً آخر من الجنيهات أقساطاً على عدة سنوات من أجل تعمير النوبة تلك الأرض العظيمة التى تمتد نحو ٣٥٠ كيلو متر جنوبى أسوان. ما ضرنا لو نشأت قرى متعدد تثبت الهوية المصرية. وتنتج ما يمكن أن تسهم به فى مجال الاقتصاد الوطنى. وتشكل مرتكزات استراتيجية على طول بحيرة السد. وأخيراً تشكل همزة الوصل الضرورية لمصر جنوب أسوان فى اتجاه أشقاء الجنوب؟

الفصل السابع

المشاكل والحلول

- مذكرة للعرض على وزير المجتمعات العمرانية الجديدة
- تقرير لجنة الخدمات بمجلس الأمة
- لمن يهمله أمر النوبة

مذكرة للعرض على السيد الأستاذ الدكتور المهندس وزير الدولة للمجتمعات الجديدة والتعمير

أولاً: سبق للجمعية التعاونية للبناء والإسكان لأبناء النوبة بالقاهرة الكبرى وأسوان أن تقدمت بمذكرة بتاريخ ١٩٩٢/٧/٢٥ م برغبتها فى التعاون فى تعمير منطقة النوبة جنوب السد العالى بأسلوب تعاونى كمايلى:

- بناء منازل على الطراز النوبى وبالخامات المحلية.
- وعلى أن يتم تخصيص عدد ٥ أفدنة من الأراضى المستصلحة لكل منزل.
- وبمساهمة قرض تعاونى بواقع ٤٠٠٠ جنيه لكل منزل يقسط على ٢٧ سنة ويسدد العضو مقدم قيمته بواقع ١٠٠٠ جنيه للصرف منه أولاً ثم يستكمل المنزل من القرض.

وقد وافق السيد المهندس الوزير على ذلك بتاريخ ١٩٩٢/٧/٢٥ م.

ثانياً: ثم تقدمت الجمعية بمذكرة أخرى لتأكيد المواقع السابقة وللبدء فى المناطق الآتية:

- ١- منطقة التكامل (أردنان قسطل) بالشرق.
- ٢- منطقة أبو سمبل (قرية السلام بلانة) بالغرب.
- ٣- منطقة توماس وعافية والعمدا بالغرب.
- ٤- منطقة كلايشه وجرف حسين بالغرب.

هـ - منطقة العلاقى والسيالة بالشرق.

وقد وافق السيد المهندس الوزير على ذلك بتاريخ ١٩٩٣/٨/٢ م
وبنفس الأسلوب التعاونى والمبادئ الموضحة سابقاً

ثالثاً: وفى خلال شهرى ديسمبر ٩٣ ويناير ٩٤ قامت لجنة من الجمعية
لزيارة المنطقة للبدء فى اتخاذ الإجراءات اللازمة وقامت هيئة تنمية
بحيرة السد العالى بتكليف فنيين لمرافقة اللجنة لتحديد المساحات
اللازمة على الطبيعة فى المناطق التى سبق الموافقة عليها بحيث تكون
فى مناطق يمكن تخصيص مساحات للزراعة بها.

وفى نهاية مهمة اللجنة والفنيين قامت الهيئة بإعداد خطاب إلى السيد
الأستاذ المحاسب / النائب الأول لرئيس هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة
المشرف على الهيئة بما يفيد أن هيئة تنمية بحيرة السد العالى ليس لديها
مانع من تخصيص تلك المساحات للجمعية تشجيعاً لهذا النشاط الهام بالنسبة
للتوطين على شواطئ البحيرة خاصة وأن تلك المساحات غير مستهدفة لأنشطة
أخرى بالهيئة كما قامت الهيئة بإرفاق خرائط محدد عليها المساحات المطلوبة
والمواقع بمعرفة الفنيين بالهيئة.

رابعاً: وبناء على ما سبق تم عرض الأمر بكل جوانبه على سيادتكم وتفضلتم
سيادتكم بالموافقة - على جميع ما سبق فى ١٩٩٤/٧/٦ م.

خامساً: وفى ١٩٩٤/١٠/١٣ قامت الجمعية بالكتابة إلى السيد المهندس /
رئيس مجلس إدارة هيئة تنمية بحيرة السد العالى لتحديد مناطق بدء

العمل بصفة أولية مرحلة أولى فى ثلاث مناطق بكل منطقة ٢٠٠ منزل طبقاً للخرائط السابق تحديد المواقع بها بمعرفة الهيئة ولتقوم الجمعية باستلام هذه المناطق تمهيداً لدعوة السيد الأستاذ المهندس الدكتور الوزير واللواء محافظ أسوان لوضع حجر الأساس فى احتفال شعبى يليق بهذه المناسبة.

سادساً: وفى تاريخ ١٦/١١/١٩٩٤م ورد إلى الجمعية كتاب الهيئة العامة لتنمية بحيرة السد العالى تطلب موافاتها بالخرائط المساحية التفصيلية للمساحات المطلوبة لدراستها واتخاذ الإجراء اللازم مع هيئة المجتمعات العمرانية ثم أفادت بكتابها أن جميع المساحات حول البحيرة لم يتم بها مشروعات بنية أساسية (صرف صحى كهرباء مياه شرب) وعلى الجمعية القيام بها.

ولما كان مبينا من خلال الموافقات المذكورة وكتاب هيئة تنمية بحيرة السد العالى أنها قامت بتكليف فنيين من الهيئة لتحديد المساحات وإعداد الخرائط المساحية اللازمة ولما كانت الهيئة العامة لتنمية بحيرة السد العالى هى الجهة التى تشرف على المنطقة جنوب السد العالى.

لذلك

ترجو الجمعية إيماناً منها بضرورة تعمیر هذه المنطقة لتكون امتداداً لمنطقة النوبة بكم أمبو استيعاباً لأبنائها من الشباب الذين يمثلون أعداداً كبيرة يزيد على ٤٠٪ يعيشون فى بطالة يمكن ان يؤدي بهم إلى الانحراف

والتخلل وإيماناً بضرورة تعمير هذه المنطقة باعتبارها مناطق حدود جنوبية للدولة ولا بد من خلق مجال للحياة.

وكذلك ما تمثله تعمير هذه المنطقة من خلق مجال سياحي هام كما كان من قديم الأزل.

نرفع هذا لسيادتكم راجيين صدور أمركم الكريم بضرورة تسليم الجمعية هذه المناطق السابق الموافقة عليها أكثر من مرتين لتبدأ العمل على بناء المنازل وتسليم الأرض الزراعية وتنفيذ الموافقات التي بدأت من ١٦/٧/١٩٩٢م ولاسيما وأن السيد رئيس الجمهورية يشجع تسليم الأراضي بالمجان مع تحمل الدولة تكاليف البنية الأساسية لجميع الشباب الراغب فى الإنتاج وخاصة جنوب الوادى.

رئيس الجمعية

محمد أمام حمزة

تقرير لجنة الخدمات عن مشاكل المهجرين من أهالي منطقة النوبة الجديدة

أثناء دور الانعقاد الأخير للمجلس السابق نهاية سنة ١٩٧٠. تقدم بعض أهالي منطقة النوبة الجديدة إلى الأستاذة بثينة الطويل، رئيسة اللجنة الفرعية للخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية وشئون الأوقاف، المتفرعة عن لجنة الخدمات، بعدة شكاوى تتضمن عرضاً لمشاكلهم العامة التي نشأت عن تهجيرهم إلى منطقة النوبة الجديدة بعد إنشاء السد العالي.

وقد قامت سيادتها بفحص هذه الشكاوى، وزارت مناطق التهجير بالنوبة الجديدة، وشاهدت على الطبيعة جسامه المشاكل التي يتعرض لها المهجرون. واستمعت إلى ملاحظاتهم وآرائهم، وخرجت من كل ذلك بحصيلة ضمنيتها تقريراً تقدمت به للسيد رئيس لجنة الخدمات.

ثم عادت اللجنة للاجتماع بالسادة المسؤولين في القاهرة، حيث عرضت المشاكل محققة. وكان أهمها على سبيل المثال مشاكل انقطاع مياه الشرب عن بعض مناطق التهجير. ومشكلات المباني العامة والخاصة وما ظهر فيها من تشققات ونشع وكذلك مشكلات الأراضي الزراعية التي لم تسلم بعد للأهالي، وعدم كفايتها لسد حاجة المواطنين في كوم أمبو وعدم صلاحية بعضها للزراعة في توماس وعافية.

جاء بالتقرير:

- النوبة جزء عزيز من أرض مصر. كريمة عليها الكرم كله.
- وأهلها بررة أعزة أوفياء على خلق وشهامة ودين. جمعوا بين أصالة الشمال وأنفة الجنوب.
- وإذا ذكرت النوبة ذكرت معها تضحياتها الجسام، على مر السنين وكر الأعوام: لم تبخل بغال، ولم تظن بثمانين. فى سبيل دولة وادى النيل العظمى، فمن أجل مصر ومن أجل نهضتها ورقبها. بل ومن أجل حياة بنيتها، ضحوا أكثر من مرة بما لم يضح به شعب من قبل.. ضحوا بمواطنهم التى نشئوا فيها ودرجوا. وأنشأوا عليها مجتمعهم القوى المتماسك النبيل، وأخذوا يتنقلون على مر السنين. من موطن إلى موطن، باذلين بذل الكريم غير ممتنين ولا مفاخرين.
- ومن عجب أن كل فائدة كبرى، وكل فتح مبين من نبينا العظيم. لم يكن ليتم إلا على حساب هؤلاء المواطنين الأوفياء. فكل تعليمة لسد أسوان، وكل إفادة من مياه نهرنا الخالد، تكون نعمة وبركة تعم الوادى كله إلا أبناء النوبة. فلا تروى أرضنا العطشى إلا بعد إغراق أراضيهم ومساكنهم بالمياه.
- تفيد البلاد جميعاً ويدفعون وحدهم الثمن. ثم جاء السد العالى، فوضع حداً نهائياً لهؤلاء الجوالين الضارين فى الأرض، إذ قضى بنقلهم جميعاً إلى داخل البلاد، بعد أن حكم بإغراق البقية الباقية من أرضهم. وإذا كانت الحكومات الغابرة قبل الثورة لم تقابل إحسانهم بالإحسان الواجب. فلم تجزهم عن

تضحياتهم الجزاء العادل عما فقدوه، ولا نقول الجزء الأوفى، فإن رحمة الله قد أدركتهم أخيراً وحق قول الله: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب".

وإذ برئيس الجمهورية يزورهم فى بلادهم قبل تهجيرهم منها، ويقول لهم: "إن الخير الذى سيعم على أبناء النوبة، سيكون الخير الكثير، لأنه سيجمع شمل أبناء النوبة جميعاً على الأسس الصحيحة لبناء مجتمع قوى سليم.. إننا نعتقد أن عملية التهجير من هذا المكان ستكون عملية منظمة ومريحة ومركزة، وستنتقلون هذه القرى التى عشتم فيها إلى مناطق جديدة تشعرون فيها بالسعادة والرخاء".

لذلك قامت الدولة باعتماد مبالغ ضخمة بلغت ٤٦ مليوناً من الجنيهاً لتنفيذ البرنامج الضخم فى تهجير حوالى ٥٠ ألف نسمة مقيمة يؤلفون ١٦٨٦١ أسرة. غير الأسر المغتربة عنها والتى تبلغ ٨٤٦٧ أسرة.

وكان مشروع التهجير هذا من أكبر العمليات التى تقوم بها دولة من الدول، ولذلك حرصت الهيئات الدولية على أن تتابع جهود جمهوريتنا الفتية الناشئة وهى تقوم به كعمل ضخم لا يقل خطورة وضخامة وروعة عن بناء السد العالى نفسه. فنقل شعب بأسره من منطقة إلى أخرى بكل مقومات حياته فى مجتمع كامل، ليس بالأمر اليسير.

وتورد اللجنة فيما يلى مشاكل المهجرين مفصلة مبوبة:

أولاً: مشاكل الإسكان

تتلخص مشاكل الإسكان فى الآتى:

١- فيما يتعلق بالمباني:

(أ) ظهور التشققات فى المباني العامة منها والخاصة وظهور النشع فى كثير من المباني. وبخاصة مساكن الأهالى فى كوم أمبو.

(ب) كسح دورات المياه.

١- رغبات الأهالى.

٢- انقطاع مياه الشرب عن كثير من القرى ولعديد من الأيام.

وفىما يلى بيان ذلك:

١- بالنسبة للمباني

(أ) فيما يتعلق بالتشقق والنشع:

شكا الأهالى من تشقق بعض المباني وتصدعها وظهور النشع فيها حتى

صارت غير صالحة للسكنى أو الاستعمال.

وقد تحقق ذلك للجنة فعلاً خلال زيارتها للمنطقة. وبخاصة بالنسبة

لمباني قرى: أوندان جهميت امير كاب أبوهور دار السلام دابود

فلقد تأثرت كلها بمياه النشع نتيجة لشق الترع. وغمر الأراضى الزراعية

بالمياه وعدم كسح دورات المياه بالمنازل.

كما أدلى السيد وزير الإسكان والمرافق فى أحد اجتماعات اللجنة بأن

الوزارة قامت بصدد القضاء على الشكوى من النشع والتشقق بما يلى:

(أ) قامت الوزارة بعمل جدول يبين المباني السليمة والمباني التي بها شروخ أو تنميلات.

(ب) شكلت لجنة من أساتذة كلية الهندسة لمعرفة أسباب الشروخ أو النشع ونوعية التربة والمصارف. وفي ضوء تقريرها ستوضع الحلول السريعة.

(ج) هناك مبالغ محجوزة لدى وزارة الإسكان، تحت حساب المقاولات سيتم الصرف منها على الترميمات اللازمة في أقرب وقت ممكن.

(د) كلفت شركات المقاولات بالتوجه فوراً إلى المنطقة لعمل الترميمات اللازمة.

(هـ) دعت لجنة التهجير العليا للاجتماع يوم ١٦/٤/١٩٦٨ لوضع برنامج تنفيذى وخطه عمل على أساس من الدراسات الموجودة.

(و) كان النشع على بعد مترين وأصبح الآن على بعد يتراوح بين ٢٠ و ٤٠

سم.

تقرير ابتدائي **عن حالة مساكن التهجير والمباني العامة بمنطقة كوم أمبو**

١- طبيعة وادى كوم أمبو.

٢- الأبحاث التى تمت فى الموقع لاختيار نوع الأساسات الملائمة.

١. المعاينة :

ثبت من المعاينة وجود أضرار متفاوتة فى المباني. وترى اللجنة أنه من

الملائم بالنسبة لذى الأضرار أن تقسم إلى قسمين:

أ- المباني السكنية.

ب- المباني العامة.

واقترحت اللجنة أن يتم الإصلاح على النحو التالى:

١- بصفة عامة يلزم تغيير التالف من مواسير الصرف ومواسير المياه وإعادة

تركيبها على أسس سليمة مع إقامة خزانات تحليل لكل مبنى وبيارات

صرف أو ترنشات تبنى حسب الأصول الفنية.

٢- بالنسبة لقرية دار السلام لابد من تغيير مجرى الصرف بحيث يكون سيره

من الشمال إلى الجنوب بدلا من خط سيره الحالى. ألا يسير من بلانه ماراً

بقرية الطويسة، إلى قرية دار السلام إلى نجع الشيخ إبراهيم وهكذا إلى

نهايته وهذه المسافة لا تزيد على ٥ كيلو مترات على أن يعمل له ممر

تحت السكة الحديد.

٣- بالنسبة لقرية دهमित: لابد من نقل المنازل التي ظهر بها الرشح بكثرة والتي تداعت إلى المكان المرتفع الذى أنشئت عليه مباني المرافق والخدمات لأنه لا فائدة من إجراء أى إصلاح لها فى موقعها الحالى. وهذا فى المستطاع إذ يمكن فك المنازل وإعادة تركيبها لتلافى الأخطاء السابقة.

هذا وعند زيارة اللجنة لمنطقة كوم أمبو شاهدت العمل يجرى فعلاً فى ترميم المباني العامة وبخاصة مدرسة ناصر الإعدادية والمستشفى العام. ويسرها أن تجد وزارة الإسكان قد أخذت بما جاء فى مذكرة اللجنة بشأن عمل مشروع صحى كامل لهذه المباني طبقاً للرسومات التى قدمت لها.

هذا وعند اجتماع اللجنة بالسيد وزير الإسكان والمرافق بتاريخ ٦٩/١٢/٢٣ أفاد سيادته فى هذا الصدد بما يلى:

بالنسبة للعيوب والشروخ التى ظهرت فى بعض المباني:

المساكن:

بناء على تعليمات الوزارة قامت الشركة التى سبق لها تنفيذ القرى بترميم المساكن التى استدعت حالتها ذلك وقد تم هذا العمل فعلاً فى يناير من هذا العام وقامت الشركات بتسليم المساكن سليمة إلى شاغليها وإلى مندوبى لجنة الاتحاد الاشتراكى بكل قرية وحصلت منهم على ما يثبت ذلك.

المباني العامة:

فيما عدا المباني السبعة التى يجرى إصلاحها تحت إشراف لجنة السادة أساتذة كليات الهندسة والمكتب العربى للتصميمات والاستشارات

الهندسية ، فقد قامت شركة فيما يخصها بإصلاح المباني العامة التي استدعت حالتها ذلك تحت إشراف مهندسى الوزارة.

أما بالنسبة للمباني السبعة السابق الإشارة إليها فيمكن بيان ما تم فيها كما يلي :

١- المدارس: تمت جميعها وبدأت الدراسة فيها فعلاً عند بدء العام الدراسى الحالى فى أوائل سبتمبر الماضى.

٢- القسمان الداخليان ومدرسة المعلمين بمدينة نصر: جارى العمل فى إنجاز الترميمات اللازمة لهما وقد قاربت أعمال القسم الداخلى للمدرسة الثانوية على الإنتهاء فعلاً.

ويعزى سبب تأخر إتمام هذه المباني الثلاثة إلى الدراسة المستفيضة التى قامت بها لجنة السادة أساتذة كليات الهندسة والتى استغرقت بعض الوقت إلى جانب أن شركة الجيزة العامة للمقاولات (التي تقوم بالعمل) ركزت أغلب الجهد لإنهاء إصلاح المدارس وتسليمها قبل بدء العام الدراسى منعاً لتعطل الدراسة.

هذا ولقد قامت الوزارة من جانبها بالتصريح لمديرية الإسكان والمرافق بمحافظة أسوان بإقامة ثلاث عمارات سكنية فى مدينة نصر واعتمدت المبالغ اللازمة لإنشائها وذلك لاستعمالها فى سكنى الطلبة إلى حين انتهاء أعمال الترميمات بالقسم الداخلى.

٣. الوحدة المجمع بالمالكي:

تم أغلب الأعمال الإنشائية فى كل من دار الحضانه والوحده الإجتماعية والوحده الثقافيه وجر أعمال الدهانات والتشطيبات تمهيداً للتسليم. جار العمل فى الوحدة الطبية وقد تمت الأعمال الإنشائية وجر تشطيب التوصيلات الصحية ومنتظر إنهاؤها فى الشهر الجارى. بدأ العمل فى الوحدة السكنية وقد تعهدت الشركة بإنهائه خلال يناير القادم على الأكثر.

٢. رغبات الأهالي

- أ - ما يتعلق بإمكانية التصرف فى البناء أو تعليه المساكن:
- شكا الأهالي من أنه غير مسموح لهم بتعليه المباني أو زيادة عدد الحجرات، كما طالب بعض الأهالي، ممن ليس لهم الحق فى التملك، بالحصول على أراض لإقامة مبان جديدة لهم.
- ب- بناء الحظائر.
- ج- المغتربون :

يشكو الأهالي من أنه قد تم حصر المنتفعين على أساس القائمين فعلا والمغتربين ممن كانوا يملكون منازل فى النوبة القديمة. ولكن نظراً للسرعة التى تم بها التهجير، فقد أقيمت مساكن للذين كانوا مقيمين فعلاً أثناء التهجير. أما بالنسبة للمغتربين فقد رثى تأجيل إقامة مساكن لهم.

وقد مضت أربع سنوات منذ بدء التهجير ولم تبذل لهم مساكن رغم مطالبتهم المتكررة بإقامتها.

ولقد طالبت اللجنة بالإسراع ببناء مساكن المغتربين على نمط المساكن الحالية والسير فى التنفيذ على مراحل زمنية. وبالنسبة لإسكان النوبيين بمنطقة كوم أمبو:

قامت مديرية الإسكان والمرافق بالاتفاق مع القيادات الشعبية والسياسية بعمل رسومات المساكن وبيان المساكن المطلوبة فى كل قرية ثم قامت بطرح العملية فى عطاءات تم فتح مظاريفها على أن ينتهى العمل من المساكن قبل نهاية السنة المالية.

أما بالنسبة للإسكان بقرية توماس وعافية بمنطقة إسنا:

فقد تم دراسة نماذج المساكن المطلوب إقامتها بالاشتراك مع المسئولين من أعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكي. وينتظر البدء فى طرحها فى المناقصة العامة خلال أسبوعين ليبدأ التنفيذ فى النصف الأول من يناير الحالى وتتم قبل نهاية العام المالى الحالى ١٩٧٠/٦٩.

هذا وتوصى اللجنة بإدراج المبالغ اللازمة لبناء مساكن المغتربين ضمن الخطة الخمسية لوزارة الإسكان والمرافق.

٣- فيما يتعلق بمياه الشرب

أ- فى كوم أمبو.

ب- فى إسنا.

ثانياً: مشاكل الري

وتتلخص مشاكل الري فى الآتى:

١- الري.

٢- الصرف.

٣- المساحة.

ثالثاً: مشاكل الزراعة واستصلاح الأراضي

وتتعلق مشاكل الزراعة واستصلاح الأراضي بمنطقتين هما كوم أمبو وإسنا:

أولاً: المشاكل المتعلقة بالمهجرين إلى كوم أمبو.

وتتلخص مطالب الأهالى بالنسبة للأراضي الزراعية فيما يأتى:

١- سرعة توزيع الأراضي التى تم استصلاحها على المستحقين.

٢- إعادة النظر فى الأسس والأساليب التى اتبعت لتعيين من يستحق الأرض

الزراعية بحيث يراعى:

أ- توزيع الأراضي على كل أسرة تعمل بالزراعة دون النظر إلى وضع رب

الأسرة الذى لا يعمل فى الزراعة لعجزه أو شيخوخته.

ب- توزيع الأراضي على كل أسرة يربها أفراد يعملون فى الزراعة ولو كان رب

الأسرة يمتدح مهنة أخرى.

ج- توزيع الأرض على كل من كان يملك أرضاً فى النواحي القديم دون تقييد

بالمساحة التى كان يملكها.

د- توزيع الأرض على كل الأسر التي تصرف لها الآن إعاشة من الشئون الاجتماعية.

هـ- تملك أرض لكل من فقدوا مهنتهم بسبب التهجير كالمراكبية وصائدى الأسماك.

رابعاً: مشاكل الشئون الاجتماعية

وتختلف المشاكل المتصلة بوزارة الشئون الاجتماعية لمنطقة كوم أمبو عنها بالنسبة لمنطقة إسنا.

١- فيما يتعلق بكوم أمبو:

وهذه تلخص فى:

أ- تعريف الأسرة.

ب- التعويضات.

ج- الإعاشة.

د- عقود التمليك.

٢- فيما يتعلق بإسنا:

طالب الأهالى بعدم حرمان الأسرة التي يقل دخلها عن ١٠ جنيهاً شهرياً من الإعاشة.

وأجاب السيد وكيل الوزارة بأن ذلك يخالف القواعد المعمول بها.

خامساً: مشاكل النقل

١- بالنسبة لمنطقة كوم أمبو:

يطالب المواطنون من بدء التهجير إلى اليوم بوقوف القطارات أرقام ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٨٨ ، ٨٩ بصفة دائمة على محطة كلابشة. لأن هذه المحطة تخدم منطقة كبيرة وقرى مجاورة كثيرة. وهى الشريان الحيوى إن لم يكن الوحيد الذى يربط هذه المناطق النائية ببلاد الجمهورية شمالاً وجنوباً. وقد وافق السيد وزير النقل على وقوف القطار رقم ١٦٣ ، ١٦٤ بمحطة كلابشة ابتداء من الجدول الصيفى هذا العام.

واللجنة توصى بما يلى:

- ١- تعبيد الطريق الرئيسى لقرى التهجير حيث أن الأتوبيسات قد ساءت حالتها واستهلكت بسبب سوء الطرق وعدم صيانتها.
- ٢- إنشاء خط أتوبيس داخلى يربط قرى ومدن التهجير.
- ٣- تخفيض تعريفه الركوب نظراً لظروف الأهالى الخاصة.
- ٢- بالنسبة لمنطقة إسنا:

لأهالى منطقة تهجير إسنا رغبات تتعلق بالنقل، واللجنة توصى بتحقيقها وهى:

- ١- رصف الطريق الموصل من مدينة إسنا والقرية رقم ١ وطوله حوالى ٥ كيلومترات.
- ٢- تخفيض تعريفه المواصلات بما يتناسب مع ظروف الأهالى.

- ٣- تنظيم دورات الأتوبيسات حيث أنها غير منتظمة.
٤- توفير الأتوبيسات الصالحة نظراً لأن الأتوبيسات الحالية كثيرة العطل.

سادساً: مشاكل الصحة

بالنسبة لمنطقة كوم أمبو وإسنا.

وبالنسبة لحالة سيارات الإسعاف بمنطقة بلاد النوبة بكوم أمبو:

حالة السيارة	المجموعة الصحية
١- المجموعة الصحية بكلابشة	تم إصلاحها وتعمل حالياً
٢- المجموعة الصحية بعنييه	صالحة للعمل
٣- المجموعة الصحية ببلانة	تم إصلاح السيارة المخصصة لخدمتها
٤- المجموعة الصحية بالمالكي	توجد سياراتا إسعاف بمركز نصر تخدمان هذه القرية التي تبعد عنها أقل من كيلومتر.

سابعاً: مشاكل التعليم

ثامناً : مشاكل التموين

- ١- بالنسبة لمنطقتي كوم أمبو وإسنا.

تاسعا : مشاكل الثقافة العامة

إسنا :

شكا الأهالي في العام الماضي من عدم وجود أجهزة للتلفزيون ليكونوا على مستوى زملائهم في كوم أمبو في الإتصال الفكرى بالبلاد وما يحدث فيها.

وفي هذا العام تم فعلا شراء جهازين لقرى توماس وعافية.

عاشرا : مشاكل الحكم المحلى

طالب أهالى مناطق التهجير بتمثيلهم بمندوبين عنهم فى لجنة التهجير بإسنا لأنهم أعرف بمشاكلهم من غيرهم. وقد تم فعلا تحقيق مطلب الأهالى.

حادى عشر : مشاكل الداخلية

طالب الأهالى بزيادة قوة الأمن فى كل من منطقتى التهجير بكوم أمبو وإسنا وبخاصة فى قرية ٤ (حلقا) وتوفير دوريات شرطة ليلية للمحافظة على الأرواح والأموال.

ثانى عشر : مشاكل المواصلات

١- بالنسبة لكوم أمبو:

يشكو الأهالى من عدم ربط جميع قرى النوبة الجديدة بشبكة تليفونات.

٢- إسنا :

شكا الأهالى بمنطقة إسنا من عدم وجود خدمة بريدية. مما يؤدى إلى عدم وصول الطرود البريدية إليهم فى قراهم. وقد يكون فيها مواد قابلة للتلف أو الكسر.

ثالث عشر : مشاكل العمل

يشكو الأهالى من عدم وجود فرص للعمل فى مناطق تهجيرهم الجديدة.

رابع عشر : مشاكل الخزائنة

إن كل مطالب مجتمع المهجرين وهى مطالب متواضعة وضرورية ولصيقة بالحياة كما سبق إيضاحه . تحتاج إلى المال . وهو بالغاً ما بلغ . ليس بالكثير على مهجرى النوبة فما قدموه أعظم وأضخم . وبقي أماننا تقدير الوفاء . مسئولية إقامة مجتمع جديد متكامل يليق بمصر الثورة . وبمن ضحوا من أجل مصر الثورة كما أمر بذلك زعيم البلاد وقائدها جمال عبد الناصر .

وتتشرف اللجنة بعد ذلك برفع تقريرها للمجلس الموقر . آمله أن يحظى بموافقته ، ان يقر ما جاء فيه من توجيهات وتوصيات . بعد أن أملت به الجوانب الحيوية التى مست مجتمعنا الناشئ فى كوم أمبو واسنا .

رئيس لجنة الخدمات

خالد محى الدين

لن يهمه أمر النوبة

عند بناء خزان أسوان ١٩٠٢م وارتفاع المياه خلفها إلي منسوب ١٠٦ مترا عن سطح البحر، تأثرت قرى دابود وودهميت وامباركاب وكلابشة حتى قرية المضيق باختفاء مئات الأفدنة الشاطئية نظرا لارتفاع المنسوب.

وفي التعليمة الأولى ١٩١٢م ازدادت المياه المحجوزة خلف الخزان إلي مسافة ٣٢٥ كيلو مترا جنوبا (من أسوان إلي حلقا) وارتفع المنسوب فيما بين ١١٠ مترا ١٢٠ مترا مما أحدث انقلابا في حياة النوبيين، حيث غمرت المياه الأراضي الزراعية أكثر من نصف السنة ما بين (يونيه وأكتوبر) ولولا اجتهاد المزارعين النوبيين فى زراعة الأراضي بالسواقي في فصل الصيف لحدث مالا يحمد عقباه. (هذا أكبر دليل علي مشابرة النوبيين في فلاحه الأراضي وليس كما هو شائع عنها).

استطاع أبناء النوبة بعد هذه التضحيات في مواصلة الحياة وزراعة الأراضي الجديدة والانتقال للأراضي المرتفعة للإقامة والسكن في ملحمة بطولية دون صخب.

وبعد التعليمة الثانية لخزان أسوان ١٩٣٣م وارتفاع المنسوب إلي ١٢٢ مترا. بلغت الأطيان الزراعية منزوعة الملكية للصالح العام حوالي ٣٢ ألف فدان قدرت الحكومة تعويضاتها بثلاثين جنيها مصريا للفدان ! وهي من أجود الأراضي الزراعية المتكونة من رواسب طمي النهر.

أما المساكن في النوبة فقد بلغت ١٨٦٧٤ مسكناً في تعداد ١٩١٧م. وإذا قدرنا عدد المساكن التي غمرتها المياه بـ ١٠ آلاف مسكن علي أقل التقديرات. نجد أن المأساة بلغت ذروتها علي أساس عدد الغرف ! ومن المعلوم أن الأفنية النوبية كانت تصل في بعض المنازل مساحة $\frac{1}{4}$ فدان ! وكانت أصغر البيوت النوبية لا تقل عن ٢٥٠٠م.

وكان التقدير الجزافي واضحاً في تعويضات النخيل وهي المحصول الرئيسي لبلاد النوبة (كانت حوالي مليون وربع مليون نخلة) ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا الحد من الاستهتار، لكنه كان حشفاً وسوء كيله. فقد بلغت المأساة ذروتها حينما تركت الحكومة الأهالي عرضة للسكن بين قمم الجبال والمرتفعات، دون أخطارهم بتدبير مساكنهم لأنها صرفت لهم تعويضات المساكن قبيل الغمر، وانتهز البناءون هذه الفرصة واثروا علي حساب هؤلاء المنكوبين حتى صارت تكاليف البناء أضعاف التعويضات ! فلجأ البعض للاستدانة والآخر لبيع ماشيتهم بسعر كيلو من اللحم في مصر !

ولهت الأهالي خلف الحكومة لأخذ التعويضات من ١٩٣٣ إلى ١٩٤٦م ! (امتناع أهالي توماس وعافية عن صرف التعويضات) ورفضوا الاستيطان في كوم أمبو وبعد بناء السد العالي ١٩٦٠م و١٩٧٠م وغمر أراضي النوبة قاطبة لمسافة ٥٠٠ كيلو متراً جنوب السد العالي وتهجير الأهالي شمال السد، وزعت الحكومة علي الأهالي بالنوبة الجديدة حوالي ١٥,٩ ألف فدان قدرتها الحكومة بمليونين ومائة وخمسة وخمسين جنيهاً.

أما التعويضات النخيل فقد كانت مثل سابقاتها !

بعد قرن من التضحيات ١٩٠٢ - ٢٠٠١م التي قام بها النوبيون فإننا

نقترح الآتي :

١- إقامة مجتمع علي ضفاف بحيرة ناصر زراعيًا وسمكيًا وصناعيًا بانتفاع

الأودية : العلاقي وكركر وكلايشة وتوشكي وأدندان ، حيث تقدر أراضي

هذه الأودية بنصف فدان. علي أن يتم ري هذه الأراضي بالآبار الجوفية

في معظمها كما في توشكي.

٢- الاستفادة من طبقة الكنتورات العليا من شواطئ البحيرة التي لا تغمرها

المياه أو تغمرها في فترة وتنحسر عنها (كنتور ١٨٠ ١٨٥م) حيث تمتاز

هذه الأراضي بالخصوبة.

٣- إقامة مصنع للطوب من طمي البحيرة ومصنع للجلود ومصنع للأسمك.

علي أن تكون تلك المصانع لأبناء أسوان المتضررين من بناء الخزان والسد

العالي.

٤- أحياء مشروع مركز تنمية بحيرة ناصر في الثمانينات بإنشاء عشر قرى

هي : دهميت ، مرواو ، العلاقي ، المحرقة ، السيادة ، السبوع ، كرسكو ،

عنيبة ، ابريم ، توشكي - أبو سمبل . وإقراض الخريجين والشباب من بناء

المساكن في تلك القرى . أو بناء مساكن لهم من قبل الحكومة علي غرار

مساكن عاملي توشكي.

٥- بعد إعادة الآثار النوبية المهجورة علي ضفاف البحيرة علي خريطة السياحة أن تكون الأولوية في التوظيف والعمالة لأبناء أسوان من خريجي السياحة والفنادق والآثار والعمالة العادية. وتخصيص جزء من عائدات هذه السياحة في تعمير مناطق البحيرة وإملاءها بالخدمات والمرافق التحتية لتكون نواة لمدينة سكنية.

٦- العمل علي تشجيع تربية الماشية من أبقار وأغنام وماعز في مناطق معينة من البحيرة، وإقراض الشباب والخريجين في هذه المشروعات.

٧- تشجيع الجمعيات الزراعية النوبية في مشروع توشكي. وإعطاء الأولوية وأبناء أسوان المتضررين من خزان أسوان والسد العالي في تملك الأراضي الزراعية المستصلحة والبور.

لعل هذه الاقتراحات تضمّد جراح أبناء أسوان والنوبة الذين ضحوا بكل نفيس وغال في سبيل الوطن علي مدى قرن كامل دون أن يجرأوا علي المطالبة حبا في سبيل الوطن، ودون أن يرفعوا سلاحا كما فعل غيرهم إيماننا منهم بوحدة الوطن وقناعة منهم أن هذه ليست طريقة لحل المشاكل، وإنها بعيدة عن طبيعتهم المسالمة وإتزانهم المعهود.

الفصل الثامن

الملاحق

- النوبة في دائرة المعارف البريطانية
- الأسرة الثانية عشرة وبناء الحصون
- الأسماء المختلفة للنوبة
- أسماء ملوك النوبة الشمالية (مقره)
- الحضارة النوبية
- قالوا عن النوبة قبل السد
- قالوا عن النوبة والنوبيين
- مفارقة نوبيات
- لماذا انطفأت حضارة الوطن الكبير
- نوبيات
- سليمان عجيب أبو النوبيين في العصر الحديث
- الشيخ مبارك عبده فضل
- الحجزر أنهم من البشر
- اليسار النوبي والقضية النوبية
- الطفولة في بلاد النوبة
- آلام النوبة من عصر عبد الناصر إلى الجنزوري
- الحل في النوبة
- ظاهرة الرقي في النوبة
- الرياض النوبية
- أعجيب نوبيات

النوبة فى دائرة المعارف البريطانية (Micropaedia)

هى منطقة قديمة تقع شمال شرقى أفريقيا، وتمتد تقريباً من وادى النيل (قرب الشلال الأول فى صعيد مصر) شرقاً إلى شواطئ البحر الأحمر، وجنوباً إلى الخرطوم، وغرباً إلى الصحراء الليبية. وكان يطلق على المنطقة الجنوبية منها إلى نهاية الشلال الثانى اسم (كوش) حتى الأسرة الفرعونية الثامنة عشرة. كما كان اليونانيون القدامى يطلقون عليها اسم أثيوبيا. أما المنطقة الشمالية من الإقليم والتي تمتد حتى الشلال الأول فى أسوان فكانت تسمى (واوات).

شهدت منطقتى النوبة السفلى بين الشلالين الأول والثانى واحدة من أقدم مراحل تكوين الدولة فى العالم، عندما اتخذ حكام (المجموعة الثقافية) المدفونون فى إحدى جبانات (قسطل) والتي عثرت عليها بعثة كشفية من المعهد الشرقى فى جامعة شيكاغو عام ١٩٦٠، اتخذوا لهم نظاماً ملكياً يماثل ما كان قائماً لدى ملوك نقادة المصريين فى المرحلتين الثانية والثالثة. وبقيام الأسرة الأولى فى مصر (٢٩٥٠ قبل الميلاد) انتهى استقلال (المجموعة الثقافية) والنوبة. ولم يتم العثور على أية بقايا أثرية خلال الخمسمائة عام التالية على وجود النوبيين فى النوبة السفلى وكان الفرعون (سنفرو) ٢٥٧٥ قبل الميلاد، قد شن غارة على النوبة، وأقام مركزاً مصرياً فى (بوهين Buhen)، أما فى غرب النيل فقد نشطت عمليات البحث عن المعادن، كما أنشئت عدة مقالع

للسوان. وخلال الأسرة السادسة بدأ حكام أسوان المصريون إرسال بعثات تجارية بعيدة، صحبتها أحياناً بعض التجريدات العسكرية.

وأبرز هؤلاء الحكام هو (هرخوف Harkhof) الذى توغل جنوباً خلف الشلال الثانى إلى منطقة أطلق عليها اسم (يام) حيث أسر قزماً أهده إلى الملك بيبى الثانى وقرب نهاية حكم (هرخوف) اتحد زعماء القبائل النوبيون. وعرضوا البعثات الإستكشافية فى أسوان للخطر. وتمكنت مجموعة حديثة من المواطنين يطلق عليها الأثريون (المجموعة الثقافية ج Group c) من استيطان (واوات) بينما احتلت (كوش) مجموعة أخرى يطلق عليها اسم (حضارة كرمة). وخلال المرحلة الوسطى الأولى عمل كثير من النوبيين مرتزقة.

وعندما غزا الملك سيزوستريس الأول من الأسرة الثانية عشر النوبة عام ١٩١٥ قبل الميلاد أطلق اسم كوش على المنطقة التى تمتد جنوب الشلال الثانى. وقد حاول سيزوستريس الثالث حوالى ١٨٢٦ قبل الميلاد إحتلال جزيرة (صاى) إلا أنه اضطر للتراجع نحو(سمنة Samna) حيث شيد سلسلة من القلاع القوية. كما منع الكوشيين من إجتياز (سمنة) شمالاً، إلا للتبادل التجارى فى (أيكن Iken) ميرجيسا والمعروف أن المصريين أقاموا مقياساً فى سمنة لتسجيل مياه الفيضان خلال فترة حكم المملكة الوسطى وبدوأن مملكة كوش تمكنت من تجاوز مناطق الحدود عندما ضعفت السيطرة المصرية خلال حكم الأسرة الثالثة عشرة. فقط احتل الكوشيون (بوهين) و تقدموا فى (١٦٥٠) قبل الميلاد شمالاً حتى أسوان. وفى الفترة التى اجتاحت فيها

الهكسوس مصر، قام الكوشيون باحتلال مصر العليا ووضعوا أيديهم على هذه المقتنيات خلال عمليات التنقيب التي قاموا بها في الجبانات الترابية الهائلة لزعماء الكوش الذين ووروا الثرى وهم موسدون فوق أسرتههم، وإلى جانبهم مئات من أجدات أتباعهم الذين ضحوا بحياتهم.

وقد خدم بعض المصريين في مملكة كوش كمرتزقة، بينما قام آخرون بالعمل في مصانع الزجاج فى كرمه. وتشير أختام هكسوسية فى مقابر كرمه إلى أن أمراء كوش كانت لهم علاقات بالهكسوس. فعندما قام (كاموسى Kamose أو كاموسه) المصرى من الأسرة السابعة عشرة بالهجوم على الهكسوس، حول (أبوبيس الأول Apopis) حاكم الهكسوس التحالف مع الكوشيين. غير أن كاموسه تمكن من اعتراض سبيل المبعوث الموفد من طرف (أبوبيس) وبذلك أجهض محاولة التحالف.

وخلال سعيهم الحثيث لطرده الهكسوس بدأ أبناء طيبة بالتوغل فى النوبة أيضاً. وتحت قيادة أحمرس بدأوا غزواً كاملاً للمنطقة. وتمكن أمنحتب الأول (١٥١٤-١٤٩٣) قبل الميلاد من إلحاق الهزيمة لكرمه، وحطم مملكة كوش وبعثها أشلاء وأصبحت النوبة مستعمرة. كما أصبح نائب الملك فى كوش حاكمها المصرى الأوحده ومد تحتمس الأول حكم مصر إلى (كنيسة - كورجيس Kanisa-kurgis) أعالي النهر بعد الشلال الرابع. وكان المصريون ينقبون أساساً عن الذهب الذى قدمت لهم كوش كميات ضخمة منه. وقد تمصر النوبيون من (المجموعة الثقافية ج Group C) تدريجياً حتى زالت

ثقافتهم تماماً بحلول منتصف حكم الأسرة الثامنة عشرة وتحت حكم الأسرتين ١٩-٢٠ أدى الجفاف إلى تقليص عدد السكان في واوات. ولعب نائب الملك دوراً مهماً خلال الحروب الأهلية بنهاية حكم الأسرة العشرين. وتخلصت النوبة من الحكم المصرى بعد سيطرة حرحور على مصر العليا رغم الحروب الطولية المكلفة التى شنها أبناء طيبة.

وظهرت مملكة جديدة فى منطقة كوش حوالى (٨٠٠) قبل الميلاد. بقيادة حاكمها (كشته Keshta) بدء التمصير بصورة متسارعة. وتمكن الكوشيون من السيطرة على مصر العليا. وأكمل الحاكم الكوشى (بعنخى) عملية التمصير، ونحو عام (٧٣٠) قبل الميلاد أغار على مصر السفلى. أما الكوشيون (عباد آمون المخلصين) فقد اعتبروا المصريين من ذوى الأصول اللببية وهم سكان مصر السفلى شعباً دون الثقافة، إلا إنهم أحسوا بروابط قوية تجاه أبناء طيبة الذين يشاركونهم عبادة آمون.

وأعقب الحاكم الكوشى شباكا سلفه بعنخى وفرض سيطرته على كامل التراب المصرى حوالى العام (٧٥٠) قبل الميلاد. منهياً حكم الأسرات ٢٢/٢٣/٢٤. وبدأ شباكا حكم مصر تحت اسم الأسرة الخامسة والعشرين بنقل عاصمة ملكه إلى منف، ويطلق على هذه المملكة اسم الكوشيه فى سجل الملوك. وفى عام (١٧٠١) قبل الميلاد قام شباكا بمساندة حزقيا (Hezekiah) ملك يهودى من آشور.

وتمكن الملك الآشورى (سنحاريب Sennacherib) من التوغل داخل فلسطين. ودحر تحالفاً مصرياً كوشياً عند (التكه Eitekeh) غير أنه فشل فى إحتلال القدس. وفى الوقت الذى ظهر فيه الأمير (طهراقه Tahraqa) على رأس إمدادات ضخمة. تم توقيع إتفاق سلام بين مصر وآشور إلى أن بدأ الملك الآشورى (اساحدون Esashaddan) تحركات معادية فى فلسطين. وقد باءت محاولة السيطرة على مصر بالفشل عام (٦٧٤) قبل الميلاد، غير أنه فى العام (٦٧١) قبل الميلاد، نجح الآشوريون فأطاحوا بطهراقه من منف. وتمكن طهراقه من إستعادة مصر بصورة متقطعة، غير أن الملك الآشورى (آشور بنيبعل) تمكن من دحره وخلفه تانوت آمون. ثم خرب طيبة ونهبها.

وقام الآشوريون بتعيين أمراء (سان الحجر) حكاماً على مصر، وفى عام (٦٥٦) قبل الميلاد تمكن الأمير الصاوى بسماتك الأول من تحقيق استقلال مصر عن آشور. وقام بتأمين مصر العليا أطماع الكوشيين.

وفى عام (٥٩٢) قبل الميلاد قامت تجريدة مصرية بتخريب (نباته) عاصمة كوش. وتبعاً لذلك انتقلت العاصمة إلى مدينة مروى حيث بقيت مملكة كوش تسعمائة سنة أخرى. ويعتقد كذلك أن الفرس حاولوا غزو النوبة (٥٢٢) قبل الميلاد. وتحولت الحضارة المصرية فى النوبة إلى حضارة أفريقية بعد قطع الأواصر. حتى تولت الحكم الملكة (أمانى شاخيتى) فى ٤٥ قبل الميلاد. التى حاولت مع خلفها وقف تدهور الحضارة المصرية مؤقتاً. غير أن هذا التدهور استمر بعد ذلك بصورة شاملة. وفى الوقت نفسه تمكنت قوة رومانية بقيادة

العاهل بترونيوس من تدمير بنائه وفي القرن الثالث بعد الميلاد قام أعرابي الصحراء الشرقية (البجة) بتدمير الحضارة المروية فى النوبة السفلى . كما تم تدمير مروى نفسها ما بين عامى (٣٢٠-٣٥٠) على يدى مغيرين بعث بهم (ايزانس Aeizanes) ملك (اكسوم Aksum).

وجاءت الحضارة (النوبية Nobatae) التى خلفت المملكة النوباتية الشمالية لتسيطر على منطقة النوبة بدلاً من الحضارة المروية وحوالى العام(٥٤٠) تمت هداية النوباتين إلى المسيحية ، وعقب ذلك قام ملكهم (سيلكو) بدحر عربان البجة وشعوب نوباتا العليا. ويبدو أن عاصمة نوباتا إنتقلت إلى باشوراس (فرس) حتى توحدوا فى القرن السادس مع (المقرة -Muqarra Makurra) مكوئين مملكة دنقلة. وإلى الجنوب من دنقلة كانت مملكة (الوAloa-Awah) التى تحولت إلى المسيحية فى عام (٥٨٠) وفى عام (٦٥٢) تمكن جيش إسلامى مصرى من الإستيلاء على دنقلة وإجبار المملكة على الخضوع لمصر. وظلت دنقلة مسيحية حتى القرن الرابع عشر حين استولت عليها جيوش المماليك وبقيت (صباح Subah) عاصمة (الوة) صامدة حتى القرن السادس عشر حتى استسلمت أمام مملكة الفونج الإسلامية فى سنار.

الأسرة الثانية عشرة وبناء الحصون

إن مؤسس الأسرة الثانية عشرة وأول ملوكها كان يمت إلى أصل نوبى وهو "أمنى" ابن سيدة من "تاستى" (النوبة) وهو تصغير لاسم "أمنحات" وقد أعاد الرخاء والقانون والنظام لمصر بعد طرد الآسيويين وقد قاد الحملة النوبية أبنة "سنوسرت" الذى أصبح فى وضع مكنه من تشييد سلسلة من الحصون أصبحت فيما بعد أعظم المواقع الحربية التى صنعتها أيد بشرية فى العالم القديم وهى:

- ١- الحصن المعروف بـ "بالقاع" سمه على الضفة الغربية من النيل.
- ٢- الحصن المعروف بـ "خاع كاورع" سمه على الشاطئ الشرقى.
- ٣- الحصن المعروف بـ "باعد الأقواس" بقمة.
- ٤- الحصن المعروف بـ "أورنارتى" على جزيرة فى الشلال شمالاً.
- ٥- الحصن المعروف بـ "قامع البلاد" على الضفة الغربية أمام سارس (شالفاك).
- ٦- الحصن المعروف بـ "مخضع مكان الواحات" على الضفة الغربية أمام برجيا.
- ٧- الحصن المعروف بـ "أىكن" أمام ماينارتى.
- ٨- الحصن المعروف بـ "بوهن" على الضفة الغربية المواجهة لوادى حلفا.
- ٩- الحصن المعروف بـ "حاضنة الأرضيين - ودافعة المجاو" بين وادى حلفا وعنبيبة.
- ١٠- الحصن المعروف بـ "ميمام" عنيبه عاصمة النوبة بعد التعلية الثانية للخزان.
- ١١- الحصن المعروف بـ "باكى" وهو حصن كوبان على الضفة الشرقية للنيل.

هذه الحصون شيدها سنوسرت الأول ابن أمنى "أمنمحات" الملك النوبى وقد استعملت هذه الحصون لنقطة للبعثات ومحطة للتجارة وفى الأساس الأول شيدت لتتحمل هجوم قوة عسكرية من الدرجة الأولى.

الأسماء المختلفة للنوبة خلال عصورها القديمة

- نوب أو نبو (بمعنى ذهب إشارة إلى مناجم الذهب التى اشتهرت بها المنطقة).
- تاستى (أرض القوس) إشارة إلى السلاح الرئيسى الذى يستخدمه أهلها.
- واوات (النوب السفلى) المنطقة المصرية.
- كوش (النوبة العليا) المنطقة السودانية.
- مقرة: المملكة المسيحية.
- مروى: العصر البطلمى.
- نوباتيا: من الشلال الأول إلى الثالث.
- ماكوريا: تمتد حتى جنوب مروى.
- علوة: على مقربة من الخرطوم.
- البجة: فى القرن العاشر الميلادى (أولاد كنز)
- أثيوبيا: الاسم القديم للنوبة.

الأسماء القديمة لبعض البلاد:

- كلابشة تاعيس.
- أبريم بريمس بريما أى الأول.
- عدة عدوة.
- فرس باخورس.
- جاماى فركا.
- ساي واوى.
- حلفا بوهين.
- أسوان

أسماء ملوك النوبة الشمالية (مقرة)

خلال العصر المسيحي :

- سلكو
- ايربانم (ارجمنين)
- قاليدور
- زكريا بن باركي
- مرقوريوس
- زكريا بن مرقوريوس
- سيمون
- ابرام
- ماركو
- قيرياقوص
- ميكائيل
- يوحنا
- زكريا اسرائيل الثانى يوحنا (يحنس)
- جورج الأول بن زكريا
- زكريا الثالث بن جورج الاول
- كبرى بن سرور

- جورج الثاني
- رفائيل
- سالمون
- جورج الثالث
- داود الاول
- داود الثاني بن داود الاول
- شكنده بن اخت داود الاول
- برك
- سامون
- آنى
- بدمة
- اماى
- كرنبس
- عبد الله برشمبوالنوبى
- ابرام شقيق كرنبس
- كنز الدولة

الحضارة النوبية^(١٤)

جميلات مصر الفرعونية من النوبة.. هذه الملامح الرقيقة: الأنف والوجنتان والعينان والشفتان والعنق.. أما الرجال الذين لهم أنوف الخيل مثل أختاتون فهم مصريون فراعنة. وهل هناك فارق أو مسافة بين المصرى والنوبى؟ نعم ومسافة كبيرة. والمؤرخون وعلماء المصريات المعاصرون يرون أن الحضارة النوبية كانت أقوى وأعنف وأخطر.. وكان لها وجود مستقل. لأنها نمت وازدهرت بعيدة عن مصر. بل أن النوبيين كانت لهم صلة بأوروبا دون المرور بمصر..

وأن كان الفراعنة قد تأثروا بالحضارة النوبية وأخذوا عنها الكثير من قواعد الحكم والنظريات السياسية.

وكان الفراعنة يخشون النوبيين الذين حكموا مصر. يرى بعض علماء المصريات أن القلاع التى أقامها الفراعنة فى الجنوب كانت من أجل وقف الزحف النوبى على جنوب مصر إلى شمال السودان.

والحفائر فى سنة ١٩٦٠ قد كشفت لنا عن الحضارة النوبية التى هى من أعظم حضارات أفريقيا.

وأوروبا حتى نهاية هذا العام تتفرج على متحف متنقل عن الحضارة النوبية يضم ٤٦٨ قطعة من التماثيل والأوانى الخزفية والمشغولات الذهبية وكلها يراها الملايين لأول مرة.

وفى حديث للدكتور كندل أمين متحف بوسطون يقول: سوف يدرك العالم أن حضارة النوبة كانت تستحق من المؤرخين اهتماماً أكبر لولا أنهم وقعوا فى غرام الحضارة الفرعونية المتألفة والمتوهجة التى فتنت العالم كله ألوف السنين.. فليست الحضارة النوبية نتاجاً ثانوياً للحضارة الفرعونية وإنما أخت لها أصغر وأحياناً أعمق.

وعالم المصريات الأمريكى جورج ريزنر عندما اكتشف أثراً باهرة سنة ١٩١٣ لم يتردد لحظة واحدة فى أن يعلن أنها تبدو فرعونية لأول نظرة والحقيقة أنها نوبية ذات شخصية مستقلة.

وسوف تصدر فى العام القادم فى أمريكا موسوعة (الحضارة النوبية) فنضيف بذلك عمقاً جديداً ساحراً لحضارة مصر القديمة شمالاً وجنوباً..

قالوا عن النوبة قبل السد

- " هذه هي بلاد النوبة أرضاً وناساً وستختفى الأرض تحت مياه السد العالى التى فيها الحياة لمصر كلها ."
- أما الناس فسيظلون فى أوطانهم الجديدة كما كانوا دائماً مثلاً حياً للوداعة والأمانة والجد والكفاح.
- أسلوب الحياة النوبية فى هذا العصر سوف يتلاشى إلى الأبد.
- لسوف يتمتعون بمستوى أعلى بكثير من مستواهم الحالى.
- الذى يحزن ويزعج أننى أحب هؤلاء الناس كما هم ولو أنهم حصلوا على نصيب أوفر من مطالب الحياة وتمتع أهل مصر جميعاً بالرخاء . ولو أنهم استخدموا هذه الخيرات فى حكمة وتعقل ، لاستطاعوا أن يصلوا إلى درجة من السعادة الإنسانية لا نستطيع الوصول إليها.
- هذه النظم كلها لن تأتى دفعة واحدة بل سوف تتحقق بمرور الزمن ذلك أنه حين تعم خيرات السد العالى . سوف تحظى بلاد النوبة أرض كوش بمستوى عالى من المعيشة فوق حقولها اليافعة الجديدة.
- لن تموت النوبة حين تغمر المياه صخورها ووديانها . فهى جزء من معرفتنا الكلية لأنفسنا . تلك التى تجعلنا نشعر بماهيتها ونحن معشر الجنس البشرى العجيب على هذا الكوكب الغامض.

قالوا عن النوبة والنوبيين

- تستطيع النوبة أن تضيف سجلاً طويلاً يأسر الألباب. يعطى المدى الواسع لتاريخ الإنسان، ويعكس كل ما جرى فى العالم الخارجى وتضم بين خبراتها مختلف الأحزان والأفراح الشائعة فى قصة الإنسان والسلام والحب، الرخاء والشدة، النصر والهزيمة، السيادة والعبودية؟ والاضمحلال سجل لسنوات بل لقرون كلها هدوء وسلام.
- أن بلاد النوبة الجنوبية هى أرض كوش القديمة التى تحدث عنها أشعبا فى التوراة حين قال سوف يحدث انه يأمر الرى مرة أخرى باستعادة فلول شعبة التى ستبقى من أشور ومصر وبأثروس وكوش.
- أن النوبيين فى المدن الكبرى الذى مازالوا يحتفظون بطباع سكان الصحراء يتصفون بالصراحة والكبرياء والأمانة والكرم".
- أن النوبيين كانوا فى زمن مضى يعملون فى البيوت المتيسرة لأنهم شعب نظيف والنظافة تعتبر صفة من صفات الجنس شأن كثير غيرها من العادات الاجتماعية؟ هذه المميزات قد لا يتوارثها من الناحية الجسمانية. ولكنها مشروطة بالجنس ومستمرة معه. وهكذا يعتبر النوبيون جنساً متفصلاً عن المصريين وكما هو الحال خلال عصور التاريخ المدون. ومع ذلك فلا بد أنهم من زمن قديم انحدروا من سلالة واحدة.

- السماء فسيحة لا تجود والأرض مجدبة لا تغل ولكن كفت القوم قناعتهم والقناعة كنز ما له من نفا، وسندتهم أمانتهم التي اشتهروا بها فاكسبتهم الثقة والاحترام لقد كانوا أقوياء بجلدهم. أغنياء بكفاحهم في سبيل العيش يضربون في الأرض سعياً وراءه إلا يسألون الناس الحافا، بل يبحثون عن العمل ويقبلون عليه في جد ونشاط.

لماذا إنطفأت حضارات الوطن الكبير؟^(١٥)

لى بعض الأصدقاء النوبيين الذين لمست فيهم صفات نبيلة طيبة إلى أبعد الحدود. وجدت أن زيادة المعرفة والمعلومات عن النوبة وأهلها وتاريخ النوبة شيئاً ضرورياً. وبالفعل بحثت لأعرف المزيد.

تأسفت أننى كنت أجهل الكثير عن حضارة مثل حضارة النوبيين. ورغم أننى لست نوبياً إلا أن هذا التاريخ شدنى لمعرفته. فهو تاريخ بعيد بملايين السنين ويبعث على التعجب.

وبعد الطوفان الذى أفنى المخلوقات جميعاً إلا من حملتهم سفينة نوح يتوالد من صلب حام كوش ومصرايم فكان الأول جد النوبيين والثانى جد المصريين. وتشيدت حضارة أهل السلام على ضفتى النيل فى مصر والسودان كانت حضارة سلام لأنها راحت تهتم بما يخدم الإنسان. حضارة زراعة وبحث عن المعادن وصناعة وزخارف وفن ورياضة وهندسة ولم تكن حضارة حروب وغزوات وقهر وظلم.

أحفاد كوش توطنوا الصحراء الشرقية الجنوبية من مصر والسودان حتى الخرطوم وزرعوا مساحات شاسعة من الأرض بالماء العذب. وتوطنوا وعاشوا فى هذا الجزء بعد أن جاءوا إليه قادمين من أرض العرب من حول الكعبة مركز الأرض والدنيا جميعاً.

وعرفت المنطقة التي عاشوا فيها بالصحراء الشرقية الجنوبية باسم أرض كوش. نسبة إلى جدهم الأول وقد عاشوا فيها أحراراً آلاف السنين وزرعوا فيها وحصدوا واستخدموا الماشية فى أعمال الزراعة وروضوا الأبقار الوحشية فى ذلك. واكتشفوا الذهب واستخرجوه وصنعوا الحلى وأمدوا قداما. المصريين بالجرانيت لبناء الأهرامات.

كان قداما المصريين يحبونهم ويودونهم فأطلقوا عليهم اسم بلاد البجة ومعناها الفرسان أو المحاربين أو الحراس وذلك لما لمسوه فيهم من شجاعة وقوة فى الدفاع عن حدود مصر الشرقية. وقد عرفت النوبة باسمها هذا " النوبة " عندما اكتشفت هذا المعدن النفيس بكثرة عند النوبيين. وهو معدن الذهب ومعناه النوبة والتسمية مصرية أطلقها قداما المصريين بديلا عن البجة.

تعرض النوبيون لمآس عديدة وصعوبات اكسبتهم القوة والصبر والمحاولة وهى عناصر تكوين الحضارات وتمثلت حضارتهم مع حضارة مصر والسودان. فالنقوش والآثار المتماثلة فى العصر الحجري أثبتت ذلك. بجانب المميزات المادية بما يؤكد وحدة الشعب فى مصر والسودان والنوبة.

وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية أن حضارتهم تركزت غرب مدينة أبى سمبل على امتداد ألف كيلومتر من زراعة ورعى وعمارة ونحت وبناء بيوت وفق أحسن المعايير الصحية بمادة الطفلة التى تلتف الجو داخل البيوت وصناعة الأدوات الحديدية واستخراج الذهب وصياغة الحلى والحدادة والنحاس ومحاجر الجرانيت مثل محجر توشكا وصناعة المراكب من خشب البلخ.

كل هذا كان هناك فى وقت لم تكن فيه أى حضارة على وجه الأرض
غير حضارة مصر الكبرى.

واستطاع هؤلاء البشر الأولين مع استمرار فيضان النيل وما تعرضوا له من
قسوة الطبيعة أن يستحدثوا نظاماً دقيقة للرى . ومقاييس للفيضانات فكان هذا
التحدى البشرى لقسوة الظروف هو السبب الحتمى لبداية الحضارات عندهم.
ورغم أنهم تعبوا كثيراً من فيضانات النيل وما تسببه هذه الفيضانات من
إغراق لأراضيهم وتشردهم، فإن مآسى غرقهم استمرت مع خزان أسوان عند
إنشائه عام ١٩٠٢ ثم تعليته فى عام ١٩١٢ وعام ١٩٣٢ حيث غرقت معظم
أراضيهم ثم كانت الهجرة الكبرى بعيداً عن النيل. رغم ذلك شدهم الحنين
فعاد الكثيرون بين الحين والحين.

ورغم تفرق النوبيين وانخراطهم فى المجتمع الكبير إلا أنهم يتمسكون
بلغتهم وعاداتهم وتقاليدهم التى من أهمها الترابط والتكاتف ويظل النوبيون
أحد عناصر حضارة مصر الكبرى أبناء النيل حضارة السلام.

ومن كان له مثل هذه الحضارة العظيمة لابد وأن يكون على دمت الخلق
وحلو الكلام والتعاون والشجاعة . عرفتهم وعرفت عن حضارتهم وتأكدت أن
هذه المنطقة بأسرها كانت أم الحضارة الإنسانية. عرفت كل هذا ولكنى لم
أعرف لماذا إنطفأت حضارتنا الكثيرة فى بقاع وطننا العربى الكبير.

هذا هو السؤال المهم، والأهم من كل التعليقات التى تبحث فى أمور لا

تقدم بل تؤخر.

مفارقات نوبية

- اعترض كثير من النوبيين علي قدر قيمة التعويضات التي صرفت لهم ولهذا امتنع بعض أهالي توماس وعافيه عن صرف التعويضات مما أدي إلى تخصيص نحو ٨٠٠ فدان خارج الزمام في قري ونجوع ومراكز إسنا لهم.
- يكشف الدكتور سعيد مغاوري محمد الباحث بالمجلس الأعلى للثقافة والمشرف علي البريدات المصرية بدار الكتب عن نماذج مختارة من البريدات العربية والإسلامية التي تتناول التراث الحضاري النوبي ومنها بردية من الخليفة العباسي للحاكم النوبي يسترضيه في دفع الجزية بعد توقف أربع سنوات وبردية أخرى تتحدث عن عقد زواج نوبي.
- قام المهندس محمد صلاح الباقر (من ابريم) بتصميم واجهة مكتبة الإسكندرية والتي يسمونها بالهرم الرابع ليلحق بقريبه وبلدياته المهندس أحمد عثمان الذي أنشأ كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية وصاحب فكرة نشر وتجزئة معبد أبو سمبل والتي تبناها اليونسكو دون ذكر اسمه
- قال فاروق حسني عن متحف النوبة أنه صرح جديد يعمل علي تخليد النوبة والحفاظ علي تراثها الفني ويوما بعد يوم يتزايد الاهتمام بالنوبة تلك الحضارة التي لم تبح بعد بكل أسرارها ودخائلها.
- لجنة التعويضات قدرت قيمة النخلة في النوبة المصرية بعشرة قروش وفي النوبة السودانية بعشرة جنيهاً بمعدل مائة مرة.

- طبقا للمادية التاريخية فإن النوبة ظلت تعيش بنظام الشيوعية البدائية حتى بناء السد العالي.
- عندما كان الزعيم مصطفى النحاس قاضيا بمحكمة الدر قال. أعجب كيف يعيش مجتمع بدون جريمة واحدة وفي أوائل العشرينات حكم علي نفسه بغرامة جننيه واحد لأنه أهان امرأة نوبية وقال لها يا مره.
- ليس في النوبة مسيحي واحد فأخر أسرة أسلمت من ١٥٠ عاما وسميت بالمسلماني وكانت أسرة العمدة حمته أسمها حنا متي.
- كلمة نوبي في القاموس الاجتماعي تعني عن حق (مخلص وأمين وشريف وصادق) هذه هي سمة النوبيين حتى اليوم.
- بكر سليمان بزرجان من توماس عبر المانش سنة ١٩٥٢ مع حسن عبد الرحيم وأبو هيف ومرعي حماد والعربي.
- سليمان حافظ وزير الداخلية الأسبق من بلدة ممصص والمشير حسين طنطاوى من أبو سمبل
- بلاد نوبية اتحدت مثل توماس وعافيه - الجنية والشباك وبلاد أخرى انفصلت مثل الدر والديوان وتنقاله - وكروسكو وأبو حنضل.
- أول جريمة قتل حدثت في النوبة بعد انتقال النوبيين إلى كوم أمبو بجوار الصعيد.
- الكنوز يعشقون الصيد لهذا أنشأوا نادي للصيد (الطيور طبعا).

- الفنان النوبي محمد حمام بدأ حياته الفنية بالغناء للمطرب الأمريكي الزنجي التقدمي بول روبسون ثم سار علي طريقه.
- الأستاذ المرحوم صلاح الباقر عندما كان ناظراً لمدرسة أسوان السنوية كان عند موسم الامتحانات يمر علي الطلبة في بيوتهم ليتأكد من أنهم يستذكرون دروسهم وليشرح لهم ما غمض عليهم.
- عبد الله خليل رئيس وزراء السودان الأسبق وهو من أصل نوبي عرض علي النوبيين خلال حكمه الانضمام للسودان مقابل إعراءت كبيرة ولكنهم رفضوا جميعا مؤكدين انتماءهم المصري.
- طلبت من الأستاذ كامل محمد شاهين حمزه المحامي أن يعطيني صورة للزعيم محمد شاهين حمزه للموسوعة ولكنه رفض متحججا بأن بيته يخلوا من جميع الصور وأنه لا يملك صوره لوالده.

نوبيات

أول تجمع نوبى يعقد مؤتمراً يومى ١٧ . ١٨ يونيه ١٩٣٦ برئاسة الأستاذ سليمان عجيب المحامى .
عضو الهيئة العليا لحزب الوفد ونائب النوبيين لمدة ثمانى دورات .

نداء

إلى النوبيين

أيها المواطنون :

عز على الشباب النوبى المثقف ، أن يبقى النوبيون وسط هذه الحركة الصاخبة حولهم للمدنية والرقى . جامدين لا يعملون ، وفى سبيل النهضة . لذلك دعوا إلى مؤتمر إنعقد بالقاهرة يومى ١٧ . ١٨ يونيه سنة ١٩٣٦ . وقرر هذا المؤتمر فيما قرر إيجاد دار يجتمع فيها شتات النوبيين دون تمييز بين الطوائف والهيئات تكون معدة إعداداً مشرفاً مستعدة لاجتماعات منتظمة للهيئات التى تقوم على شئون النوبيين .

ولما كان تنفيذ هذا القرار يستدعى استنهاض همم ذوى الإريحية من رجالات النوبة ، رأينا أن نوجه هذا الدعاء ، واثقين من إجابته كل الثقة . ليكتب كل لهذا المشروع العظيم بما تسمح به أريحيته ، واعددين أن يكون افتتاح الدار فى ظرف لا يتجاوز الشهر المقبل إن شاء الله .

رئيس المؤتمر النوبى

سليمان حسن عجيب

سليمان عجيب **(أبو النوبيين)**

هو ابن المجاهد حسن عجيب الذى كان يعمل مع قيادات الجنود الإنجليز فى ذروة النضال ضد الاستعمار وكان ينقل أسرارهم إلى الفدائيين واضعاً رأسه على كفه . فلا غرو أن يكون ابنه مناضلاً مثله . حصل سليمان على درجة الليسانس فى القانون أثناء عمله مدرساً بمدرسة الدر الابتدائية . ثم تفرغ للمحاماه . وفى العمل السياسى توصل إلى عضوية الهيئة العليا لحزب الوفد .

وفى المحاماه . رغم براعته فكان يتبنى قضايا النوبيين بالمجان . لهذا سموه محامى الشعب النوبى . كم من مظلوم لجأ إليه . وكم من نوبى إستعان به ليلحق ابنه بمدرسة أو عمل يقات منه . . ولهذا أيضاً مثل النوبيين فى مجلس النواب ثمانى مرات .

وخلال عمله السياسى كون تنظيمياً سرياً داخل حزب الوفد يناوئ بشاوات الحزب . واستطاع أن يستقطب معه من الشباب النوبى جلال سليمان شعشيمه ومحمد حسين الكاشف .

دعاه مرة الزعيم مكرم عبيد وعرض عليه أن يتنضم إلى حزب الكتلة ووعدته بأن يرشحه وزيراً عند أول حكومة إئتلافية يشارك فيها حزب الكتلة . .

فقال له (لتعلم يا باشا أنه لو بقى عضو واحد فى حزب الوفد سيكون سليمان عجيب).

قبض عليه قدر فور ثورة يوليو باعتباره خطراً على الثورة وأودع فى معتقل القناطر الخيرية.

كان يلجأ إليه من وقت لآخر المناضلان الشاعر محمد خليل قاسم وزكى مراد ليسمعوا رأيه فى إشعارهم حيث كان سليمان عجيب يقرض الشعر وتممکن فى مجاله ، كما كان يناقشهما فى قوانين التضاد والحركة . ومن هنا أكد لى بأن سليمان عجيب كانت توجهاته يسارية واضحة. وسليمان عجيب أول من دعى إلى تجمع نوبى وأنشأ سنة ١٩٣٦ دار الشباب النوبى الذى أصبح عميداً له حتى وفاته وخلفه محمد حسين الكاشف.

ذهب نفر من النوبيين الذين يعملون بالسرايا الملكية إلى الملك فاروق وطلبوا منه أن يساعد أبנם النابغ سليمان عجيب على سبل الحياة لأنه يتبنى قضاياهم بالمجان ، فأعطته السرايا منزلاً بحارة الهدارة ليتعيش منه . فقام بتأجيره للجمعيات النوبية . والتي سميت فيما بعد بجمعيات عجيب ومرة أخرى طلبوا من الملك أن يعينه فى ديوان كبير الأمناء لأنه مثلهم الأعلى ، وبالفعل عرض عليه الملك فاروق وظيفة محترمة بالديوان تليق بمستواه الثقافى بشرط أن يترك حزب الوفد . ولكنه رفض ولما علم الملك بأمر منزل الهدارة انتزعه منه وأعطاه لأحد العاملين بالقصر . وتناوب عليه العاملون حتى وصل أخيراً إلى المرحوم محمد صالح ثم إلى إدارة الأوقاف الملكية .

كان هذا هو سليمان عجيب أبو النوبيين عن حق والذي كان عزيز
النفس متمسكا بمبادئه لا يحيد عنها مهما كان شأن خصومه سواء داخل
الحزب أو خارجه رحم الله سليمان عجيب الذي توفى سنة ١٩٦٤ وعوضنا
الله عنه نوبيا آخر في نقائه ونضالته.

(مبارك عبده فضل)

هذا الشيخ.. الرفيق النادر^(٢٠)

لم يكن مبارك عبده فضل أول شيخ بارز في الحركة الشيوعية المصرية. فقد سبقه إلى المشيخة الرفاقية شيخ جليل آخر. هو الشيخ صفوان الذى كان عضواً فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى، فى نشأته الأولى عام ١٩٢٤، والأمين العام لاتحاد العمال آنذاك. على أن مبارك عبده فضل كان على رأس المشايخ الرفاق فى الحلقة الثانية من إعادة بناء الحركة الشيوعية فى الأربعينيات.

كان مبارك عبده فضل. شيخاً حقاً. ورفيقاً حقاً. فقد كان على رأس قسم الأزهر فى إحدى فصائل الحركة الشيوعية (حدثت). ولم يكن هذا اللقاء بين الشيخ والرفيق فى شخص مبارك عبده فضل لقاء شكلياً مظهرياً. بل كان لقاءً حميماً يجمع بين صفاء الروحانية وعمق قناعتها، وصدق مواقفها وفيض سماحتها وعطائها الروحى، والأخلاقى، والاستعداد المطلق للتضحية الى حد الاستشهاد، والتخلى عن كل ما هو ذاتى خاص، من أجل ما هو موضوعى عام. وبين الاتساق العقلانى النظرى. ورجاحة الحكمة العملية السلوكية. واستنارة الرؤية المستقبلية، كان الشيخ الرفيق مبارك عبده فضل مفكراً منظرأ. ورجل علم ومبادرة وممارسة. يحسن التعامل والتفاعل مع الناس. ومن

أجلهم، في غير تملق أو ادعاء. ذا قدرة فائقة على كشف ما هو مشترك بينهم. وهذا ما جعله موضع ثقة لآحد لها. ونقطة إلتقاء. ومنطلق وعى وفعل مشترك. فى لحظات الاختلاف والخلاف والأزمة. ولهذا ما أكثر ما كان يُتهم الشيخ مبارك بالمهادنة والتسامح والتوفيقية. وبأنه رجل الحلول الوسطى. ولكنه فى الحق ماكان مهادناً أو متسامحاً فى الباطل، أو وسطياً توفيقياً فى مواقف النزاع الفكرى وإنما كانت لديه هذه المواهبة النادرة فى اكتشاف الحلقة الجامعة المولدة للفعل. موهبة المناضل الجسور الذى يتجاوز الخلاف أو الاختلاف. دون أن يلغيه. وإنما يدفع إلى امتحانه بالممارسة الحية. ولهذا كان الشيخ مبارك من أبرز المبادرين الى التنسيق والعمل المشترك، بل والتوحيد بين التنظيمات الشيوعية المختلفة.

وإذا كانت كلمة النوبة تعنى الذهب. فقد كان مبارك عبده فضل إنساناً ذهبى النفس والفكر والكرامة. كان صريحاً كأصفى ما تكون الصراحة. مهما كانت قاسية على النفس. وكان جسوراً فى اقتحام الصعاب، حمولاً فى غير شكوى لما يعانیه، طوال حياته. من سجن واختفاء وتعذيب بدنى وروحى. مبادراً فى تحمل المسؤولية عن غيره فى لحظات الحاجة ومواقف الخطر والتضحية. كان فى صمته وسلوكه النضالى، نموذجاً ملهماً. للإنسان الإنسان أولاً. قبل الإنسان المبدأ والقضية، والإنسان الموقف النضالى.

لهذا لا تكاد تُذكر الحركة الشيوعية فى المصرية فى مرحلتها الأخيرة إلا ويكون مبارك عبده فضل من أبرز أسمائها، ومن أبرز حركيها. ومن أبرز

نماذجها النبيلة ، وما احتدمت مشكلة ، وما أصيب رفيق بمرض . أو بأزمة نفسية أو بأزمة فكرية ، أو بأزمة عائلية أو شخصية . وإلا كان هذا الفارس الأسمر النبيل مشرقاً الى جانبه كالفجر الساطع . عطاءً وحباً وأخوة ورفاقية ومحبة ونصحاً وحواراً عقلانياً حكيماً .

ما أكثر الرفاق الذين لم يحرمهم أنخراطهم فى النضال الشيوعى السرى ، من تمتعهم بأضواء الحياة المدنية العلنية ووهجها المجتمعى والعائلى والوظيفى . أما الشيخ مبارك المحترف الثورى . طوال حياته النضالية السرية وبرغم علنية ما حققه من منجزات عملية فى أكثر من موقع وفى أكثر من موقف . سياسياً كان أو اجتماعياً أو فكرياً ، فقد عاش أغلب أيامه ولياليه بعيداً عن متع الحياة المدنية . وطمانينة الحياة العائلية . كان الحزب وكان الرفاق ، وكانت الطبقة العاملة المصرية . وكان الشعب المصرى بقواه المنتجة والمبدعة هم المتعة التى كرس حياته لها .

فى أواخر الأربعينات التزمتُ بالفكر الماركسى ، بعد رحلة طويلة مع الفكر المثالى . ومنذ ذلك الحين . وبرغم إنشغالى بالجانب الفكرى والثقافى عامة ، عن الجانب العملى فى النضال السياسى والاجتماعى . إلا أننى كنت أجد الشيخ مبارك كما كنا نسميه دائماً حيث يكون الفكر وحيث يكون العمل الشاق ، وحيث تكون المشاكل وحيث تكون التضحية اللحظات الحميمة الرفيعة ، وحيث يكون الافتقاد الى صديق الى قلب حنون وعقل راجح .

فيا شيخى الجليل، يا رفيقى وصديقى وشقيق نفسى، ونموذجى فى
التضحية والجسارة وشموخ النفس والنضال العنيد الصلب، والكف القابضة
على جمر المبدأ، ومحبة الحق والناس، والحرية والتقدم والتحرر الوطنى،
والتفتح الإنسانى الى غير حد
أيها الشيخ الرفيق، مبارك عبده فضل، ستظل لى ولأجيال عديدة من
المناضلين قيمة وطنية وإنسانية باهرة ملهمة. وطبت حيا وميتاً يا رفيقى
الطيب.

الحجر أهم من البشر^(١٦)

النوبة جنتنا وفردوسنا المفقود والراقد فى أغوار النهر كما يقول الشاعر
النوبى محمود شندى وهو من الذين حملوا الهم النوبى.

ولم تكن النوبة معزولة عن مصر فى كل فترات التاريخ فالنيل الرباط
المقدس وشعبهما من عنصر واحد. وقد من الله على بلادنا بثروات معدنية مثل
الذهب والنحاس وكذلك الأحجار الكريمة مما كان له أهمية كبرى فى
اقتصاديات العالم القديم.

وعاش النوبيون حياة مستقرة على ضفاف النيل منذ بداية عصر الأسرات
فى مصر حتى أوائل القرن العشرين ومارسوا الصيد والزراعة والبناء وظهر
الرخاء ويدل على هذا فيما عثر عليه فى المقابر من الحلى وأدوات الزينة
المصنوعة من الذهب والفضة وسن الفيل.

وفى كل فترات التاريخ كانت النوبة أقلية إدارياً مساوياً للوجهين
القبلى والبحرى.

واشتهر النوبيون بالبراعة فى الفنون العسكرية تجلت عندما اشتركوا فى
طرد الهكسوس والآشوريين من البلاد وتجلت البراعة العسكرية فى وصفهم
بأنهم رماة الحدق.

وهكذا كانت النوبة دائماً كما وصفها الشاعر النوبى محمد حسين

الكاشف:

وربوعا جميلة فى حماها ... قد سعدنا شبيبة وكهولا

عجبا للزمان يابى علينا ... أن يدوم الهناء فىنا طويلا

وحل قرن النكبات على النوبة وأبنائها (وهو القرن العشرين) وحمل فى طياته الظلم والقسوة. وفى البداية كان بناء خزان أسوان ثم تكررت تعلياته ومن ثم غرق القرى النوبية بأراضيها الزراعية الخصبة وبنخيلها المثمر وبعدها بدأ التشريد من المنطقة الآمنة بداية من شبابها العامل فى الزراعة وانتقلوا إلى قرى الشمال باحثين عن أعمال وكان المصير مظلماً أعمالاً تنهك قواهم وتهدم إنسانيتهم وكأنها قدر على أبنائنا أن يعملوا بهذه الأعمال وعجيب أن تستمر الإعلانات فى الصحف عن وظائف الخدم والبوابين والسفريقية أن يكونوا من أبناء النوبة لأمانتهم وإخلاصهم وقد عبر الكاشف عن قسوة النيل عن أهله بقوله :

أيه يا نيل قد أسأت إلينا وجعلت الصحيح منا عليلاً

وعندما حل الاستعمار البريطانى فى شطرى الوادى كانت النظرة الإنجليزية متجهة إلى النوبة وأبنائها وعرف الاستعمار أهمية النوبة بموقعها الفريد بين مصر والسودان وهى الصلة الواصلة بين الشطرين ومن هنا بدأت الفتن الإنجليزية وإطلاق اسم البرابرة على أبناء النوبة الذين عرفوا بالوداعة والطيبة والبعد عن الهمجية وسلوك الكثيرون من أبناء الشمال مسلك الإنجليز والعجيب أنهم دائماً يصفون أبناء النوبة بالصفات النبيلة وهل تتفق هذه الصفات مع من يطلق عليهم اسم البرابرة.

والحكام فى مصر كانوا ألعوبة فى يد المستعمر والمستشارون الإنجليز الذين كانوا يقبضون على زمام الأمور فى مختلف الوزارات منهم المستشار الإنجليزى دنلوب الذى كان يدير شئون التعليم فى مصر أمروا بإغلاق مدرسة الدر الابتدائية لأنهم وجدوا طلابها يحققون نتائج طيبة ويحتلون مراكز متقدمة على مستوى القطر فأمروا بإغلاقها حتى يتفرغ أبناء النوبة لخدمة أبناء الأغنياء والباشوات والخواجات وحتى لا يتهموا بأنهم وقفوا ضد التعليم أمروا بتمويل المدرسة إلى مدرسة لتخريج الطهارة والخدم وهذه الفكرة وجدت مقاومة من أبناء النوبة المستنيرين فى ذلك الوقت وأعادوا فتح المدرسة الابتدائية فى فترة الثلاثينيات من القرن الماضى.

وللتعويضات وقفة أليمة مازال أبناء النوبة يتذكرون مهالها وبعد نقاش طويل فى مجلس النواب والشيوخ تقرر أن تدفع الحكومة مليمات مقابل كل نخلة مثمرة وكانت النخلة تعد عماداً لاحتياجات النوبيين وعندما سأل أحد الشيوخ وكان منتمياً لحزب الوفد الطاغية إسماعيل صدقى فى براءة ١٠ مليم بس، أجاب صدقى: عايزهم يغتنوا آمال مين يشتغل عندنا بوابين وسفرجيه.

ويختم القرن البغيض مصائبه ببناء السد العالى وقد رحبنا ببناء السد على أمل أن يسعد كل المصريين ولكنه كان متعسفاً معنا والبحيرة الواسعة بلعت كل النوبة بأراضيها ونخيلها وأشجارها ومثوى الأجداد والأمهات والآباء وكانت الهجرة وهكذا كتب علينا الهجرات منذ بداية قرننا الظالم وهل وجدنا تقديراً؟ والتعويضات تشابهه تعويضات صدقى وبنفس التقديرات والبيوت

البرحة تحولت إلى زنانات والمساحات ضيقة لا تسمح للتوسع الأفقى والمنطقة الجديدة تختلف تماماً عن المنطقة التى كانت تجاور النيل قبل أن يتحول إلى نيل ظالم.

وكان هم الدولة الأول إنقاذ الآثار وهى آثارات نحتت بالأيدى النوبية وهى جزء من النوبة وحتى تحقق لهم الآثار دخلاً متزايداً وهل يصرف الدخل على المعدمين فى كل مصر؟ لا إنها تذهب إلى جيوب الأثرياء وما أشر أثرياء هذه الأيام.

فلا بد من الإشادة بدور الشخصيات النوبية التى قاومت الظلم وفى مقدمتهم الحاج أمام محمد صالح المتفتح وكان فنياً بالسكك الحديدية ومترو مصر الجديدة وابتعث إلى إنجلترا لزيادة خبرته ، وكان يتولى رئاسة النادى النوبى ورغم إصابته بمرض فقد النطق من جرائه إلا أنه استمر يقاوم وإستعان بالأديب النوبى صاحب الشمندورة (١) الأديب النوبى محمد خليل قاسم فى كتابة المذكرات ووقف ضد كبار المسئولين فى فترة الستينات من القرن المفجع ولكن ما فائدة صوت الفقراء حتى ولو كان الحق فى جانبهم.

ورغم كل هذا فالمعدن النوبى يمتاز بالأصالة والعطاء فمنذ فجر التاريخ وقف الجندى النوبى الباسل يقف مع أشقائه فى مصر فى رد غزو الهكسوس والآشوريين واشتركت الدماء النوبية مع كل الدماء المصرية فى تحرير أرض سيناء الحبيبة.

والإنسان النوبى متمسك بأرض الأجداد وأن النوبة جزء عزيز من مصرنا الغالية فقد رفض أبناء النوبة الذين نالوا قسطا من التعليم والتحقوا بالكليات والمعاهد فكرة فصل النوبة المصرية عن مصر وضمها إلى السودان وقاوموا هذه الفكرة التى روج لها المستفيدون من وجود الإنجليز فى وادى النيل. (٢) وكان منهم عبد الله خليل رئيس وزراء السودان وهو من أصل نوبى.

وحتى فى ساعات المحن والألم لم يتخل الإنسان النوبى عن أرضه المصرية فقد قص المناضل المرحوم مبارك عبده فضل أن الحكومة المصرية فى فترة الأربعينات ألحوا عليه بالسفر إلى السودان وإطلاق سراحه إلا أنه فضل أن يموت فى أرض بلده.

رحمة بنا ورحمة بالفقراء فى كل أنحاء مصر فقد تغير الزمن ولا بد من العودة إلى الماضى المجيد لإثراء حضارة وادى النيل مرة أخرى.

اليسار النوبى والقضية النوبية^(١٧)

حينما التقت نخبة من خيره أبناء النوبة من منطلق وطني ومن الإحساس العميق بهموم النوبة. بل هموم مصر كلها. كان شغلها الشاغل الوطن والتعبير عن أحلامهم وآمالهم.

كانت مشاكل النوبة تحتدم والتعويضات التي تحصل عليها النوبيون مقابل غرق قراهم قليلة ومحدودة بعد العلية الثانية لخزان أسوان عام ١٩٣٣ والتي فرضت عليهم محنة الهجرة إلى الشمال بحثا عن العمل.

أزمة الوطن علي أشدها فقراء مصر يقعون فريسة بين أنياب الغلاء والاستغلال ومشاكل النوبة جزء من مشاكل الوطن كله.

كان هذا في نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات وكانت الحرب العالمية الثانية تشرف علي نهايتها.

العمل الثوري يشق طريقا سهلا في الوسط النوبي ، وطوال سنوات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ كان الرفاق النوبيين يبذلون جهدا كبيرا في هذا النشاط الذي لم يتوقف عند حدود ما هو رياضي ، تعليمي ، ثقافي ، أدبي ، بل امتد إلي الجانب السياسي ويكسر الإطار المحدود الخاص بالنوبة. ويتسع ويتصاعد وتنصهر القيادات النوبية في الحركة الوطنية علي طلقات رصاص الإنجليز والمظاهرات العامة التي تشمل أرضى مصر كلها التي أخذت تطالب بجلاء قوات الاحتلال الإنجليز.

وأصبح الكثير من هؤلاء المناضلين النوبيين قوادا شجعانا تلمع أسعائهم في مساء مصر، بعد أن تحولوا إلى طلائع من القوي اليسارية المصرية وإيمانهم بالفكر الاشتراكي طريقا للعدالة الاجتماعية.

ولم يكن اختيار هذا الطريق أمرا سهلا. بل كان يحتاج إلى شجاعة نادرة وإخلاص وتفاني علي طول الطريق الشاق. ودفعوا من حياتهم وشبابهم ضريبة للنضال الوطني في سجون مصر ومعتقلاتها عشرات السنين من عمرهم. وجيلنا في هذا الزمان كان يتصارع بحماس الشباب ويقترّب إليهم. كانت شعاراتهم وأشعارهم عاملا حاسما لجذب الشباب النوبي في العمل الثوري، أن الكثير من الأفكار التي أدخلتها الحركة الثورية في النضال والقيم التي شدتهم إليها ذات تأثير حاسم في تحديد مسار الواقع وسبيل التغيير. وإلى القدرة علي تلمس الحياة المتدفق باستمرار تحمل طموح الإنسان النوبي الفقير والبحث عن العدالة الاجتماعية وحلم الاشتراكية.

وحلقات العمل تتسع وقيادات نوبية جديدة في العمل السياسي والنوبي وعديد من المثقفين الوطنيين بأفكارهم الثورية يزرعون الفكر الاشتراكي في التربة النوبية السمراء حيث تتطابق هذه الأفكار مع قضايا وطموحاتهم رحلة طويلة ممتدة شاقّة زاخرة بالأحداث ونابضة بالحياة.

وإذا كان الكثير من هذه الأسماء اللامعة غادرت عالمنا وتركوا تراثا للوطن. ومن حقنا أن نزهو ونفخر بهؤلاء المناضلين الشرفاء الذين أنجبناهم

النوبة ، ورفعوا راية النضال الوطني دون أن ينسلخوا عن تراب النوبة وعطائهم
للوطن

ومن هذه الرموز النوبية علي سبيل المثال وليس الحضر.. " زكي مراد
" الذي داهمته المنية في حادث أليم وغامض ، وضع هذا الحادث المفجع حد
النهاية لكن فلم يقدر علي محو ذكي مراد من ذاكرة مصر كنموذجا نضاليا
عنيذاً وثائرا وطنيا وشاعرا وإنسانا ومثقفا نوبيا ، ملتزما بقضايا الوطن ، حيث
تغنا بأشعاره عن النوبة وبقصيدة عنوانها " لنفترق " عن تهجير النوبة.

" محمد خليل قاسم " الذي كان واحدا من المع المثقفين النوبيين ومن
أروع أعماله الأدبية رواية الشمندورة فهي أول رواية عن حياة النوبة وخاصة
في مرحلة من اخطر مراحل حياتهم هي مرحلة التعلية الثانية لخزان أسوان.
" نور سليمان جاسر " رئيس جمعية الإسكان النوبي حتى آخر أيامه ذو
الابتسامة الحانية ، يتمتع بسماحة وتواضع يتميز بأسلوب فريد في نضاله
وعطائه وصاحب مدرسة عريقة في العمل الجماهيري والاجتماعي وإنجاز
مشروع إسكاني للنوبيين وعشرات من الطموحات والتطلعات المستقبلية وخاصة
في قرى النوبيين القديمة ومشروع القرى السياحية بها ولم يتوقف العطاء
وليستمر النضال من نفس الأجيال ونفس الأهداف وسوف نلاحظ كم أن الأمور
ما زالت متشابهه في معترك الحياة.

وها هو فارس من هذا الجيل القديم فارس أسوان المناضل العنيد ذو الإصرار اليساري والقدرة علي خدمة الفقراء والبسطاء وانحيازه الكامل مع كل فقراء مصر.

“ مختار جمعه ” يواجه قضايا ومشاكل النوبة والقدرة علي إلمامه الكامل من الظروف والملابسات التي تحيط بالجسد النوبي من تمزق في ظروف أشبه بالحصار وإهماله من المسؤولين هذه القضايا التي تتسم بالاضطرابات والقلق المناضل العجوز “ مختار جمعه ” يأتي نائب إلي مجلس الشعب بإرادة جماهيرية لا تقهر وفي ظل نظام حزب الأغلبية الذي يحتكر الحكم منذ سنوات ، ولا يتمتع بأي رصيد جماهيري. وأن بقائه في السلطة يستند إلي تزوير وتزييف الإدارة الشعبية.

ومختار جمعه يتمتع بروح المقاتل وإصراره وعناده التمسك بهموم النوبة تلك هي نماذج قليلة من هذه الكتيبة المناضلة الذين صنعوا بأقلامهم سلاحا للمقاومة ضد الاضطهاد والظلم والقهر وجعلوا من مقاومة القهر والظلم هدفا لحياتهم. ستظل أعمالهم بصحة متميزة علي وجه الحياة. من حقنا أن نفخر بهم ومن حقنا أيضا أن نفرح بحلاوة انتصار نائب النوبة. “ مختار جمعة ”.

أن شجرة النوبة العتيقة التي قدمت طابورا طوبلا من أبنائها وكان آخر من هبط درجات الحياة “ مبارك عيدة فضل ” في موقع الصدارة علي أرض مصر وأرض النوبة.

وقد أصبح العطاء الذي تربت عليه القلوب رصيذا عتيا ينسج مشاعر الوجدان والوحدة وأصالة التاريخ. ولا يبقى سوي أن نواصل المسيرة وحلمنا علي أكتاف أجيالنا، بين المحنة القاسية والشموخ الإنساني ومحاولة الإفلات من قبضة الزمن في وقت اضطربت فيه الحياة اضطرابات خطيرة وهموم النوبة تزداد تعقيدا منذ زمن الهجرة كانت أحلامها الوردية أن تزول هذه الهموم مع الزمن، ورغم أن البسطاء لديهم قوة خفية علي التكيف مع الحياة الصعبة ولكن من الواضح أن الواقع اليوم كان أكثر تعقيدا من المشاكل والغربة. وأخذ القلق ينساب علي الكثيرين وتمتد مشاعر اليأس من عبارات مزعجة مزعومة ونظرات خوف تتمايل علي الأيام والزمن.

ليس أمامنا سوي القدرة علي عبوره ولكن لا بد من عبوره

الطفولة في بلاد النوبة^(١٨)

حياة الطفولة في بلاد النوبة تختلف عن سائر أرجاء مصر. ذلك أن طبيعة المجتمع وتركيبته ومشقة الحياة وصعوبتها بعد أن حاصرتنا مياد خزان أسوان والتعليلات المتعاقبة في شريط ضيق من الأرض بين الجبل والنهر بل وعلي المرتفعات الجبلية في كثير من الأحيان.

هذه الظروف دفعت بالكثير من الشباب والرجال إلي النزوح إلي المدن الكبيرة كالقاهرة والإسكندرية سعيا وراء الرزق الحلال. تاركين وراءهم الوالد والوالدة والزوجة والأولاد.

هذا ولتعويض الصغار عن حنان الأب المسافر كانت الأمهات والجندات والخالات والعمات تغمر الصغار بعطف وحنان كبيرين فضلا عن حنان الأب الذي يزور أولاده في السنة أثناء إجازته السنوية فيحاول أن يعوضهم خلال هذا الشهر الحنان والعطف الذي منه علي مدي بقية شهور السنة.

كان التعليم في معظم قرى النوبة قاصرا علي الكتاتيب والمدرساة الإلزامية، وكنا ونحن أطفال نساعد الكبار بشكل عفوي وتلقائي بدورنا في منظومة الحياة التعاونية والتكافل الاجتماعي الذي تتميز به بلاد النوبة. كنا نساعد في الزراعة والرعي كما كنا نساعد إلي مساعدة الكبار في حفلات الزواج والمناسبات السعيدة وكذا في حالات الوفاة أو المرض.

وفي أوقات الفراغ كنا نتحلق في مجموعات نلعب كرة القدم أو نمارس بعض الألعاب النوبية ومنها " الحندكية " وهي قريبة من لعبة الحجلة في ريف مصر أو " ناف نافيه " وهو قريبة من لعبة الاستغماية أو " فود دمييه " وهي قريبة من التعلب فات فات أو " جسر جديه " وهي لعبة ليلية لاختبار مدى قوة الإبصار والملاحظة حيث يلقي فيها اللاعب بقطعة عظم بعيدا في الظلام ومن يجدها من بقية اللاعبين يكون فائزا، أو " واك واكيه " وهي لعبة مئية يغوص فيها اللاعب في مياه النيل ليبدء بقية اللاعبين في البحث عنه تحت الماء والفائز من يمسك به أولا ويكون عليه الدور في الغوص.

رحم الله زمانا منا نوقر فيه الكبار ونلقي منهم كل العطف والرحمة . لم يكن الطفل منا ليجرؤ علي أن ينضم إلي مجالس الكبار أو حتى يجلس قريبا منهم قبل أن يؤذن له بذلك. وكنا نسارع إلي جلب إبريق الماء لنقوم بصبه علي أيدي الكبار ليغسلوها قبل الطعام وبعده. فضلا عن قيامنا بجلب صواني الطعام إلي مكان جلوس الكبار ثم رفعها بعد فراغهم منه ونفس الأمر كان يحدث بالنسبة للشاي والقهوة. والفنتي والأسلية أو البلح والفشار.

آلام النوبة من عبد الناصر إلى الجنزورى^(١٩)

طوال القرن العشرين والنوبة تتجرع الآلام والإذلال. فمنذ بناء خزان أسوان عام ١٩٠٢ جنوب مصر، وانتهاء بالسد العالى. وكل تصرفات حكومات مصر المتعاقبة، هى الإستهانة بجموع النوبيين من تعويضات مجحفة وحتى التعالى عليهم تحت قبة البرلمان عام ١٩٣٨. حين قال حسين سرى وزير الأشغال وقتها عن النوبيين " إنهم ليسوا مصريين! " هذا ليبعد النواب عن التفكير فى حقوق النوبيين تعودت مصر على إغراق أجزاء من أراضى النوبيين من أجل شمال مصر. ثم تأتى حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتستكمل إغراق النوبة الشمالية كلها، على وعد من زعيمها بكل الخير لهم وأوفى بوعده بطريقته .. فقد حشر النوبيين كالحوانات فى معتقل ضيق اسمه قرى التهجير بمنطقة كوم أمبو.

النوبة تضحى من أجل مصر لأنها الوطن الكبير كما قيل لهم واقتنعوا لكنها لا تأخذ من وطنها الكبير غير الكلام المعسول لكن. ماذا بعد هذا ؟ أين حقوق النوبة ؟ لا شئ سوى الكلام المسكن. وعندما يتم استصلاح حوالى عشرة آلاف فدان فى الهضبة النوية التى هى أعلى من مستوى مياه بحيرة النوبة دعك الآن أن الحكومة المصرية أطلقت عليها اسم بحيرة ناصر ثم تسحب الاسم وتقول أنها بحيرة السد العالى ثم تعود إلى اسم بحيرة ناصر. متجاهلة اسم البحيرة الحقيقى .. بحيرة النوبة، مثلما أطلق عليها فى الجزء الممتد

داخل السودان تتخذ الحكومة المصرية التدابير سراً لبيع هذه الأفدنة المستصلحة للخريجين والمستثمرين ! وأين النوبيون الذين ضحوا ؟ ثم تصعد الحكومة حكمها الجائر وتعلنها علانية فى أهرام ١٩٧٧/١١/٢٢ ملف مصر الخضراء .. تتولى الأجهزة المختصة فى هيئة تنمية بحيرة السد العالى البدء فى استدعاء وتسكين المرشحين للانتفاع سواء من شباب الخريجين أو صغار المنتفعين وتوطينهم فى المساحات المخصصة لهم فى مشروع السلام "أبو سمبل" ويسلم كل منهم قطعة الأرض المخصصة له بإجراء القرعة العلنية. "هكذا ثم تؤكد الحكومة ما قالته سابقاً فى أهرام ٩٨/٢/٢٤ تحت عنوان رئيسى يقول بالفم المليون" الجنزورى: تخصيص ١٩٥٠ فداناً فى توشكى للشباب. الأولوية لأبناء الصعيد بشرط الاستصلاح الفورى للأرض.

وأنا النوبى المصرى. أسأل كل مصرى وأقول .. لماذا عندما هجرت الحكومة أهالى القناة من منطقتهم أيام حرب ٦٧، أعادتهم فى عمارات جديدة مجهزة أفضل من سابقها ولم تطالب الحكومة المهجرين بقرش واحد ؟ رغم أن تهجير أهالى القناة كان لمصلحة أهالى القناة أولاً. ولماذا لم تكيل الحكومة مع ناس النوبة بنفس هذا الكيل ؟ رغم أن تهجير ناس النوبة كان لمصلحة مصر إجمالاً ولم يكن لمصلحة النوبيين مطلقاً ؟

الحلى النوبية

لقد لعبت الحللي والمصوغات دورا رائعا في حياة المجتمع النوبي إذ أخذت ركنا هاما في أحلام الإنسان النوبي وخياله . كما قوت روحه وإرادته . وأثارت حماسه وحفزت همته وأظهرت غناه وثراءه .

وأكدت ثقته بنفسه . وجمعت وأبرزت شخصيته . وكانت أصدق وسيلة للتعبير عن مشاعره ومعتقداته وقدرة تذوقه وجمال بصيرته وأسلوب حياته وثقافته .

والحلي الشعبية النوبية بها جاذبية خاصة إذ تلفت النظر وتثير الانتباه وبخاصة عندما تتزين بها نساء النوبة في حفلات الزفاف . فقد شدت هذه الحللي انتباه كل من شاهدها وأثارت إعجابه بطرزها وأشكالها المميزة .

والحلي الشعبية النوبية من الأعمال الفنية التي يتضح فيها الذوق والحس الفني ، وهي قادرة على نقل وإشعاع هذه القيم التي استمدتها من تراثنا العظيم إلى دارس الفنون العامة والذين نعدهم ليكونوا حملة شاعل التربية الفنية في إرجاء بلادنا العربية خاصة لقد جاهدت جماعات مجهولة إلى النوبة ونقلت ثقافتها وعاداتها إليها .

لقد ظهرت تأثيرات هذه الحماقة واضحة في كثير من الحللي النوبية وبخاصة في الأساور والخلاخيل الفضية ذات رؤوس الأسود وهي الحللي التي وجدها (أومي) في بلانة وقسطل بالنوبة المصرية .

والمجتمع النوبي مجتمع من مجتمعات القارة الأفريقية. يؤثر ويتأثر بمن حوله من شعوب ومجتمعات. وتعتبر الحلبي ظاهرة ثقافية فلكلورية. فهي تعبير واضح عن عادات وتقاليد وعقائد هذا المجتمع. ولما كان المجتمع النوبي في مصر يتكون من ثلاث جماعات هم الكندز والعرب والنوبيين (الفاديجه) وكل جماعة وفدت من مكان مختلف فبرغم من إنها أصبحت تكون مجتمعا واحدا إلا أنها بينها بعض الاختلافات ما يجعل حلبي كل جماعة تختلف ولو قليلا عن الأخرى.

ظاهرة الرقيق النوبي **APARTHEID**

موضوع الأوشي (العبيد) في بلاد النوبة.. موضوع شائك من يتعرض له يضع رأسه في عش الدبابير. ولكنها أمانة التاريخ التي تدفعنا للتعرف له بحساسية شديدة دون أن نضع رؤوسنا في الرمال. والمعروف أن النوبيين لا يسترقون أبناء جنسهم. فالنوبيين جميعا دون تفرقة من أصل زنجي.

انتشر النحاسون في أفريقيا يتاجرون في البشر وكثرت حلقات بيع العبيد بشكل ملفت لأنظار النوبيين فتقدم أجدادنا لشراء العبيد ليس من أجل الاسترقاء ولكن بهدف التحرر باعتبارهم من بني جلدتنا إلا أنهم أرادوا أن يردوا الجميل بخدمة أجدادنا هم وزوجاتهم وأبناؤهم وأصبحت عادة توارثها الأولاد والأحفاد من الطرفين.

كان هذا هدف الأجداد. أما الأبناء وأبناء الأبناء كانوا يفخرون بعدد العبيد الذي يمتلكونه. وقد تمركز الآخر في الدر عاصمة حكم الكشاف وابرهم قصر الحاكم وفضلوا أن يتمركزوا في بلدة توشكى قصر المحارب.

مثلما كان يحدث في أمريكا أبان التفرقة العنصرية عندما كانوا يكتب

على أبواب محلاتهم ومطاعمهم **For Biddin For Dogs and**
.Couldors

كانت النوبة تمارس ما هو العن وأفطع ، فالخلف حاد عن أهداف السلف فلا يسمحون لهم بالجلوس معهم رأسا برأس في المآكل والمعزى والمناسبات بل يظلوا واقفين حتى ينتهي الأسياد أو يسمحون لهم. ولا يجرؤ واحد منهم أن يتقدم لخطبة ابنة سيده (على حد قولهم) فيكون مصيرة الموت على اعتبار أنهم م الأشياء كما ينص القانون الروماني القديم.

تصحيح الأوضاع :

وظل الحال المائل على ما هو عليه من التفرقة البشعة والصلف من الجانب الآخر والظلم البين فترات طويلة حتى تحولت العادة إلى إلزام إلى عرف.. والعرف قانون المنطقة.

وشيئا فشيئ نبغ الآخر على من يرى أنه السيد وفاقه في العلم وأعتلى مناصب رفيعة عجز عنها الأصل وأصبحت الأفضلية فيمن تفوق ثقافة وعلمها وقبلها أخلاقا.

وذابت الفوارق واختلطوا مع الآخر تتراوجوا بعد أن كان محرما على أبناء النوبة التزاوج من قرية أخرى فالشباب من ابريم لا يستطيع أن يتزوج فتاة من عينبه والكنزي لا يتزوج من عرب السد وعندما أنجبوا حيث من النوبيين من جميع. فقد أصبحوا جميعا نسيجا واحدا متضافرا في مجتمع النوبة.

فجميعهم في خندق واحد ومياه السد لم تفرق بين كنزي وعليقي وفادجة. وهكذا انتقلوا إلى بلاد المهجر شيئا واحدا فكباتهم واحدة وآماله في العودة واحدة لا فضل فيهم لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ونرجو من الله إلا يعيد هذه الأيام القاسية المظلمة والتي أصبحت بقعة سوداء في تاريخ النوبة. وأخيرا نحمد الله أن نوبتنا تطهرت من هذه العثرة إلى الأبد.

الرياضة النبوية (٢١)

ومن السمات المميزة للنوبة والتي على وشك الإنقراض . تلك الألعاب النبوية التي كانت تنمى القدرات المختلفة لدى الأجيال وفق طباعهم الهادئة وأخلاقياتهم السمحة كما كانت تمثل وسيلة عريقة لتسليّة كل طوائف المجتمع رجالاً ونساءً وأطفالاً بمختلف أعمارهم وتثقيفهم وترويضهم على الخصال الحميدة فى نفس الوقت.. وأقول الإنقراض والإندثار لأن ظروف الحياة المتغيرة وكثرة الهجرات والتداخلات.. ثم اقتحام التلفزيون.. وأمور أخرى كثيرة لا قيمة لحصرها هنا.. اتحدت جميعاً وأطاحت بتلك الموروثات التى يدين لها كل مجتمع وادى النيل من شماله إلى جنوبه بالفضل.. وأقول (الاختفاء من ذاكرة التاريخ إلى الأبد) لأن هذه الألعاب غير مسجلة ولا مدونة ولا موثقة.. ولكنها بقايا ذكريات فى عقول جيل من المجتمع النبوى. وهذا الجيل بدأ يتوارى عن الحياة بسبب الموت.. أو يتوارى عن المجتمع بسبب الشيخوخة.. أو يتوارى عن الساحة الفكرية بسبب النسيان والإهمال.. وفى كل الأحوال فإن النوبة هى الخاسر الأول والإنسانية هى التى ستدفع ثمن هذه الخسارة الفادحة..

لقد قمت بحصر مبدئى لأكثر من عشرين لعبة.. كان يمارس بعضها الرجال وبعضها للسيدات وكذلك الأولاد والبنات حسب المراحل السنية لهم.. وهذه الألعاب من ألعاب نهارية وألعاب ليلية وتختلف الألعاب الليلية فى

الليالى المقمرة عنها فى الليالى المظلمة.. كما كانت بعض الألعاب موسمية.. وكان للبيئة دوراً واضحاً فى أدوات اللعب المستخدمة.. ولاحظت أيضاً أن بعض أسماء هذه الألعاب تختلف من منطقة إلى أخرى وكذلك فإن الكلمات أو الأغاني فى بعض الأحيان والتي كانت تصاحب بعض الألعاب بدأت تفقد معانيها ومدلولاتها فى الحياة العامة النوبية.. والتي بدورها بدأ يتسرب من بين أيديها كل عرى التواصل الثقافى واحدة بعد واحدة..

ولابد من سرعة حصر كل هذه الألعاب من كل المناطق النوبية بدون استثناء.. وخصوصاً المناطق التى لم تتعرض للآن إلى التهجير وتغيير التركيبة السكانية.. أو لم تستسلم للغزو الفكرى مثل (وادى حلفا السكوت المحس دنقلة) النوبة السودانية.. مع تتبع ما بقى من هذا التراث فى بلاد المهجر (خشم القرية كوم امبو).. ثم تسجيل كل المتاح كتابة وتصويراً على حفظها وتوثيقها.. حتى لا يتعرض هذا التراث الإنسانى النادر للإنقراض ويختفى من الوجود ويلحق بالإرث الغارق.

والمتتبع للألعاب النوبية يجد أنها عبارة عن قيم ثقافية تعبر عن أوجه الحياة المختلفة للإنسان النوبى رغم بساطتها.. ولذلك فهى تؤثر على سلوكيات الإنسان ويتأثر بها.. ولأن ممارسة هذه الألعاب الشعبية الإقليمية كانت من العوامل الرئيسية لشغل أوقات الفراغ لدى مختلف الأعمار بما يتناسب مع أخلاقياتها وموروثاتها واجتماعياتها الحميمة.

وحصر اهتمامات أجهزة الإعلام المختلفة برياضات معينة مستوردة أحياناً دون غيرها تسبب في إحداث خلخلة عميقة في أعماق الكيانات الاجتماعية التقليدية.. وأرى أن العودة إلى نشر وبث بعض الألعاب القديمة بما لها من أصول يرجع إليها الفضل في ألعاب كثيرة حديثة.. سيكون لها أثراً طيباً.. حيث ينمي بعض الولاء العاطفي عند الشباب ويبعدهم بالتالي عن التقليد الأعمى.. وهذا بدوره ينشط الاستقلالية الفكرية التي ستؤثر على مجمل السلوك لدى الإنسان.

ومن الممكن والمفيد.. العمل على نشر بعض هذه الألعاب القديمة.. مرة أخرى بين الأجيال الحالية.. وخصوصاً (ألعاب القوى النوبية) مثل: الهاندكى Handakke (الحجلة) بالذات.. لأنها من أفضل وأنسب الألعاب النوبية للأجيال الحالية من الشباب في كل الأقطار.

وبنوع من التحديد.. أدعو إلى العمل على إعادة بعض الألعاب النوبية إلى الساحة.. وخصوصاً اللعبة التي تسمى هاندكى Handakke ونشر ممارستها في الأوساط الرياضية لأنها تعتبر اللعبة الوحيدة الجماعية في ألعاب القوى "كل فريق ٧ أو ٨ أفراد" وهي قابلة للتعديل في بعض النظم أو عدد اللاعبين. وذلك لأن مثل هذه اللعبة ستخفف من الصورة القائمة التي تصاحب بعض ألعاب القوى مثل الملاكمة والمصارعة الحرة والكاراتية.. وسينعكس ذلك بالإيجاب على المشاهدين واللاعبين على السواء.. حيث

سيزرع فى أعماقهم التنافس الشريف فى الرياضة ثم فى كل سبل الحياة التى يمارسها الأفراد والجماعات والشعوب.

كما سيساعد هذه الاهتمامات.. شباب النوبة فى الشعور بقيمة ماضيهم الذى تركوه طوعاً أو كرهاً.. وانصرف بعضهم إلى ملء الفراغ الذى يعانى به بشتى الطرق التى قد تجر ضعاف النفوس إلى مفاصد هادمة كالمخدرات والكحوليات أو الممارسات التى ستهدم الإنسان تماماً وعند ذلك ستضطر الإنسانية إلى السعى المتأخر لإنقاذ التراث الإنسانى لجزء عزيز من بنى جلدتهم.

أعاجيب نوبية

١ = جنون الغنم ثم جنون البقر^(٢١)

قامت الدنيا ولم تقعد عندما اكتشفت البشرية، بالملاحظة وربما بالمصادفة مرضا يصيب قطعان البقر.. اتفقوا علي تسميته بـ (جنون البقر).

ولعل الجديد في هذا المرض هو الانتشار الوبائي له في بلاد أوروبا.

إلا أن ملاحظتنا في أواسط القرن العشرين توحى بأن لهذا المرض تاريخ قديم.. ولو أنه كان بصفة فردية فلقد كنا نسمع عن (الخروف المجنون) في بلادنا قبل التهجير حيث كان الخروف المريض (المجنون) يقوم بحركات غريبة وعجيبة من قفزات ووثبات لا معني لها.

وكان كبار القرية يعرفون أن هذا المرض لا علاج له إلا بإطلاق سراح الخروف.. ليكون بعد ذلك عشاء شهيا للذئاب والضباغ.

ولكن أحدا من أهلنا لم يحرك ساكنا لهذه الظاهرة.. ربما لقلّة أعداد الخراف المجنونة أو لمحدودية المعرفة لدي الأهل.

وعموما.. نحمد الله الذي رفع من بلادنا جنون الخراف، واستبدله عند الآخرين بجنون البقر.

ولله في خلقه شئون

٢ . بركات الشيخ شبيكه

ولي الله الشيخ شبيكه يقبع تحت قبة خضراء يمسحها النوبيون والنوبيات بأيديهم ويقبلونها.. أن هذا الشيخ الذي ينير ببركته جبل الدر والذي يؤمه النوبيون من آخر الحدود في المناسبات الدينية وطهور الأبناء. يوكلونه ليطلب من الله أن يرزقهم أو يشفي مريض أو يساعد طالب علي النجاح.. يقسمون به ولا يحنثون سنوات طويلة ترجع إلي ما قبل الميلاد والبركة تحل علي بلدة الدر المدفون في جبلها هذا الولي الطاهر الشيخ شبيكه. وتنطق السنة الأهل تؤكد قناعتهم فيقولون "جريجوولي شبيكل جوونا أي السيئون لا يزورون الشيخ شبيكه".

والحقيقة مؤلة ومخذية فهو الملك شباكة الذي تولى عرش النوبة بعد بعنخى وهو أحد ملوك مملكة كوش وكان وثنيا وورث العرش لابنه شبتاكة من بعده. وهو الآن غارق في بحيرة السد لعله يباركها فتزداد الثروة السمكية.

٣ . النوبيون عرفوا البنسلين قبل فليمنج

الكسندر فليمنج اخترع البنسلين من العفونة ليكسب الجسم مناعة والنوبيون من مئات السنين يقومون بتعفين السمك الصغير (البساريا) ويعفونوه في الشمس ويقلبونه من وقت لآخر حتى يسود لونه أي (يتعفن) فيكون غذاء لهم يسمونه (تركين).

البعض يضع عليه ليمون وزيت والبعض في السودان يصفونه من الشوك ويخلطونه بمسحوق السوداني والبعض (السكوت) يطبخونه بعد تصفيته بالتقليية.. وهو في جميع الأحوال لها مفعول البنسلين.
وظاهرة طول الأعمار ترجع إلي تناول هذا الغذاء الصحي الذي كاد يختفي بعد هجرة السد العالي.

٤ = الماعز النوبي The Nubian Goat^(١٨)

تعبت ألسنتنا وجفت حلوقنا ونحن نردد مقولة أن إعادة تعمير بلاد النوبة أو بحيرة السد العالي كما يحلو للبعض أن يسميها في الزمن الردي يجب أن يتم علي أيدي أبنائها الأصليين وأن يرتفع البنيان عليها من طينة أرضها وأن تربي في مراعيها نفس فصائل الحيوانات التي كانت تنفرد بها تلك المنطقة. ويؤيد هذه المقولة ويؤكدها كبار العلماء والمتخصصين مثل شيخ البنائين المهندس حسن فتحي طيب الله ثراه. وكذا عالم أكاديمي أمريكي من أصل مصري يعمل رئيسا لأكبر هيئة فيدرالية بأمریکا تعني بشئون البيئة نشر رأيه بجريدة الأهرام في تحقيق عن مشروع توشكي.
وسأتكلم في هذه العجالة عن الحيوانات التي كانت تنفرد بها بلاد النوبة خصوصا الماعز النوبي. وهو نوع فريد تلد الأنثي منه من أربعة إلي خمسة من صغار الماعز وهو أمر نادر خصوصا إذا علمنا أن بقية أنواع الماعز تلد واحدة أو اثنتين أو ثلاثة علي أكثر تقدير.

لم يعرف النوبيون ما يتميز به ماعزهم ومن ثم فلم يحافظوا علي سلالاته . لأن الإنسان لا يعرف قيمة النعمة التي بين يديه إلا بعد أن يفقدها . إلا أن الأدهي والأمر أن المختصين بتنمية الثروة الحيوانية بوزارة الزراعة وهيئاتها أيضا لم ينتبهوا إلي هذه الحقيقة .

والذى انتبه لموضوع الماعز النوبي سائح إنجليزي كان في زيارة لبلاد النوبة فأخذ معه إلي إنجلترا عددا من الماعز قام بتربيته وأشرف علي تكاثره وانتشاره حتى أصبحت إنجلترا تقوم بتصديره إلي كافة أرجاء المعمورة . وكان الرجل أمينا فلم يغير اسمه بل حرص علي تسميته بالماعز النوبي The Nubian Goat .

ولأن الإنسان النوبي يحمل هموم النوبة وشجونها في حله وترحاله . فقد حكيت قصة السائح الإنجليزي مع الماعز النوبي لصديق من النوبة السودانية يعمل مديرا لهيئة دولية بمنطقة الخليج العربي . فحكى لي بدوره حكاية أغرب عن الماعز النوبي . قال الصديق أنه كان في مؤتمر لمديري تلك الهيئة الدولية عقد بمدينة باريس . وجلس الصديق بجوار مدير فرع الهيئة بمانيلا عاصمة الفلبين وأثناء التعارف قال له الصديق إنه من النوبة السودانية فما كان من الرجل الفلبيني إلا أن بادره بقوله أن هذه المرة الأولى التي يري فيها إنسانا نوبيا لكنه رأي قبل ذلك حيوانا نوبيا ولما اندهش صديقي لما سمعه أوضح له الرجل إنه رأي الماعز النوبي في مزارع مانيلا بالفلبين . ولم أجد ما أعلق به علي هذه الحكاية الطريف سوي أن أقول له . شكرا للماعز النوبي الذي حقق ما فشل الإنسان النوبي في تحقيقه .

الهامش

- ١- حمدون سكرتير النادي النوبي الثقافي الديني - أرمننا
- ٢- الوزير المفوض والسفير السوداني أحمد محمد نور حلقا
- ٣- السفير والوزير والأديب السوداني جمال محمد أحمد سرا
- ٤- رمضان حسن دوكي الديوان
- ٥- خالد محي الدين رئيس لجنة الخدمات بمجلس الأمة
- ٦- الباحث عبد الرحمن عوض - قورته
- ٧- دكتور محمد رياض أستاذ الجغرافيا بآداب عين شمس
- ٨- محمد سليمان جدكاب رئيس جمعية التراث النوبي - ادندان
- ٩- انتصار عبد الفتاح المخرج المسرحي والموسيقار
- ١٠- عميد الفن النوبي محي الدين شريف
- ١١- دكتور صفوت كمال أستاذ الفنون الشعبية
- ١٢- دكتور مدحت الجيار (السردي النوبي المعاصر)
- ١٣- الأديب النوبي يحيي مختار
- ١٤- الأديب والكاتب أنيس منصور الأهرام
- ١٥- أحمد فؤاد عباس جريدة الشرق الأوسط

- ١٦- عبد الوهاب خليل - رئيس جمعية أرمننا النوبية
- ١٧- سيد إسحق كاتب يساري توماس
- ١٨- مصطفى صالح جاسر أبو سمبل
- ١٩- الأديب النوبي حجاج أدول توماس وعافية
- ٢٠- الكاتب والأديب والناقد محمود أمين العالم
- ٢١- الشاعر والكاتب محي الدين صالح قسطل
- ٢٢- دكتور حمزة الباقر دكتوراه في جغرافية النوبة ابريم
- ٢٣- الأستاذ/ أمين حفني الجيل الثاني المعلمين الديوان والدر
- ٢٤- المهندس المعماري محمد يوسف زرار ابو سمبل
- ٢٥- محمود السنّي توشكى
- ٢٦- الحاجة ذكية جاسر الجنينة والشباك

المراجع

- ١- دائرة المعارف البريطانية.
 - ٢- من إعلام النوبة
 - ٣- الفنون الشعبية في النوبة
 - ٤- النوبة تاريخ وحضارة
 - ٥- السرد النوبي المعاصر
 - ٦- العقيلات والجعافرة
 - ٧- سد عالي فوق أرض النوبة
 - ٨- الكنوز
 - ٩- مصر وبلاد النوبة
 - ١٠- نهر النيل
 - ١١- اللغة النوبية
 - ١٢- حكايات من النوبة
 - ١٣- النوبة حكايات وذكريات
 - ١٤- فن صياغة الحلبي الشعبية النوبية
 - ١٥- طقوس الحياة في بلاد النوبة ودراسة التغير الثقافي
 - ١٦- صفحات من تاريخ النوبة
 - ١٧- نحو محاولة للكتابة اللغة النوبية
 - ١٨- الموسيقى النوبية وأغانيتها
 - ١٩- مضبطة مجلس الأمة
- محي الدين صالح
سعد الخادم
جاب الله علي جاب الله
د. مدحت الجيار
أحمد لطفي السيد
ليزلي جرينر
فيصل صالح الخيري
وولتر إمري
د. محمد عوض محمد
د. مختار خليل كباره
جمال محمد أحمد
محي الدين شريف
د. علي زين العابدين
جون لكنيدي
أحمد عبد الحافظ
مؤسسة ابن خلدون
انتصار عبد الفتاح غبن
خالد محي الدين

- ٢٠- مجلات الفنون الشعبية
وزارة الثقافة
- ٢١- الصحف المصرية العربية
- ٢٢- الإسلام والنوبة في العصور الوسطى
د. مصطفى مسعد
- ٢٣- النوبة الجديدة
د. السيد حامد
- 24- Ahsitory of Egypt - J.H. Breasted
- 25- The Royal To MBs of Ballan and Kostol W.B. Emery
- 26- Egypt and Nubia (London - Moon) D. Roberts
- 27- The People of wadikenus G.W. Murray

مجموعة من الصور القديمة للقيادات النوبية
وبعض المناظر الهامة تاريخياً

اتحاد الهيئات النوبية بالقاهرة عام ١٩٤٥

الصف الثاني من اليمين

- ١- الشيخ مرسى على مدرس بالدر الابتدائية
- ٢- الأستاذ محمد جمال المصري الرعيل الأول من المدرسين.
- ٣- الأستاذ محمد جمال الدين أمين ناظر ثانوي
- ٤- الأستاذ سليمان عجيب عضو مجلس النواب وعميد الشباب النوبي.
- ٥- محمد عثمان فقير رئيس النادي النوبي العام بمصر.
- ٦- جلال الدين سليمان صاحب جريدتي الميزان والأديب المصري.
- ٧- مصطفى داود عميد قبيلة البزرجناب.

الصف الثالث :

- ١- محمد أحمد داود رئيس جمعية توشكى.
- ٢- محمد أحمد اسحق.
- ٣- الشيخ عبد الخالق الحاج صالح عمدة مصر الجديدة.
- ٤- محمد حسن على طالب
- ٥- الشيخ أحمد حسين
- ٦- سيد ميزو

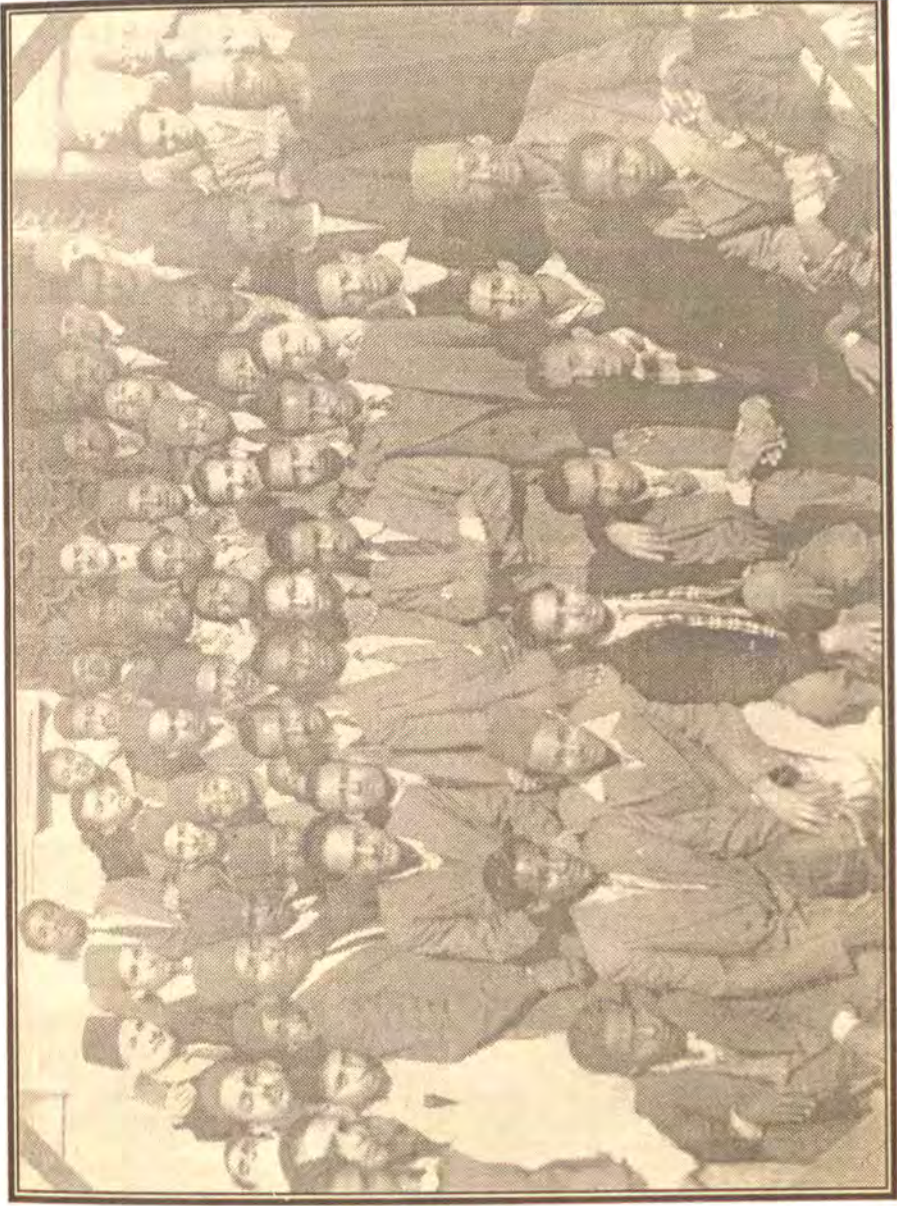
الصف الأول :

- ١- ذهب أبا يزيد بابا.
- ٢- صالح عرابي
- ٣- محمد أمين أبو بكر
- ٤- سيف محمد
- ٥- محمد حسين الكاشف
- ٦- محمد اسحق
- ٧- كامل محمد بدر

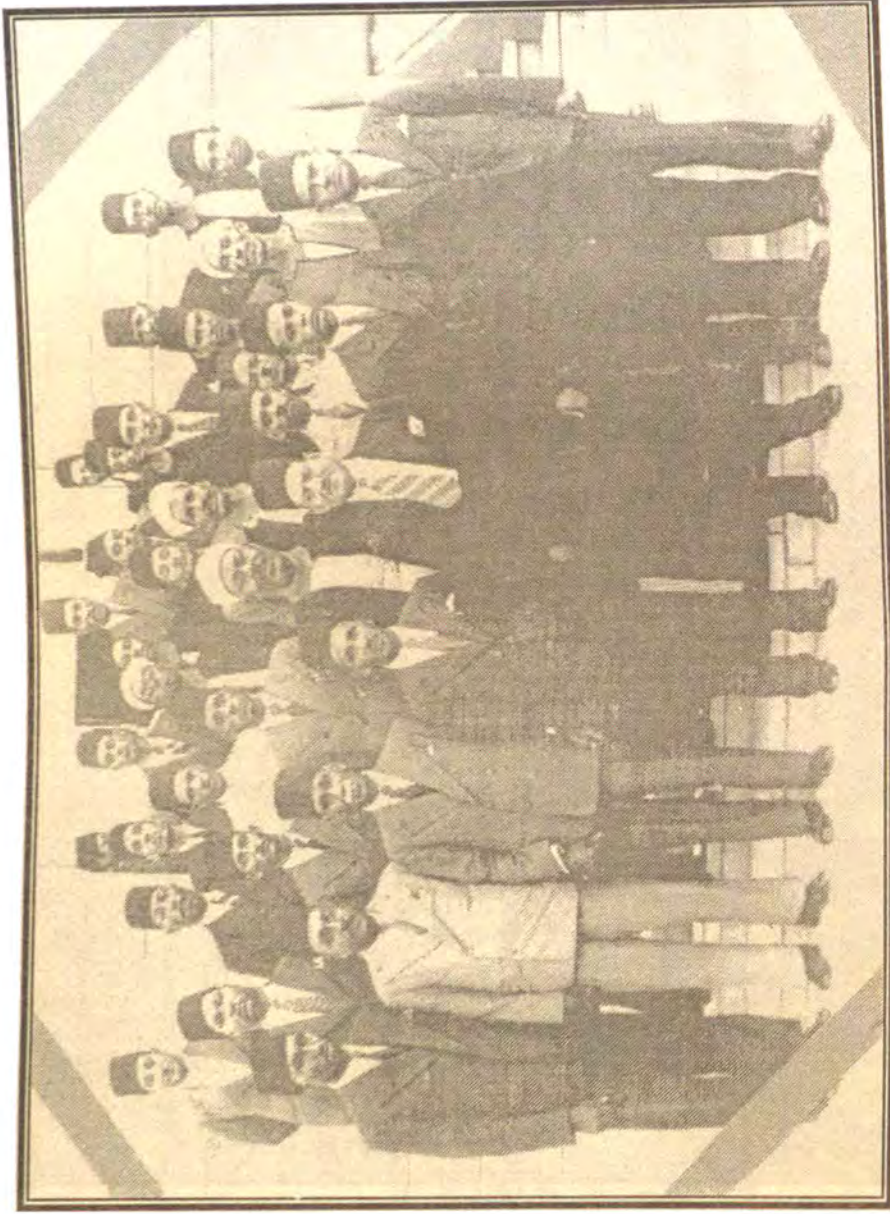
الصف الرابع :

- ١- سليمان أحمد سليمان
- ٢- عكاشة خميس
- ٧- حسب الله إبراهيم
- ٨- حسين محمد خليل
- ٩- حسنين المواردى
- ١٠- الحاج مراد صبار





لجنة الوفد المركزية النوبية مع رفعة مصطفى النحاس باشا (١٩٤٩)



رؤساء وأعضاء الهيئات التوجيهية مع رفعة النحاس باشا بعد عودته من منطرو عام ١٩٣٧



المناضل/ محمد خليل قاسم - صاحب الشمندوره

١٩٢٢ - ١٩٦٨



الشهيد/ زكي مراد المحامي (١٩٢٧ - ١٩٧٩)



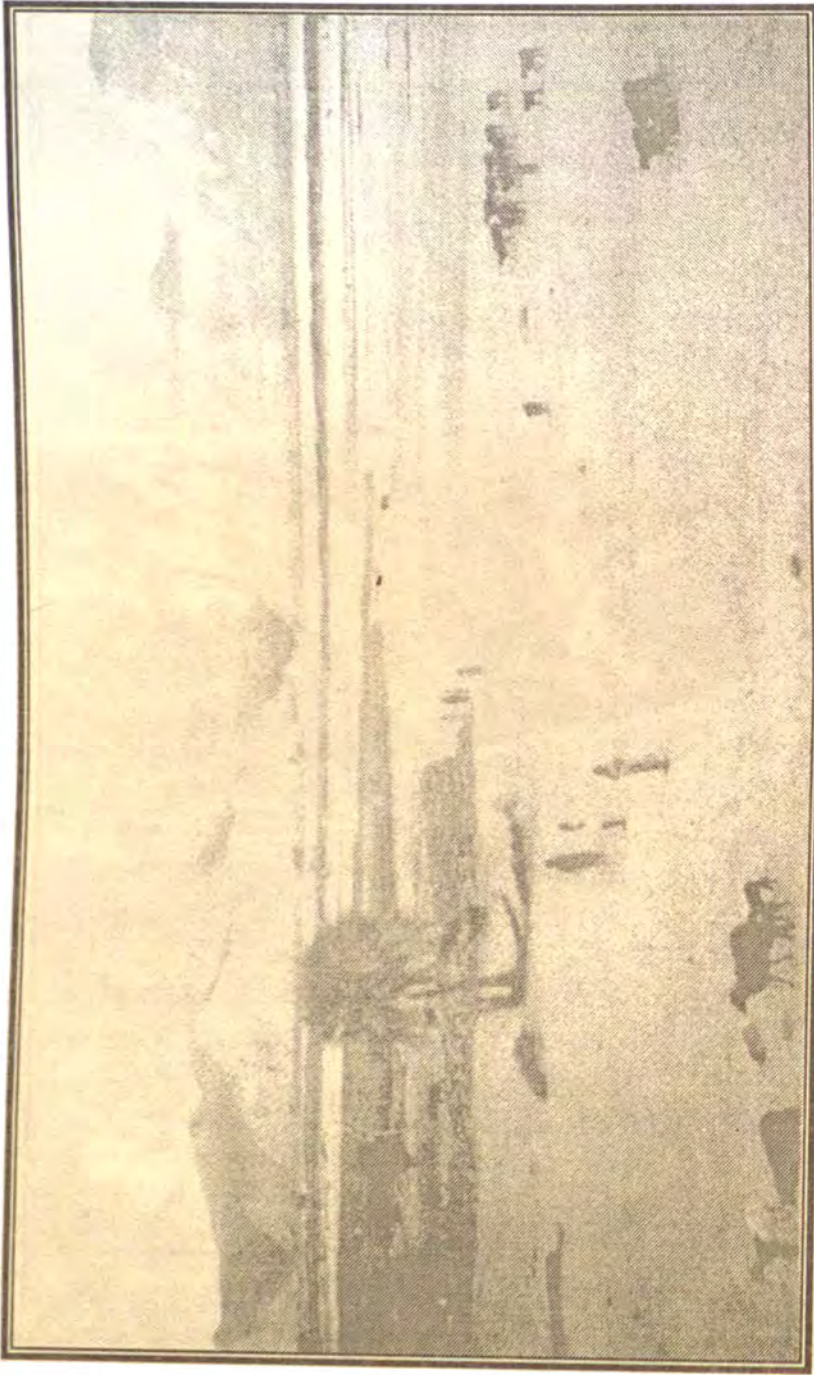
سليمان عجيب (١٩٦٤)



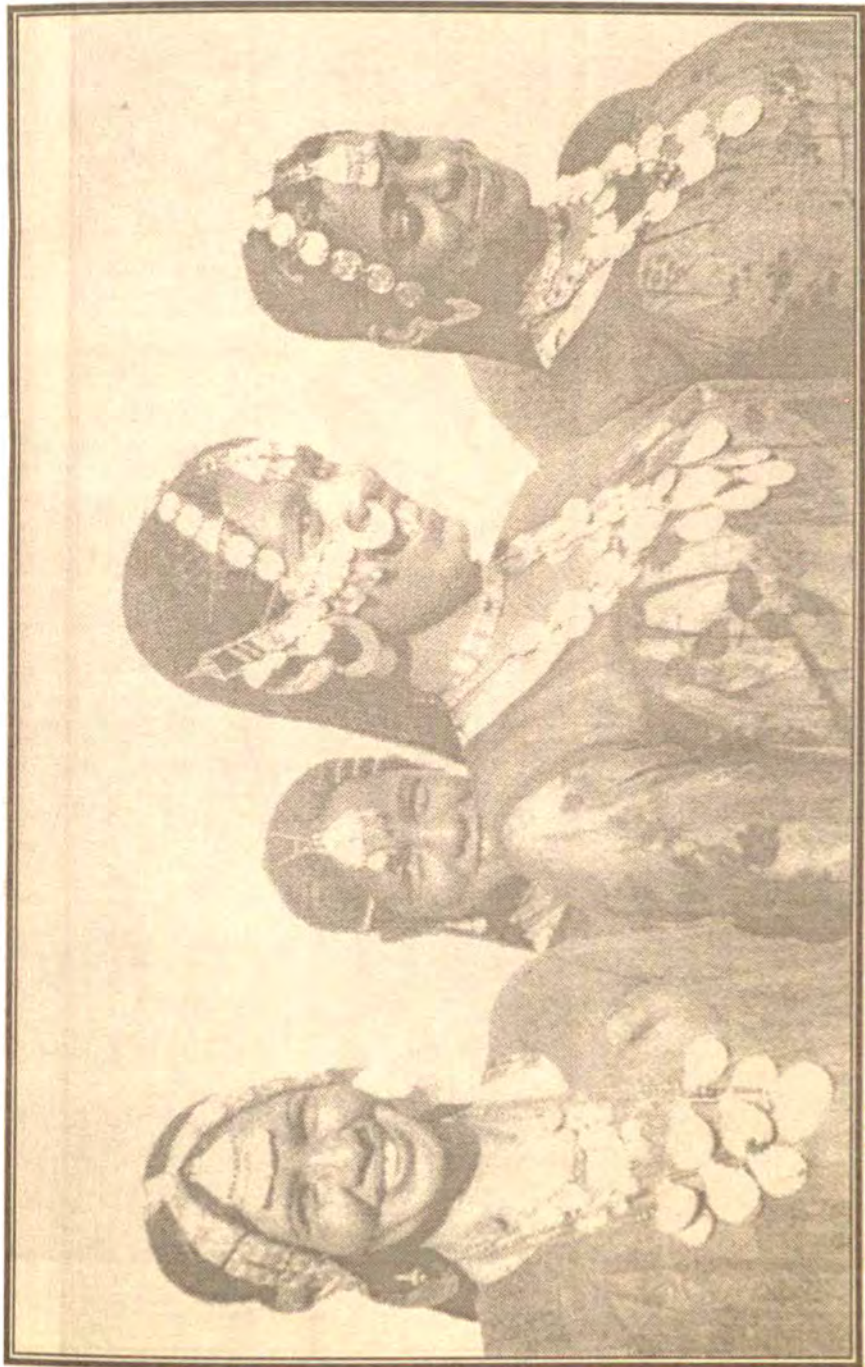
محمد طه أبو زيد بك
عضو مجلس النواب عن النوبة



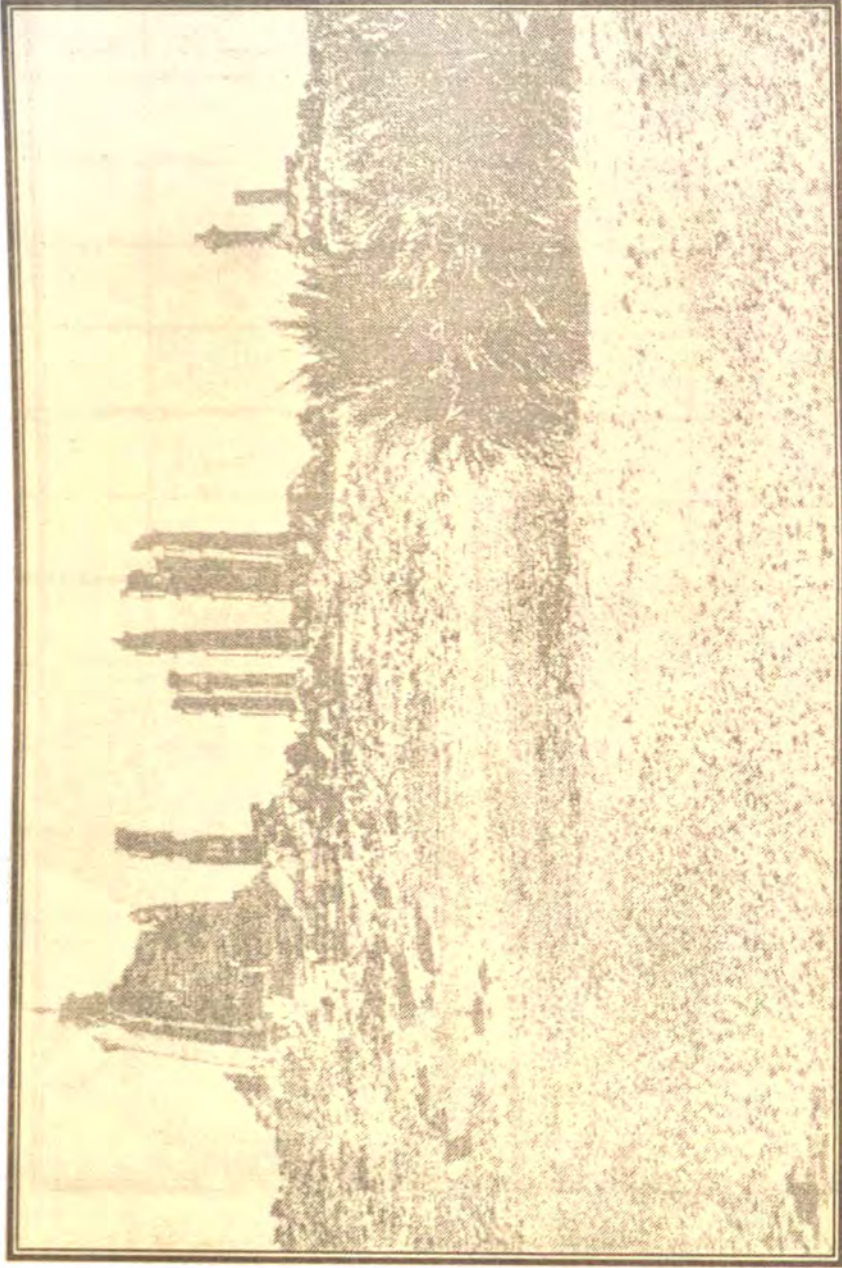
عبد الله علي بشير - مؤسس فرقة الكشافة النوبية



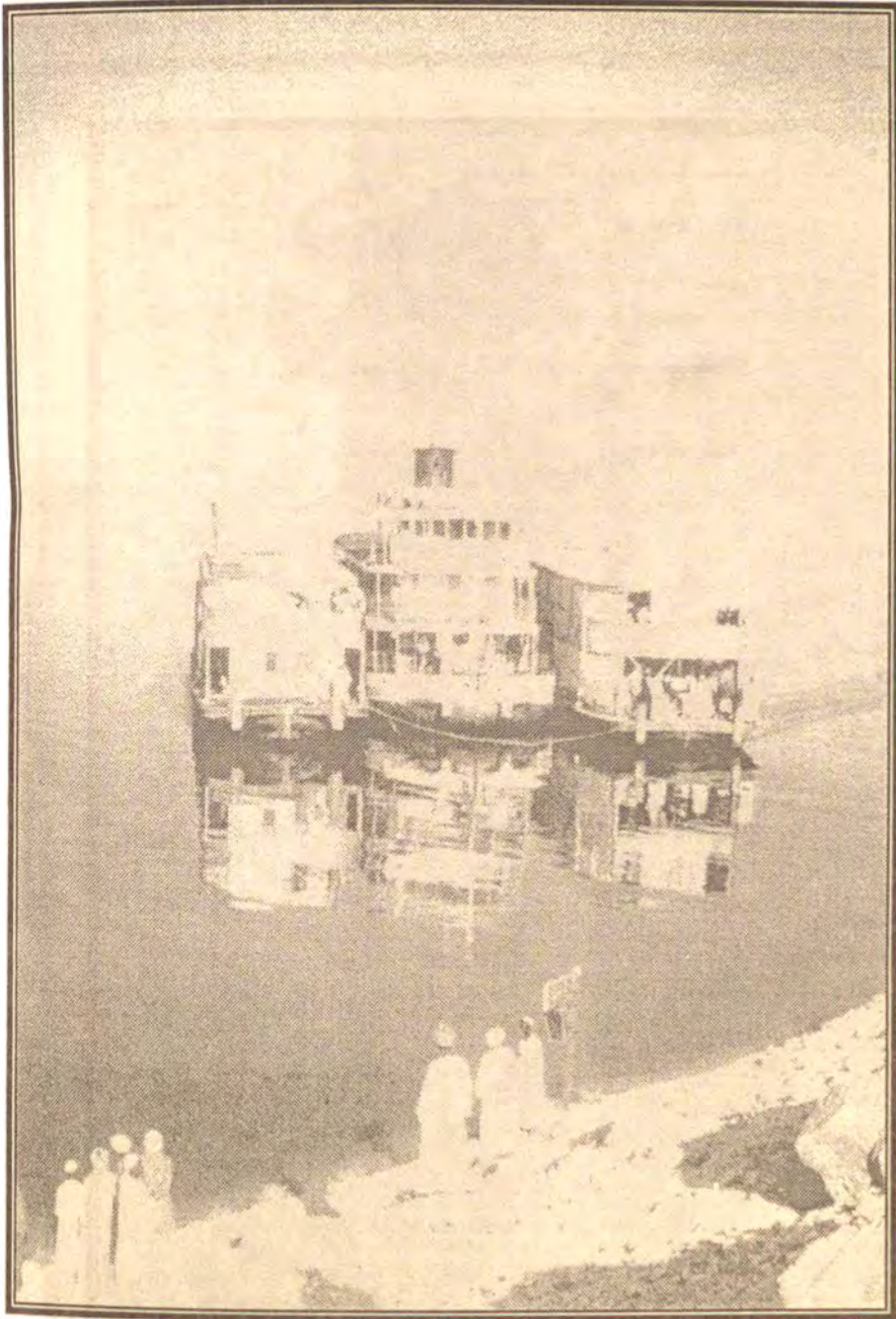
جبال شاتورمه و السنجاری (المالکی)



الحلى النوبية



الطبيعة النوبية



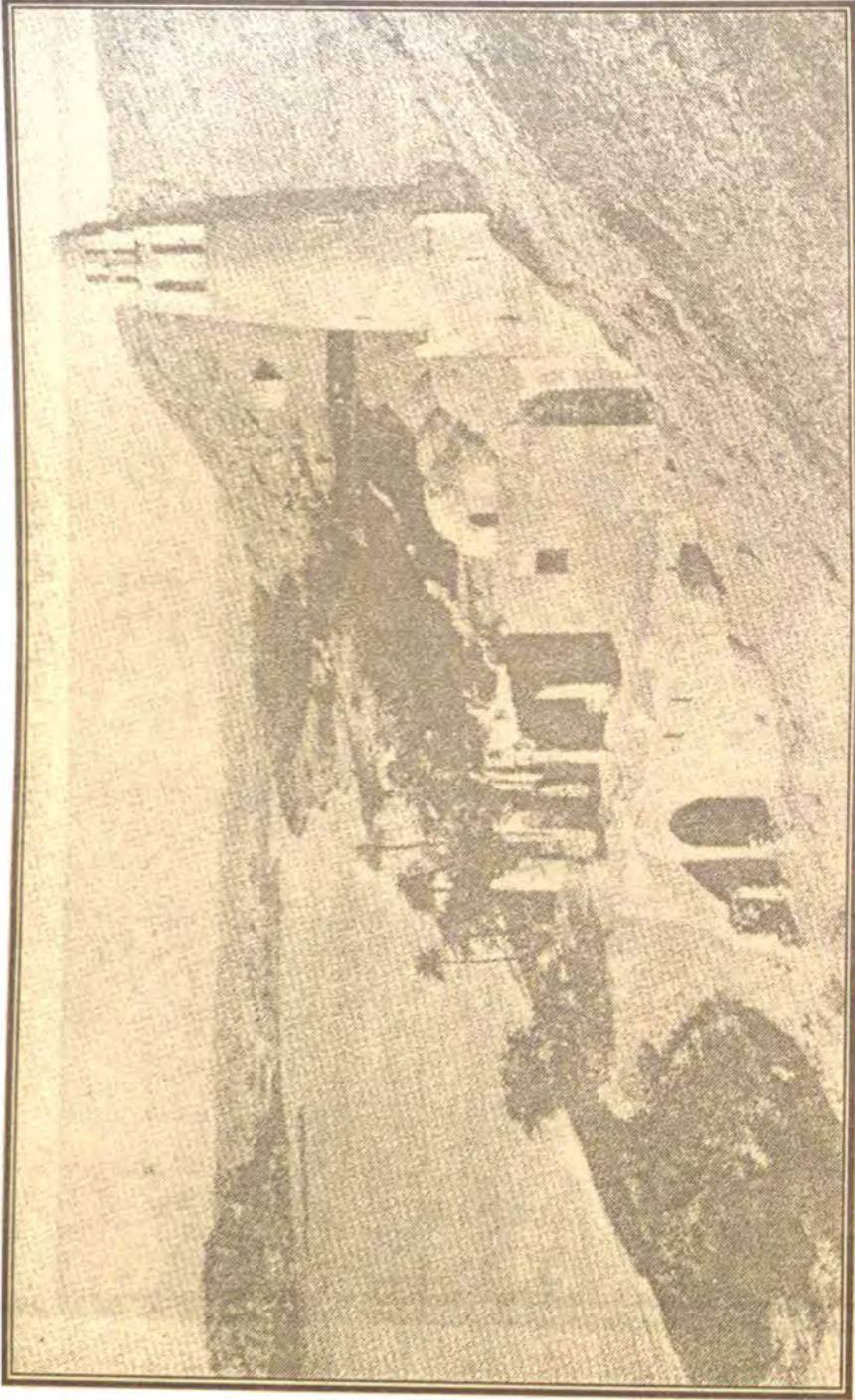
الباخرة الأسبوعية (البوستة)
التي تمر على كل بلاد النوبة من الشلال إلى حلفا شرقاً وغرباً

الحروف الأبجدية النوبية

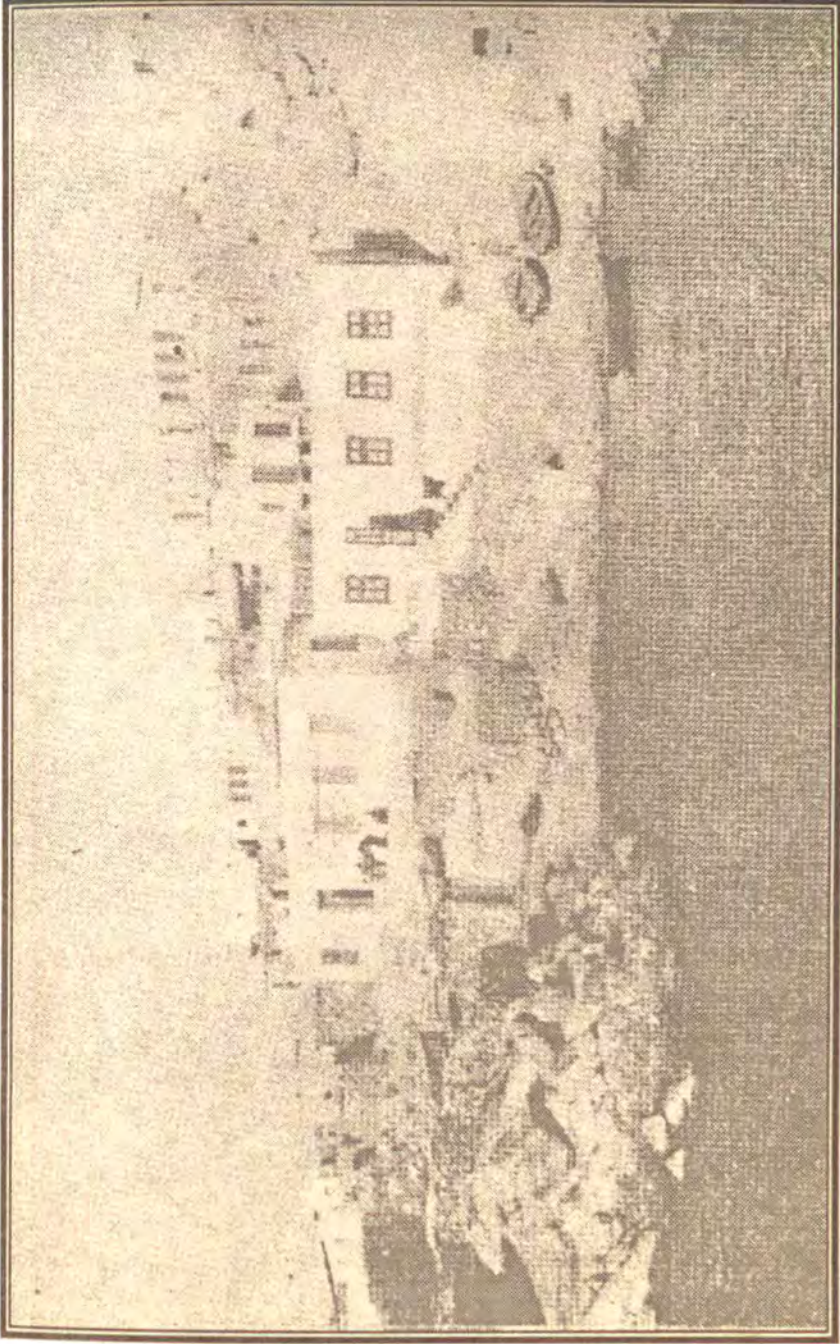
الصوتية	القيمة		مسمى الحرف	الحرف الأبجدي	م
	بالعربية	بالإنجليزية			
a	أ ، الفتح		ألفا	Α	١
b	ب		بيتا	B	٢
g	ج		جما	Γ	٣
d	د ، ض		دلتا	Δ	٤
e	أُمالة على السكون قصيرة		ابسيلون	Ε	٥
z	ذ ، ز ، ظ		ذيتا ، زيتا	Z	٦
i	الکسر		يوتا	I	٧
y	ي		ياتا*	Ī	٨
k	ك		كيتا	K	٩
l	ل		لندا	λ	١٠
m	م		مي	μ	١١
n	ن		ني	N	١٢
o	أُمالة على الضم قصيرة		اوميكرون	O	١٣
u	الضم الممتد		و	OY	١٤

تایم العروفه الأبجدیه النوبیه

الصوتیة الإنجیزیه	القیمة		الحرف مسمی	الحرف الأبجدي	م
	بالعربیة				
p	ب		بی	Π	۱۵
r	ر		رو	ρ	۱۶
s	س ، ص		سیجما	σ	۱۷
t	ت ، ط		تاو	τ	۱۸
ph , f	ف		فی	φ	۱۹
w	و		اومیجا	ω	۲۰
sh , š	ش		شای	ϣ	۲۱
h	ه ، ح		هوری	ε	۲۲
dj , g	ج ، د + ج ^ا		جای*	δ	۲۳
tsh , l	ت + ش ^ا		تشی ^ا *	σ	۲۴
ng , }	ن + ج ، ن + ق ^ا		نقای*	ε	۲۵
nj , ñ	ن + ج ^ا		نجای*	ψ	۲۶



الطبيعة النوبية



إحدى القرى النوبية بالكناوز

الفهرس

الصفحة	
٤	تقديم
٥	مقدمة تاريخية
٨	تمهيد
١١	الفصل الأول : عصر الأسرات والأديان
١٩	الفصل الثاني : النوبة قبل التهجير
٥٩	الفصل الثالث : أهم المعابد النوبية
١١٦	الفصل الرابع : التهجير والتعويض
	الفصل الخامس : أقوال الصحف تؤكد أن أراضي النوبة ملكت
١٢٤	لغير النوبيين
١٤٠	الفصل السادس : المجتمع النوبي
١٥٣	الفصل السابع : المشاكل والحلول
٢٢٤	الفصل الثامن : الملاحق
٢٦٦	هامش المشاركين
	المراجع

منتدی سور الأزبکیة

WWW.BOOKS4ALL.NET

